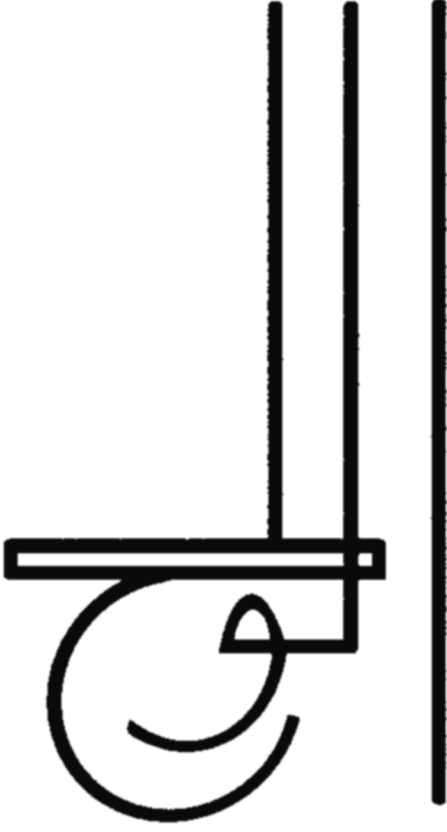


بيت الفقراء
نشر الثقافة الروحية
الجزء السابع عشر
ألواح ما بين قبر ومنبر



السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء السابع عشر

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	وحي وروح الفطرة لقائم الوجود بالحياة رافع صاحب وقائم الرتب	حديث الجمعة للسيد علي رافع	٣١ يوليو ١٩٧٠ م	١
٢	ما هي الميتافيزيقا عند هايدجر؟	بحث جامعي - علياء رضاه رافع	بدون تاريخ	٣
٣	هو عباده وأهل رشاده أوادم الخلق ومصاييح الحق هونا على الأرض يمشون وقلوب الخلق يطؤون فيحيون	حديث الجمعة	٩ مارس ١٩٦٢ م	١٧
٤	الإنسان ببدنه دار الحياة وبيت الصلاة الهيكل حرم والقلب قبلة والنفس عالم والعقل إمام، والجوارح حواريون والأعضاء أكوان والذات وجود	حديث الجمعة	١٣ أبريل ١٩٦٢ م	٢٥
٥	هو عارية الحياة يجدد بها، المعار، بالمعبر، وجوده ومعناه بكوثر، لا يبتز، لقائم خلقه، في عوالم خلائقه ويجدد بمعناه، معناه، لا ينقضي، لقائم حقه، في عوالم حقائقه	حديث الجمعة	٤ مايو ١٩٦٢ م	٣٥

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٦	أمة الوسطاء والشهداء أمة وسطا بين العالين المعلومين تؤمن وتعمل برسالة الروح لقائم ودائم يوم الدين قائدها رائدها وحي يوحى ونور يسري في قلوب المؤمنين كافة للناس	حديث الجمعة	٦ أغسطس ١٩٦٥ م	٥١
٧	القيامة والساعة والبعث والحشر والنشر في قائم ودائم أمرها وفي دورة سفورها وظهورها في الفرد للفرد وفي الجمع للجمع	حديث الجمعة	١٣ أغسطس ١٩٦٥ م	٧١
٨	أزواجا بقيوم وقائم تواجدت الأشياء بخالق وخالق وتواجد البشر بجلباب ولابس وقامت الطريق بقاعد وعارج وعرف الكون بظاهر وباطن وقام الناس بموقوت ودائم	حديث الجمعة	٢٧ أغسطس ١٩٦٥ م	٨٧
٩	آدم وعيسى ومحمد والخضر أركان بيت إنسان الله في الوجود وفي السجود قضايا مسيح الوجود اللانهائي للعبد والمعبود هم القدوة والأسوة لمراتب ومراقي الكيان البشري في معارجه في الله كل منهم يطوي لحقه الآخرين لقضيته في معناه	حديث الجمعة	٣ سبتمبر ١٩٦٥ م	٩٧
١٠	الإنسان المصطفي ظاهر الغيب المرسل وغيب الشهادة المرسل بحث بالحق في دثر الشهادة، لقائهما به، غيبا عليها كوثر دائم الخلق وأحدية دائم الحق إنسان الله عبدا وربا، شهادة وغيبا للوجود وللشهود في اللانهائي لا بداية ولا نهاية له	حديث الجمعة	١٠ سبتمبر ١٩٦٥ م	١١٣

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١١	دين الفطرة وقائم الصبغة لإشهار ناموس الحياة لمعارض العوالم ومظاهر الأمم بركب الأئمة وكتب المعارف للأديان والعقائد في دورات لا تحتل بناموس لا يخطئ ولا يتعطل	حديث الجمعة	٢٤ سبتمبر ١٩٦٥ م	١٢٩

(١)

وحي وروح الفطرة لقائم الوجود بالحياة

رافع

صاحب وقائم الرتب

حديث الجمعة للسيد علي رافع

٢٧ جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ - ٣١ يوليو ١٩٧٠ م

يا هذه الدنيا أطلّي واسمعي

أبي معي.. لم يفارقني في قيامي ولا مضجعي..

إنه معي، لم يغب أبدا عني، فهو ممتد فيمن صدق معه، باقٍ لمن صاحبه حقا، لا يغيب عنه، ولا يحتجب.

فمن لم يجد في صدره مستقرا ومقاما له، فما تابعه! ومن لم يجد في عقله امتدادا لفكره، فما صدّقه! ومن لم يجد قلبه ينبض به، وأنه سر الحياة فيه، ما عرفه.

كان لنا قدوة، وكان لنا مثلا، وكان منا وكنا منه.. وسار وعاش بيننا من العمر الكثير، حتى نفتدي به، وحتى نكون له أبناء وأخوة، ومريدين، وأتباعا.. فهل كُنا له كذلك؟!

من لم يكن، فأمامه باب الطريق مفتوح على مصراعيه، ليحقق ما فاته. ومن كان.. فأمامه أيضا الفرصة لينمو فيه ويستزيد.

إنه حي معنا.. فهل نكسبه فنحيا؟! أم نتركه فنموت؟ إن من يُغيبه عن وجوده، يُغيب معنى الحياة له، وإن من يراه متكاثرا ممتدا.. يكسب معنى الحياة فيه.

إنه حقيقة، وإن الحقيقة لا تموت أبدا.. ولا تزول أبدا.. ولا تنتهي أبدا.. إن حياته خير لنا.. ومماته خير لنا، فهو في كلتا الحالتين روح ونور، يسري فيمن يرتضيه لنفسه قدوة وأسوة.

لقد بدّل مفهوم الموت عندنا، فأصبح الموت هو الحياة، وأصبحت الحياة هي الموت، أصبح موت النفس هو حياة الحقيقة، الحقيقة التي لا تغيب أبداً، الحقيقة التي ترعانا وترشدنا في خطانا، وتمهد لنا السبيل.

إنه حقيقة.. حقيقة كبرى، تحاول أن تساندنا فيجب من جانبنا أن نستعد لمستقبل فيضها، وأن نكون أهلاً لها..

إنه لا يستطيع أن يقدم لنا شيئاً لا نريده، ولا نرضيه، ولا يستطيع أن يقدم لنا شيئاً نمانعه.. هذا هو قانون الحياة، الذي التزم به، والذي يلتزم به كل متصل بروح الحياة، وكل عارف بالله.

فلنهيئ أنفسنا إذن لاستقباله، حتى نكون لرسالته، ممتدة فينا، مقيمين.. وللدرس الذي أعطاه لنا، منفذين.. ولمعناه فينا، مكبرين.. حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

يجب أن يكون حياً في صدورنا، وأن نتخذه دائماً قبلتنا في صلواتنا، بمعناه، المتكاثر المتجدد..

إنه رائدنا، وإنه حياتنا، وإنه روح الوجود لنا.. إنه كل شيء لنا..

إننا لا نستطيع أن نعيش بدونه، فهو روحنا، إذا نسيناه فلن يكون لنا وجود، بل لن نصبح قادرين على الوجود.

إن الوجود في وجوده.. والبقاء في بقاءه.. والحياة في حياته..

فنرجو الله أن يديم علينا وصلتنا به، وأن لا ننسى قيامه فينا، وأن يحقق طريقنا ورسالتنا به، وكان فضل الله علينا عظيماً، وما كان هو إلا فضل الله القائم، بقيامنا فيه.

اللهم ارحمنا به.

اللهم اجعلنا له أبناء صادقين.

اللهم اجعلنا في متابعته صادقين.

اللهم أرشدنا إلى الطريق الصحيح الذي اختاره لنا.

اللهم لا تحرمنا منه، ولا تجعلنا ننساه، ولا تجعلنا نفترق عنه..

إنه قبلتنا، وإنه طريقنا، وإنه جمعنا ومعنا.

(٢)

ما هي الميتافيزيقا عند هايدجر؟

بحث جامعي - علياء رضاه رافع

قامت السيدة علياء رضاه رافع بمراجعة البحث خلال عام ٢٠٢٥م

ما المقصود بالميتافيزيقا؟ لقد عرفها أرسطو قديماً أنها البحث في الوجود بما هو موجود، وأما كانط فقد رفض التعريف التجريدي المطلق، وبالتالي كانت الميتافيزيقا بالنسبة إليه نقداً للعقل الخالص، وارتبطت بإمكانية المعرفة، حيث إن المعرفة لديه تجربة لا تتجاوز الظاهر، مع الوعي أن هناك شيئاً يتجاوز الإدراك، ويطلق عليه الشيء في ذاته *nomenon*. تصبح الفلسفة معرفة تجريبية لا تتجاوز القدرات الإنسانية المحدودة والمقيدة بالقدرة العقلية. أما إذا أردنا أن نتعامل مع اللغة فإن الميتافيزيقا *metaphysics* مبحث يتجاوز العالم الفيزيقي، أي أنها مجال لدراسة ما وراء المحسوس وتجريده إلى مقولات فكرية. وقد لا يكون لهذا التعريف أي دلالة عند البعض.

تعددت الآراء، واختلفت الفلاسفة في الكتابة عن الميتافيزيقا. ويهتم هذا المقال برؤية مارتن هايدجر، وأبدأ بتمهيد سريع عن الأسس الميتافيزيقية للفلاسفة الوجوديين، وقد جرى تصنيف هايدجر أنه مؤسس المدرسة الوجودية في الفلسفة.

تبحث الفلسفة عن الأسس المنهجية والمعرفية في مجال الوصول إلى الحقيقة. وفي هذا الشأن يمكن أن نقول إن هناك مبحثين أو مجالين رئيسيين:

المجال الأول هو البحث عن الحقيقة.

والمجال الثاني هو البحث في الحقيقة أي في بناء الحقيقة.

يتضمن المجال الأول الموضوعات التالية:

البحث في الوجود على المستوى التجريدي.

الأسس التي يقوم عليها البحث

ويتضمن المجال الثاني:

١. الوسائل المختلفة التي يتخذها الإنسان ليصل إلى الحقيقة، وتناول العقل والتجربة.
٢. نظريات المعرفة، التي تهتم بالعلاقة بين الذات العارفة وبين موضوع المعرفة، والسؤال الرئيس في هذه العلاقة يتمحور حول: هل يشكل العقل ما يراه الإنسان ويؤثر عليه، أم أن الإنسان يجمع المعرفة من خلال دراسة الواقع الموضوعي الذي يوجد خارج الذات؟ ويطلق على الاتجاه الأول الذي يرى أن العقل يسبق التعرف، أنه الاتجاه المثالي، ويطلق على الاتجاه الثاني الاتجاه الوضعي، وهو الاتجاه الذي يرى أن العالم له وجود موضوعي خارج الذات العارفة، وأن المعرفة هي تعرف على هذا العالم.
٣. وبين الاتجاهين الاستقطابين، هناك رؤية ثالثة، ترى أن البحث عن الحقيقة لا يتحدد بالاتجاه المثالي بشكل مطلق أو الاتجاه الوضعي بشكل مطلق، حيث إن المعرفة تتبلور في حضور الإنسان في العالم، ليس هناك إملاء من الداخل (العقل أو المثال) على الخارج، ولا يوجد إملاء من الخارج (العالم المحسوس أو المرئي المشهود) على الداخل. أي أن الوجود الإنساني يعبر عن نقطة التقاء بين الخارج والداخل، ويلغي التفرقة بينهما، وهذا هو اتجاه هايدجر الفلسفي، متأثراً بالاتجاه كانط.
- وفي البداية من المهم أن نتعرض للأسس الرئيسية للفلسفة الوجودية، ثم نتجه إلى رؤية هايدجر تفصيلياً.
- يتفق الوجوديون على أن الميتافيزيقا بحث في الوجود existence، وليس البحث في الماهية essence، وينقدون الاتجاه الفلسفي الذي يفرق بين الماهية والوجود، والذي يدفع الفلاسفة للبحث في الماهية، حيث إن البحث الميتافيزيقي عن الوجود بما هو موجود هو بحث في ماهية الوجود. ولهذا اتجه الوجوديون لدراسة الوجود ليس بوصفه ماهية منفصلة عن التجربة الإنسانية، بل يرون أن الماهية تلحق بالوجود ولا تسبقه.
- ومن هذا المنطلق الفلسفي، تتشكل نظريتهم المعرفية، فهو يقتربون إلى درجة التوحيد بين المعرفة وبين الوجود، البحث في الوجود هو وعي مستخلص من التجربة. والعالم ليس شيئاً بعيداً، يدورون حوله، فهذا الدوران بالنسبة إليهم لا يعالج إلا القشرة الخارجية. والوجود بالنسبة لهذه المدرسة ليس مقولة فكرية، تشير إلى الكمال المجرد كما ذهب ديكارت في تجريد الوجود إلى فكرة، وإنما الوجود وضع لا ينفصل عن التجربة، وليس مفارقاً أو متعالياً عن الوجود. (الإنسان).
- مصادر الفكر الوجودي في الفلسفة:

كان كانط هو من انتقد الديكارتية المثالية في رؤيتها المعرفية وبنائها الأنطولوجي القائم على استخدام البرهان العقلي لإثبات وجود الله بوصفه ماهية فكرية تدل على الكمال المطلق الذي يؤكد أن الفكر هو حقيقة الوجود، وبهذا نفي وجود ما سوي الفكر. وعرض كانط أنماطاً عقلية يختص بها الإنسان، ولا تنتمي إلى ماهيات فكرية، بل هي قدرات إدراكية يختص بها الإنسان، وهي تدعم قدرة الإنسان على الاستخلاص الفكري القائم على التجربة في العالم الظاهر. أسس كانط من خلال هذه الفلسفة الاتجاه الظاهراتي أو الفينومولوجي. phenomenology، حيث رأى كانط أن الوجود موجود في ذاته nomenon، ولا يمكن إدراك ماهيته مسبقاً، دون التجربة والمشاهدة، وتظل الماهية مجهولة، ويقوم الإدراك على ما يظهر لنا، أي عن طريق الظاهرة phenomenon، إذ إننا نفسر الظاهر ولا نستطيع أن نحيط بجوهره أو ماهيته، وتبلور الاتجاه الظاهراتي على يد إدموند هوسرل وقد كان أستاذاً لهايدجر.

رأى هوسرل أن الوعي لا يخلق موضوعه، بل يلتقي به، أي أن هناك إحالة متبادلة بين الذات والموضوع. بعبارة أخرى فإن موضوع المعرفة لا يفرض نفسه على الذات، ولا الفكر المسبق لدى الذات هي التي نتعرف على الموضوع.

وكان هيجل مصدراً آخر لفلسفة هايدجر الوجودية، وقد استلهم منه الديالكتيك بين الوجود والعدم، أو كيف أن الشيء ونقيضه يندمجا في تكوين جديد، وكل تكوين جديد يخلق نقيضاً لها، تأثرت وجودية هايدجر بفلسفة هيجل، حيث أن السيرورة هي حركة ديالكتيكية بين الوجود والعدم. أي يصير العدم نسيجاً حياً في صميم الوجود، ومن هنا فإن نقطة البدء هي الوجود الذي لا يتعين أو يثبت في مقولة فكرية واحدة كما عبرت الديكارتية، وإنما الوجود يتحرك في سيرورة لأنه يحمل نقيضه داخله. وإذا كان الوجوديون قد اتفقوا على الحركة لديالكتيكية بين الوجود والعدم عند هيجل، والتحرر من الماهيات الثابتة، إلا أن الوجوديين قد عارضوا هيجل في فلسفته عن التاريخ، إذ إنه تصور أن المطلق يتجلى في حركة الديالكتيك في التاريخ، أي أن التاريخ يسير في قانون ديالكتيكي، ومن هناك أصبح التاريخ وهو تعبير عن حركة الإنسان، ذائبا في فكرة المطلق، ويصبح الواقع عند هيجل تعبير عن الكلي وتجلي له. رفض الوجوديون هذه الرؤية التي أنكرت الإنسان في خصوصيته وجعلته ذائبا في حركة التاريخ، وتعاملت مع الإنسان من حيث هو مقولة فكرية مجردة لا إرادة لها في صنع التاريخ.

واتفق الوجوديون على تأكيد التفرد الإنساني، ولم يعد الإنسان مقولة فكرية تعبر عن كل إنسان، وإنما الإنسان بالنسبة إليهم هو هذا الإنسان التجريبي المتفرد، فكل إنسان هو كيان خاص له وجوده، وينبغي ألا يكون هناك تعريف عام تجريدي عن الإنسان.

إذا كان هذا هو الاتجاه العام للفلسفة الوجودية، إلا إن هايدجر كان له إضافة وتفرد في تناول دلالة الوجود في ضوء الميتافيزيقا.

أولاً: جعل هايدجر منهجه المعرفي والفلسفي هو عدم الفصل بين الذات والموضوع، أي لا نجد ما نطلق عليه موضوعاً للمعرفة موجوداً أمامنا لنفحصه، أو نقوم بتحليله، أو نختزله إلى دلالات لغوية، ولكن نتوحد معه. لا يوجد إذن تعريف للفلسفة إلا ممارسة الفلسفة نفسها، نحن لا نعرف الفلسفة ما لم نمارسها.

ثانياً: كيف نمارس الفلسفة، إذا لم يكن لدينا تعريف مسبق للتفلسف؟ وهنا يظهر تناقض غريب يشرحه هايدجر ببراعة. لأن مجرد تعريف الفلسفة يخضعنا إلى العقل، وإذا تركنا العقل جانباً، تصبح الفلسفة في مجال ما لا يعقل، أي يصبح هناك تناقض أيضاً لأن العقل هو الذي أعطاها صفة الالامعقولية، ومن هذا التناقض يظهر الحال الوجودي وهو الحيرة والأزمة التي لا بد أن يمر بها الإنسان، وهذا في ذاته لحظة يشعر فيها أنه موجود.

ثالثاً: ممارسة الفلسفة تتصل بالتعرف على من مارسها بالفعل، وهذا النوع من التعرف ليس تجميع معلومات ووضعها بصورة منظمة، وإنما هو التعرف على الحاضر، أي على اللحظة الوجودية التي تجعل الماضي هو حضور في الآن. ويصبح تاريخ الفلسفة ليس البحث في ماضيها، وإنما إحيائها في الحاضر، وهو يتعلق بالذات المتفردة التي تعبر عن وعيها.

رابعاً: الفلسفة إذن هي انعكاس الوجود كله في الوجود، وهو ما قدمه هيرقليطس المعروف عنه قوله إن الإنسان لا يدخل النهر مرتين، إذ إن حركة النهر لا تتوقف، وكذلك الإنسان فإنه لا يتوقف عن التغير أيضاً. ولهذا يصبح البحث في الوجود هو بحث من خلال ما هو موجود، وهذه العبارة الأشهر في تعريف الميتافيزيقا، لها دلالة خاصة في فلسفة هايدجر، فهو لا يرى الوجود بوصفه تعريف للمطلق، بل الموجود هو الذي يعبر عن الوجود.

وإذا كانت الفلسفة في دلالتها اللغوية تشير إلى حب الحكمة". philo تعني محب و Sophia تعني الحكمة. التفلسف في هذا السياق هو حالة وجدانية تتجدد ولا تتوقف. وبناء على ذلك فإن البداية لا توصلنا إلى نهاية، والنتيجة تعود بنا مرة أخرى إلى النقطة التي بدأنا منها، وهكذا في حركة دائرية وليست خطية.

خامساً: يحرص هايدجر على التفرقة بين الوجود Be والموجود Existence الموجود هو الإنسان، أي كل إنسان متفرد وفريد، ولا يشبه أحدٌ أحداً، والوجود هو الحالة العامة لكل موجود بما هو عليه من وجود، أي أن الموجود يتحقق بالوجود.

معالجة هايدجر للميتافيزيقا

إذا كان هايدجر قد اختلف مع ديكارت في الثنائية التي خلقها ديكارت بين الفكر والوجود، فإن التشبيه العام للفلسفة كان مصدراً للتأمل، اتخذها هايدجر ليعبر به عن فلسفته. تم الاتفاق المبدئي على أن الفلسفة هي أساس كل العلوم. "الفلسفة مثل الشجرة، جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا، والفروع التي تنفرع من الجذع هي سائر العلوم الأخرى".

ويتساءل هايدجر إذا كانت الميتافيزيقا هي جذر الفلسفة، فهي إذن محجوبة في الأرض، ولا يمكن الإحاطة بمعرفتها، ومع ذلك فإن هذا الجذر هو الذي يحيي الشجرة وفروعها. وهنا يطبق رؤيته للميتافيزيقا من خلال فلسفته الوجودية، ويؤكد ضرورة التفرقة بين الوجود العام وهو الذي يشترك فيه كل موجود، والموجود الذي يعبر عنه كيان فريد ومتفرد، ويرى أن الميتافيزيقا تبحث في الوجود الذي هو صفة لكل موجود، ولكن الموجود بتفرده يمثل له الوجود العام من خلال التفرد الوجودي.

الميتافيزيقا تعتبر الموجود منظوراً إليه على أنه موجود فحسب. وأياً ما كان النحو الذي يفسر بمقتضاه الموجود في الوجود، ففي كل نحو من الأنحاء يظهر الموجود بما هو موجود في نور الوجود. وحينما تمثل الميتافيزيقا الموجود فقد دخل الوجود في النور. لقد وصل إلى حال من الانكشاف. تعالج الميتافيزيقا وتشرح الانفتاح الخفي للوجود عندما يعيش بالموجود في نور الوجود بما هو كذلك، وهذا هو معنى أن الوجود هو الأساس للميتافيزيقا في شجرة الفلسفة.

تنبت شجرة الفلسفة من الأرض التي تمثل فيها الميتافيزيقا الجذر - وإذا كانت الميتافيزيقا هي نتغذى من الأرض التي تمتد فيها، ولكن الأرض ليست هي الجذور، وإنما هي البيئة التي بدونها لا يوجد غذاء، وتظل الأرض موجودة، ومرتبطة بجذور الشجرة. تغوص الجذور وأدق الألياف في الأرض، وتنمو نمواً تلقائياً في ارتباطها بهذه الأرض، إذ إن حياتها لا تنمو إلا في هذه الأرض. والشجرة أو الفلسفة التي تستمد حياتها من الجذور أي من الميتافيزيقا، لا تنشغل في البحث عن الأرض التي تمد الجذر بالحياة، وعندما ينشغل الفيلسوف بالبحث عن الأرض، بدلاً من استقبال الغذاء من الجذر، فإنه يكون بذلك قد هجر الميتافيزيقا وهي الجذر الأساس.

عندما ننشغل بمصدر الميتافيزيقا بحثاً عن حقيقة الوجود، نكون بذلك في حال من الظن أننا نسيطر على الميتافيزيقا، وهذا هدف مستحيل، ومع ذلك فإن الوجود سيظل مصدرًا لكل موجود، أي تظل الميتافيزيقا مصدرًا للحياة، وليس علينا أن نجعلها مجالاً للفكر، لأن الإنسان بوصفه موجود، فإن كيانه متعلق بالوجود، أي أنه ليس فقط حيواناً ناطقاً، ولكنه حيوان ميتافيزيقي.

الميتافيزيقا تعالج موضوع الوجود بالضرورة، وبشكل مستمر، لكنها لا تدفع الوجود ذاته إلى الكلام، لأنها لا تشغل بحقيقة الوجود على مستوى الفكر، وهي تعتبر الحقيقة كشفًا، ولكنها لا تبحث في معنى أن تكون الحقيقة كشفًا. والكشف لا يجسد الحقيقة ولا يصل إلى ماهية الحقيقة، ومهما كرس الإنسان نفسه للدراسات التاريخية، فإنه لن يصل إلى الماهية للحقيقة. ومن هنا فإن هايدجر أراد أن يتحول البحث في الميتافيزيقا إلى البحث في الوجود العام من خلال الوجود الخاص "الموجود - الإنسان". واستخدم تعبير قهر الميتافيزيقا دلالة على الانقلاب الذي أراد أن يحدث في المجال الفلسفي.

الميتافيزيقا لن تجب أبداً عن السؤال المتعلق بحقيقة الوجود، لأنها لن تسأل أبداً هذا السؤال، وهي لا تسأله، لأن الوجود لا يظهر إلا في الموجود. العلاقة بين الوجود والموجود هي مركز الاهتمام الأول في الميتافيزيقا. الموجود الذي يعبر عن الإنسان في تفرد يعبر عن الوجود ولا ينفصل عنه.

إن التفكير في الوجود يقودنا بالضرورة إلى التفكير في الإنسان الفرد، ولكن إذا بدأنا بالتفكير في الإنسان دون التفكير في الوجود، نغرق في الجزء ونفقد الوعي بالوجود في وجودنا. كلها أصبح تفكيرنا ملاءمة لعلاقة الوجود بالموجود، كان الفكر بنفسه أصفى وأنقى.

إننا ونحن ندفع تفكيرنا إلى هذا الطريق الذي فيه نجد علاقة بين حقيقة الوجود والإنسان، وعلى هذا الدرب - أي في خدمة السؤال المتعلق بحقيقة الوجود يصبح من الضروري أن- نتوقف وأن نفكر في حقيقة الإنسان.

الإنسان - الوجود - والزمن

تتمحور فلسفة هايدجر في الإنسان والميتافيزيقا، بالتعرض للعلاقة بين الزمن والإنسان مستخدماً التعبير الألماني Dasein ويشير إلى أن الإنسان يتحقق وجوده بتواجده في الخارج من خلال الزمن المتحرك. أي الحاضر المتحرك الذي تم ترجمته إلى العربية تحت كلمة "الآنية"، في اشتقاق لغوي من كلمة "الآن" أو العيني. وهنا يرتبط الوجود بالماهية من خلال الزمان، دون تحديد للماهية خارج إطار الموجود وتفرد حركته الخاصة، وهو ما يجعل الوعي قائماً داخل الذات وليس خارجها، متجدداً في "الآنية".

والوعي هو الوجود أو ماهية الوجود دون فصل بين الوجود والموجود. ولهذا كان الوعي "أصيلاً" لأنه يرتبط بالموجود من حيث هو كيان متفرد متوحد مع ما يراه. يوجد هذا الإنسان "هنا"، "الآن". وما يجعل الإنسان أصيلاً هو أنه يعرف أن وجوده مهدد بالفناء، ومن خلال الوعي بالفناء أي بالموت، ينبثق وعيه بوجوده، غير منفصل عن تفاعله مع كل ما هو خارج هذا الموجود.

يدرك أنه موجود ولكنه ليس الوجود بل هو على صلة بالوجود وهو مشارك في وجود هذا الوجود، ولكن هذا الوجود ليس شيئاً مطروحاً أمام الإنسان وكأنه شيء غريب عنه، فكل إنسان هو ظاهرة من ظواهر الوجود. الماهية ببساطة لا تنفصل عن الوجود.

الوجود الآني هو الوجود الماهوي، حيث ينكشف الوجود الخاص لكل إنسان على حدة بتفرده وتجربته الذاتية، من خلال الوجود العام، ولهذا ومن أجل التحليل فقط، يمكن استخدام الوجود الواقعي والوجود المحتمل، حيث إن الإنسان عند هايدجر هو الإنسان القائم هناك خارج ذاته. وهو بهذا يعارض الاتجاهات المثالية المطلقة، التي تضع للإنسان وجوداً سابقاً على التجربة. وعندما يتحقق الإنسان في تواجده في الخارج دائماً، متحرراً من التوقع الذاتي، يصبح الخارج مكاناً أليفاً. والبشر بطبيعتهم في علاقة مباشرة مع العالم الخارجي، وهم يتفاعلون مع هذا العالم لأنه جزء من وجودهم، أي أنهم في حركة مستمرة نحو الوجود الماهوي من خلال التوحد مع الوجود متمثلاً فيما هو خارج الذات.

إن الوجود في كتاب "الوجود والزمان" ليس شيئاً آخر سوى الزمان، من حيث إن الزمان هو اللقب الذي أطلق عليه هايدجر حقيقة الوجود، وهذه الحقيقة هي حضور الوجود، وبالتالي "الوجود ذاته". ولكن لماذا ارتبط "الزمان والوجود"؟

الزمان الوجودي هو زمان ذلك الإنسان الفرد الذي يعيش تجربته الحية مع نفسه ويريد في نفس الوقت أن يتخطى حدود ذاته، إذن ليست الزمانية عند هايدجر هي الزمانية الانعزالية أو الأنا وحيدة، ذلك لأن الإنسان يتطلع دائماً إلى الأمام وإلى المستقبل في الآن ويحاول أن يتخطى ذاته عن طريق تلك المشروعات الكثيرة التي يريد تحقيقها في هذا العالم ليؤكد بها كيانه.

أدرك اليونان أن وجود الموجود هو حضور الحاضر للوجود. الزمان يعني الانكشاف فهو تعبير عن حقيقة الوجود من دون أن يكون فكرة لأنه مرتبط بالموجود، بيد أن الزمان الذي ينبغي أن نفكر فيه هنا لا يُسجن في سيرة الموجود المتغيرة، إذ من الواضح أن الزمان ذو ماهية مختلفة. الزمان خلال تاريخ الميتافيزيقا حاضر على نحو حاسم قاطع في تاريخ الوجود دون أن ندركه أو نفكر فيه. والمكان بالنسبة إلى هذا الزمان ليس شيئاً ينتظم إلى جواره ولا يندرج فيه.

تحاول الميتافيزيقا أن تربط بين الوجود والإنسان، وهذا الرباط قد يندرج تحت عبارة التفسير والفهم، وهو في حقيقة الأمر انكشاف، والتفسير لا ينفصل عن الحقيقة، لا لأنه يحتويها، ولكن لأنه جزء من وجود الموجود. أي أن التفسير أو الفهم يصبح جزءاً من الوجود.

وفي اتجاهه النقدي فإن هايدجر يوضح أن الفلسفة قد استبعدت الوجود (الفكرة التجريدية) عن الموجود (الإنسان في وجوده العيني) وبالتالي عزلته، بينما الميتافيزيقا التي تعني بحقيقة الوجود لا ينكشف لها الوجود إلا من خلال الإنسان (الموجود)، ويكشف الوجود نفسه من خلال التجربة الإنسانية للموجود، ويظل الوجود محجوباً، لا بوصفه متعالياً، أو منعزلاً عن الموجود، ولكن لأن الوجود محتجب دائماً وينكشف دائماً من خلال التجربة. وهذه المحاولة التي يبحث فيها الفيلسوف عن العلاقة بين الوجود والموجود هي أساس الأنطولوجيا وقاعدتها. ويمكن أن نطلق عليها Fundamental Ontology فهي تفكير في حقيقة الوجود من خلال تجربة الموجود. ولا يكشف الوجود نفسه للموجود إلا من خلال العدم أو الموت. والموت هو نوعية من الوجود، وليس اتجاهًا نحو نهاية الحياة، وهو يشير إلى النمو في العالم، ليكتسب الإنسان رؤية أصيلة.

الزمن يحمل أبعاداً ثلاثة للوجود Being: الزمن الحاضر، وفكرة الأبدية وهما تعبير عن الأنية (الحاضر الأبدى) التي تشكل رؤية الإنسان للزمن. الزمن لا يتحرك في تقدم خطي من الماضي إلى الحاضر والمستقبل. وإنما يراه هايدجر في كونه حالة تحمل إمكانيات مستقبلية خارج عن الذات المحدودة وتشكل تبعاً لمكانة الإنسان في الجيل الذي ينتمي إليه. الاحتمالات الممكنة هي ما يكل الفهم عن الزمن، حيث إن هذه الاحتمالات الممكنة توجه الإنسان ليرتبط بالعالم في تجربته الخاصة مع المستقبل.

لقد ثار هيدجر على التفسير المألوف للزمان الخطي المقسم إلى لحظات متتالية، وصف هايدجر هذا الزمان بأنه زمان غير حقيقي، أما الزمان الحقيقي فهو الزمان الوجودي أو الزمانية المتصلة بهذا الوجود، بل أن صفات الوجود الأصلية هي عينها صفات الزمانية، ومعنى هذا أن الوجود والزمان شيء واحد.

الموت والعدم والوجود

الموت أمر مستحيل بالنسبة للإنسان الحاضر الآني، ولكنه أمر محتمل، ومع ذلك فهو شخصي جداً، لأنه لا أحد يمكن أن يموت بدلاً من أحدٍ آخر، ولا يوجد من يمكنه أن يمنع وقوع الموت على الإنسان. وإذا انتهت الحياة بالموت، يصبح الموت أمراً خارج التجربة، وكذلك لا يمكن أن نعرف ما هو الموت من خلال آخرين تركوا الحياة. ولهذا كان الشعور أن الحياة مازالت مستمرة جزء لا يتجزأ

من التجربة الإنسانية الخاصة Dasein ويصبح الموت وهو الأمر المحتوم مستبعدا من وعي الإنسان الآتي، ومع ذلك فهو على صعيد آخر يعي في الحاضر أن هناك نهاية محتومة، وهذا جزء من الوعي أن هذا الإنسان العيني موجود، ويظل الموت مؤجلاً أبداً إلى حين، ولكن هذا الوعي يعطي الإنسان تفرداً الأصيل، لأن الموت أمر شخصي بحت.

الوعي بالعدم يشير إلى الوجود، وينتج عن هذا الوعي قلق، وهذا القلق مصاحب للوجود - بل إن العدم هو الذي يوقظ الإنسان بالوجود، ومن خلال هذا القلق يخرج الإنسان طاقته الكلية في دفع العدم بعيداً، وهذه الحركة هي ما يمكن أن نطلق عليها التعالي transcendence، والإنسان هنا يتعالى على العدم بإزاحته وليس بإنكار حدوثه، وهنا يظهر الإنسان الأصيل الحر. ولكن الوعي بالعدم داخل الوجود يخلق قلقاً مستمراً لا ينتهي، ولكنه دافع ليقول الإنسان معنى لحياته.

القلق يختلف اختلافاً جوهرياً عن الخوف. فالخوف يكون دائماً إزاء هذا الموجود، أو هو من أجل شيء معين. فالإنسان الخائف يكون دائماً مقيداً بما يخاف منه، ويفتقر إلى الأمن في علاقته بالآخر.

لا يتيح القلق لمثل هذا الاضطراب أن يقع، بل على العكس يسود في القلق ضرب من الهدوء عجيب وفي القلق لا نستطيع أن نقول ما هو الشيء الذي نشعر إزاءه بالضيق، فالأشياء جميعاً ونحن أنفسنا نفوس في اللحظة أو في الزمن الوجودي.

ما يجعل القلق ملازماً للوجود هو أن ليس قلقاً من شيء بعينه، بل القلق من إمكانية التحقق في هذا الوجود العيني، إذ إنه في داخل هذا الوجود يتجلى العدم في ظاهرة الموت وهو الحقيقة الكبرى التي تجعل إمكانياتنا محدودة وهو ما يضع على عاتقنا مسؤولية الاختيار وتفضيل اختيارات واستبعاد اختيارات أخرى.

هذا التحديد الناشئ عن ضرورة الاختيار من أجل الفعل، هو أيضاً يحمل معنى العدم.. ولهذا فإن العدم ينفذ في كل الوجود ويتفشى فيه، ولهذا لا بد للإنسان أن يعيش القلق ليتنبه إلى حقيقة الوجود.

ولما كان اكتشاف الإنسان للحقيقة لا يتم عن طريق العقل ويتم عن طريق الفعل الإنساني، فإن الإدراك يأخذ معنى جديداً، فلا يصبح هو مجرد التصور العقلي، وإنما هو القبض على الأشياء ومعاشرتها، ولكن الأشياء تمنع في الابتعاد عن الإنسان كلما اقترب منها، ولهذا نجد الإنسان الذي يتفلسف ليصل إلى الحقيقة، فإنه يصل في نهاية الأمر إلى "اللاحقيقة". الإنسان الذي بدأ بمحاولة البحث في الوجود، يتبين له سريعاً أن الوجود قبض الريح وأنه هو والعدم شيء واحد.

وهذا السعي الدائم من جانب الكائن البشري يظهر له شيئاً واحد عظيم الأهمية وهو أنه إنسان حر، فلو لا هذه الحرية ما استطاع الإنسان أن يسعى جاهدا وراء الحقيقة، إذن البحث عند هايدجر يقتزن دائماً بشعور الإنسان بحريته في الفعل.

الميتافيزيقا من خلال العدم

تنظر الميتافيزيقا الكلاسيكية إلى أن العدم هو اللاوجود، وأما المسيحية فهي ترى أن العدم هو حال ما قبل الخلق، الموجود هو الله ولكنه خلق كل شيء من العدم. أي أن العدم هو ما قبل الوجود. وهكذا يصبح العدم الفكرة المضادة للموجود الحقيقي، أو الوجود الأسمى أو الله بوصفه الموجود غير المخلوق. ولكن إذا كان الله يخلق من العدم، فلا بد أن يكون في استطاعته إقامة علاقة مع العدم. ولكن الله هو الحق المطلق يستبعد عن ذاته كل نقص في الوجود فكيف يتعامل مع العدم. وهنا يثير العدم سؤالاً ميتافيزيقياً عن وجود العدم، وكأن العدم له وجود، وهو ما ينفي أنه عدم. ومن هنا أدرك هيجل أن الوجود الخالص والعدم الخالص أمر واحد. ولكن هايدجر يستخدم هذه العبارة برؤية أخرى، حيث أن العدم الذي يقابل الوجود هو الذي يدفع الوجود إلى تخطي العدم إلى وجود جديد، لأن الوجود نفسه متناه لأنه ينته إلى العدم، ولكن العدم يصبح نوعاً آخر من الوجود. أي أنه من العدم كان كل موجود موجوداً.

ويضعنا التساؤل عن العدم أمام أنفسنا، ووجودنا ولهذا كان السؤال عن العدم ميتافيزيقياً في الأساس، لأن الميتافيزيقا كما تدل اللغة هي ما وراء الفيزيقي، ولهذا يصبح العدم أمراً خارج الفيزيقي المرئي المحسوس، ولكنه موجود في وجود متعالٍ عن المعرفة.

وهنا يصبح البحث في الميتافيزيقا هو في ذلك البحث في الوجود السابق على كل معرفة، ويخرج من دائرة الإحاطة، والتعريف العقلي، لأن الإنسان في هذا البحث يقترب من الوجود قبل أن يدخل عليه العقل أو الذات العارفة فتفسده.

السقوط

السقوط هو إغماض الإنسان عينيه عن حقيقة وجوده واندماجه في عالم الحياة اليومية الثرثرة. فإذا سقط فقد وجوده الفردي الفريد وأصبح ليس هذا الإنسان المعين بل فرد من الأفراد أو ذلك المجهول الذي يخاطبه الفلاسفة العقليون باعتبار أنه كل البشر. فالسقوط يأتي بانتقال الذات من حال الوجود الذي ترغب فيه إلى تحقيق إمكانيات إلى حالة من السكون، فإذا بالمرء ليس أكثر من وجود بين أشياء وموضوعات. ولا يزيد عن كونه موضوعاً وبالتالي أداة، وتسقط منه ذاته، وتفقد صلتها بالحقيقة.

ويمكن للإنسان أن يتخلص من السقوط عندما يقيم تجربة أصيلة مع الحياة، ينتج عنها القلق ومسئولية الاختيار التي تعبر عن صميم وجوده في الحرية. لأنه يكتشف وجوده الفردي المتفرد، ولا يصبح تكراراً مسخاً بين البشر.

والواقع أنه من شأن الحقيقة الإنسانية دائماً أن تنفصل عن الحياة الثرثرة في هذه الحركة التي أطلق عليها هايدجر اسم التعالي أو المفارقة Transcendence. وهذه المفارقة هي نزوع الإنسان دائماً إلى الخارج فإذا به يشعر بالعدم.. ولولا هذا الظهور الأصلي للعدم لما كان ثمة أمنية ولا حرية.

Sans la manifestation originale du neants il n'y aurait ni etre personnelle, ni "liberte".

حقاً أن الكائن البشري عند هايدجر لا يحيا إلا مع الآخرين ولكن عليه أن يحذر أن يصبح مجرد "فرد" منهم، وإذا بذاته الفردية قد استحالت مجرد جزء من قطع؛ فالوجود مع الآخرين من شأنه أن يزيّف الوجود الحق لأنه ينزل بهذا الوجود إلى حياة زائفة مبتدلة، لأنها حياة متشابهة.

أما عن الأشياء المادية فهي في نظر هايدجر، أشياء يستخدمها الإنسان من أجل تحقيق إمكانياته. وكل أداة تحيل بطبعها إلى غيرها، وفي هذا تطبيق دقيق لفكرة الإحالة، التي أخذها هايدجر من أستاذه هوسرل. والأشياء عند هايدجر من ناحية أخرى ليست أشياء منعزلة، ولكنها توجد في قلب مجموعات، ولها علاقات حية بعضها ببعض الآخر. وهذا يدل على أن هايدجر قد قاوم الفلسفات المادية التي نظرت إلى الطبيعة باعتبار أنها مجموعة من القوى الطاغية الرهيبة التي تقتل في الإنسان كل دوافع العمل وتمنعه من البحث عن أبعاد الوجود والحقيقة، وقاوم هذه الفلسفات المثالية التي أحالت الإنسان إلى مجرد ذات عابرة.

الخلاصة

هناك ارتباط أساسي بين الوجود والموجود والعدم والزمن، وقد عالج هايدجر الميتافيزيقا من خلال إبحاره في الوجود وعلاقته بالموجود، فلم يعد الوجود مقولة فكرية، وإنما أصبح كشف يقوم به الإنسان من خلال وعيه المتفرد، ومن خلال تحقيق وجوده في تحمل مسؤولية اختياراته التي تنبثق أساساً من تواجد العدم في واقع حركته في الزمان. والزمان هنا ليس هو الزمان المنقسم إلى ماضي وحاضر ومستقبل، ولكن وعي في داخل الحركة نحو العدم، لأن العدم هو الذي يجعل الإنسان موجوداً، وهي الذي يجعل الإنسان حراً.

القلق الوجودي هو المحرك الأساسي للإنسان، ينبثق عندما يواجه العدم ويخلق إنسانيته من خلال اختياراته الخاصة وليس تقليدا لما يختاره الآخرون.

من هنا تجاوز هايدجر الفلسفة الكلاسيكية التي عرفت الميتافيزيقا أنها البحث في الوجود بما هو موجود، والتي عزلت الفكر عن الواقع المعيش، وكذلك ثار على التعريفات العامة التي تجعل الإنسان كيانا في نوع وليس فردا متفردا في ذات تجذر وجودها من خلال تجربتها الفردية، ليكون القلق أساس في خبرة الوجود (الإنسان) في تحقيق الوجود في وجوده، وليس البحث عن الوجود في فكرة خارج ذاته.

أما عن الشجاعة، فالقلق يعطي بعدا عميقا من أعماق الشجاعة، فالشجاعة هي تلك التي تستطيع أن تتحمل العدم. وهي التي تدفع البشر إلى إحساسهم بذواتهم، ومجتمعهم حتى يستطيعوا أن يؤدوا شيئا وأن ينشروا شيئا.. ويقولون كلمة الحق التي يبحثون عنها.. وينشرونها.. فإذا عرفوها فمن حقهم أن يعلنوها عالية.

ختام

علينا الانتباه أن فلسفة هايدجر لا تعالج فكرة ما بعد الموت، بل تنظر إلى الموت من خلال الحياة، فهو الذي يعطي للحياة معنى ووجود. ومن ناحية أخرى فإن تأكيده على تفرد الإنسان لا يعني أن يكون الإنسان أنانياً، لا ينظر إلا إلى ما يريد وما يفعل، ولكنه يتناول قضية رئيسية نشدها عندما يصبح الإنسان فردا في قطيع، يسير دون أن يفكر، ويتبع ما يقال له من الخارج، ولا يعكس الرؤية إلى الداخل، أي القدرة على الاختيار التي لا تنبع من الاستماع إلى سلطة فوقية، قد تتمثل في ثقافة أو في موقع ما في المجتمع، أو ما هو شائع. حركة الإنسان المتوجهة إلى الخارج، يعني بها هايدجر أنه لا يتوقع على نفسه، وإنما يسير من خلال ذلك الزمن الوجودي الذي يجعله يرى الممكن الذي لا حدود له، والذي يتجه نحوه بلا حدود، مع العلم أن هناك نقطة سيتوقف عندها بالضرورة إنها لحظة انتهاء الحياة بالموت أو فناء هذه الذات.

ولهذا ينبغي ألا نتصور أن العدم الذي يتحدث عنه هايدجر هو تأكيد للفناء المطلق، ولكنه استحضار للفناء، وهذا الاستحضار مهم كي يعطي الإنسان قيمة لما يعتقد أن له قيمة، وما يجعله يتفاعل مع الحياة تفاعلاً مستمرا، في تطور مستمر، أو ما أطلق عليه هو *transcendence* فهو في حالة تجاوز مستمر لذاته.

علياء رضاه رافع

يمكن الرجوع إلى المراجع الآتية لمزيد من مناقشة فكر هايدجر.

يحيى هويدي: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ٢٠٠٦

عبد الرحمن بدوي: الزمان الوجودي دار الثقافة، بيروت - لبنان ١٩٧٣ الطبعة الثالثة

Martin Heidgar, Being and Time, translated by John Macquarrie & Edward
.Robinson, Harper &Row, Publishers, Incorporated, ١٩٦٢

(٣)

هو

عباده وأهل رشاده أوادم الخلق ومصاييح الحق هونا على الأرض يمشون وقلوب الخلق يطؤون فيحيون

حديث الجمعة

٣ شوال ١٣٨١ هـ - ٩ مارس ١٩٦٢ م

الحمد لله، الحامد لنفسه من حامده، المعروف لنفسه في عارفه، أستغفره وأتوب إليه، فإنه لا يغفر الذنوب إلا هو في مستغفره.

كل إدراك بغيره لغيره، وكل قيام لوهمه في وهمه، إنما هو الذنب فيه، بقائمه لغيره وواهمه لنفسه. نوحده وننزهه، على ما توحده وعلى ما تنزهه، لا شريك له بيقين لا شريك له.

نحمده أن جعل العلم عنه في التقوى له، وأن جعل العلم عنه، هو طريق القيام به، بالتوحد معه، بالحب له معية محبه. كما جعل العلم عنه، في العلم عند العالم به، بالعلم عنده عن نفسه، يعلمها، ويجعل من علمه بها فيدا قيامه، وألواح توراته لأطواره، وكتاب قرآنه لأسفاره، وإنجيل صدره لإحسانه، ولسان بيانه لعرفانه، وحديث إيمانه لإخوانه.

نحمد الله ونشكره، على ما جعل من علاقة بينه وبين عباده، قامت على محض فضله وإحسانه، نحمده أن جعل من عباده وجه حقه، لهم في أنفسهم ولهم في معانيهم، ولهم في اجتماعهم، ولهم في توحدهم، ولهم في بيوتهم، ولهم في مجتمعهم، ولهم في تعددهم وانفرادهم، وجوه طلعتهم. يأنسوا لها في قيام الأُنس له، ويتأنسوا بها في معنى الاجتماع عليه يوحدونه لا يعددونه، ويؤمنونه لا ينكرونه، ويقومونه لا يجحدونه، ويشهدونه لا يجهلونه.

لقد جعل الله من قدمه بآدم أولية لكل خلق له. وجعل من إنسان آدم أولية لكل حق له، وجعل من دار قيامه معبداً أول الدور لخلقه، ومن دار قيامه مصطفى أول الجنان لعبده، يقومون فيه ويقومون به، أول كلمات إليه منه وأول وجوه له فيه، خلقهم من خلقه خلأً ثم بعثهم به بحقه حقائق.

إن معنى الإنسان وأشياءه، باطن معنى الآدم ومعنى أبنائه، كما أن الآدم وأبنائه باطن الإنسان وأشياءه خليلان وحقان ورفيقان حضرة الحق لهما قيام، فآدم وأبنائه، هم حضرة الخلق بحقية الخلق لما وراءهم من إنسانهم وأشياءه لعينية الحق به تواجدوا وبه يتواجدون، وبه قاموا وبه يقومون، وبه تحققوا وبه يتحققون، وبه ظهوروا وبه يظهرون.

إن الإنسان بظاهره بآدم وباطنه بالله، أو الآدم بظاهره بالإنسان وباطنه بالله أمر فيه وحدة الخلق، كما هو أمر فيه وحدة الحق لأمرهما لهما، به تقوم وحدة الخلق بالحق ووحدة الحق بالخلق.

إن بشرية هذه الأرض، إن أبناء هذه الأرض، ولدتهم الأرض، أنبتهم الأرض، تواجدتهم الأرض، وفي صدورهم قلوبهم هي أراضي طيبة، صالحة للحياة، وقد قاموا في أجهزتهم الراحنة صورة لأصلهم، عبر بها عن نفسه العالم الكبير الذي خلقهم لنفسه والذي يحيون فيه ويشهدونه.

صورة فيها مقومات الحياة لهذه الأرض، التي هي بين جوانحهم، لتكون أرضاً طيبة تُكبر وتُعمّر وتُسكن، بما يوجدون فيها وعليها بعقولهم الخالقة، في وجودهم الخالق، من موجدهم باسمه لاسمه وعنوانا له، ذكراً لله وعباداً له، يبعث بهم ومن خلاصهم، قديمهم للقديم في جديدهم للكريم. (من صلح أصلحنا له من صلح من آباءه وأزواجه وذرياته) ^١، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان) ^٢.

إن العبودية لله أمر جسيم وأمر خطير. إن العبودية إنما هي كينونة إذا أضيفت إلى الله صارت ظاهراً لله مضافاً إليه لمعنى باطنه، فإذا أضيفت هذه الكينونة إلى وجودها من الأرض أو من السماء، صارت ظاهر المضاف إليه سواء من الأرض أو من السماء، كون من الظلام أو النور أوجد كونا من الظلام أو النور، ومخلوق أوجد مخلوقاً.

أما إذا أضيفت الكينونة إلى الله لموصوف العبد له فقد فقدت وصف الخلق وربحت وصف الخالق، قد فارقت وصف التوقيت وأخذت وصف الدوام والتأيد، قد فارقت وصف العجز والضعف، وأخذت وصف القوة والقدرة، فارقت وصف الضيق وقامت في وصف السعة، فارقت وصف الظلام والنار والنور وقامت في قائم الإرادة والطاقة والمعنى.

{إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً} ^٣. إن كل ما في السموات والأرض إلا آت عبودية الرحمن سائدة منتشرة مشرقة، قائمة بالحق، رحمة من الله الرحمن الرحيم عبودية سيدة لا

مسودة. موجد موجد متواجده. إن عباد الله أمر متميز عن الخلق لله، العابدين لله، المتقين لله، المحبين لله. إن عباد الله تجاوزوا هذا إلى الله وقائم حقائق الله.

إن الذي نتواجد من قائم تواجدها به بشرية الأرض، إنما هو روح واحد، من قائم روح واحد هذه البشرية مظاهرها، لقيام حق وعبد واحد، هو القائم على صورة من كل نفس فيها بما كسبت قائم بأمر الله، وناموس أحدية الله وصمدانيته، قائم بحق الله ورحمته، قائم بقدرة الله وقربه، قائم بناموس خلق الله وفعله وهديه، يظهر للمجتمعين على ذكره، المتحايين على النجوى في أمره وشأنه، يتوحدون به ويفنون عنهم إليه، فيرونه واحد ثلاثتهم أو أحدية جماعتهم، أو باطن وحدانيتهم أو جماع اثنيثيتهم، يرونه حق معناهم ومعنى قيامهم وقائم حقهم.

يرونه يوم يرونهم، ويرونهم يوم يرونه، به يدخلون في لا إله إلا الله فيدخلونه، وبه يرسلون من لا إله إلا الله فيرسلونه، إن فارقوه ما فارقهم، وإن اجتمعوه وفي أنفسهم لاقوه فما أحاطوه، وإن غيبوه عنهم فما غيبهم منه، ولا غيبهم عنه.

إنهم بإيمانهم بالله ورسوله يتحدثون عنه مع الناس على قدر عقول الناس، ويتكيفون به مع الناس على ما تكيف الناس، ويتعاملون به مع الناس على ما يصلح به الناس وأمر الناس، مستكبرين به على المستكبرين، متواضعين برحمته مع الضعفاء والمستضعفين.

نحن في هذه البشرية وعلى هذه الأرض، ما جعل الدين إلا في البحث عن عباده وأهل رشاده وأمر الناس بالسعي إليهم، ما عرفوا، والحج إلى دورهم ما عرفت، واستقبالهم في قبلة المصلّى ما كشف أمرهم، وتكشف نور الله من قلوبهم.

إذا تواجد العبد لله بين خلق الله، والتأم الخلق في طلب الخالق، على من أظهر منهم بينهم لهم من أنفسهم، تخلقت العبودية لجمعهم بالعبد بينهم وتواجدت الربوبية لهم بكوثرهم في عبده لحقه لهم، بقيامه في خدمتهم لقدوتهم مقتدين ومقتدون، وتوحد الخلق في الخالق، والعباد للمعبود في العابد فبنيت ورفعت أركان البيت، وارتفع الصوت وقام الحق، وكشف الأمر، وتعارف الناس، لاستقامة الجهر، وتلاقوا مع الخفي من الأمر المختفي من السر، فكانوا وجوها لله يشهدون وجها لله.

فقام وجه الله ساهرا على وجوه الله وطالبي وجه الله، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا}، هم وجوه الله إليك يطلبون وجه الله فيك فكن يا وجه الله في خدمتهم، {واخفض لهم جناح الذل من الرحمة}° {وشاورهم في الأمر}¶ {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}⁷ {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع

هواه وكان أمره فرطاً^٨ {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه^٩} {ولسوف يعطيك ربك فترضى^{١٠}}...
{ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر^{١١}}.

بهذا علمنا رسول الله، وبهذا جاء رسول الله، وعن هذا أعلم كتاب الله كتاب الله معه أو كتاب الله منه وكتاب الله إليه، وفي هذا قام رسول الله في سنته من قول وفعل بظاهر وباطن من القول والفعل، تواجد به واستقام عليه وتركه فينا لنقوم به، ولنتواجد فيه ولنستقيم عليه قدوة به كافة للناس بكوثره.

من أحدث من بعده فيما ترك لنا ديناً لله، قام فيه وأقام به بيننا فقد تخلف عنه، فهو ليس منه، ومن قام فيما فيه قام، مع من فيه قام، كان منه، وكان رسول الله منه، في دورة الحياة وفي دورة الوجود.

لقد خرج رسول الله من آدم، وكان صفوة آدم، كما خرج آدم من رسول الله، وكان صفوة رسول الله، ومنه يتجدد رسول الله صفوة له ومن صفوته يخرج آدم في دورته الخالدة مرة أخرى صفوة له، وهكذا كلها يغير الله عند من يتغير بتغيير ما في نفسه الأرض غير الأرض بإنسانها والسموات غير السماوات بإنسانها، دوايك في دورة دائبة في قادم على ما كانت في قديم دائم وعلى ما هي عند عارف في حاضر.

إن الحق لا يعرفه العصر من الزمان ولا الشيء من المكان. إن الله لا يحكمه الزمان ولا المكان. إن الله لا يوصف بالقدم، ولا بالحدوث، ولكن الموصوف فيه بالقديم والجديد إنما هو الإنسان، والموصوف فيه بالخلق والخالق إنما هو الإنسان، والموصوف فيه بالحق والباطل إنما هو الإنسان، والموصوف فيه بالضر والنافع إنما هو الإنسان. إن الموصوف فيه بالعصر والدهر إنما هو الإنسان. إن الموصوف فيه بالظاهر والباطن إنما هو الإنسان.

إن وصف الإنسان لله لمعنى الحق فيه عند المسلم وفي دين الإسلام هو قائم الذكر الفرد الأحد علم أحديته بالوجود وبالحياة في مطلق الله، أما الفطرة لله ففيها الآحاد من تواجدات إنسانيته الصمد، اللانهائي المتفرد في قيامه وفي صفاته، المدرك عند واصفه ومسميه بالعجز عن وصفه وعن تسميته، لا تتضارب فيه الصفات ولا تتعدد منه الذات.

العلم كل العلم عنه لكمال العلم به، إنما هو في قيام العجز عن العلم به، وإدراك العجز عن الإنكار له، والعلم كل العلم به، إنما هو في الإحاطة من الإنسان بنفسه فيه، فالإنسان هو كتاب العلم به عنه.

إن الله، عند المسلم هو روح الحياة اللانهائي، وذاته عنده في قائم الوجود الحي به المطلق فيه هذا الوجود المشاهد والمدرك وجهه بكائياته، والمعلوم لمعانيه بصفاته من مدركه لنفسه بلا إدراك بكنهه، ولا

إحاطة بعلم فسعته لا تُحَدُّ، وإطلاقه لا يتحدَّد، ووجهه لا يتعدد وإن تعددت مرآئيه، متصف بالسعة، ومقدر بالمزيد.

يقوم فيه القديم ولا يخرج عنه الجديد وهو في قيام وجوده محيطاً، لا يحاط، ولا ينفي هذا معاني الفراغ فيه لمدرَك لانتهائه، ولا ينفي انفراد الوجود بمعناه بالحياة عند إدراك وحدة الوجود بها في وحدانيته، من جديد نشأة للحياة بوجود الموصوف الإطلاق إلى لانهاية لموجوده، بها يقتضي التعدد لوحدة الوجود منه من عين وجوده، بملء فراغ الوجود بالحياة خلق الحياة بلا حد وملأ الفراغ بعوالمها بلا حصر ولا عد.

(أُطَّت السماء وحقَّ لها أن تَنط، ليس فيها قدر أربع أصابع إلا وفيه مَلَك قائم أو رакع أو ساجد لله) ^{١٢}، {والسمااء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون} ^{١٣} {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، بلى وهو الخلاق العليم} ^{١٤} {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} ^{١٥}.

إن الله ميسرة معرفته، وميسر الإيمان به، عند كل عاقل، في حدود إدراكه، وحتى عند الجاحد، هو المختفي فيه عنه به، ففي الجحود به نوع من إشهار المعرفة عنه بقائم الجاحد، ولون من التواجد الذاتي فيه يشهره حرمة المنكر.

وفي هذا أيضاً صفة من صفات الرحمة، يُشهِدُها للعاقل الحكيم بما أسبغ من الحرية على الكائنات فيه بوصف مظاهره، لا يعطل مطلق إرادتها لقائم إرادته، غنيا عن العلم به لأنه جعل العلم به والعلم عنه في علم العالم عن نفسه، جحده أو لم يحجده، آمنه لنفسه وآمن به لها أو لم يؤمنه.

فليس الدين كما يفهم الناس، في فلسفة المعرفة عن الله لإثبات أو كشف وجوده، فهو المعروف في كل معرفة أياً ما كان لونها، والموجود في كل وجود أياً ما كان وصفه، ولكن الدين قام على كسب معاني العبودية عند عابد له بمعبود فيه، للتخلق بخلق في وجوده بموجوده، بإدراك معاني الحقية في خلقه، عابدين ومعبودين بعباد فيه.

فالخلق بالله هم حقائقه عباداً وأرباباً، إذا ما واءموا بينهم وبين قوانين الخالق وهي قانون الحياة، وقانون الوجود، هو لهم بخلقهم، يتخلقون بها، هو القوانين التي تحكم وجودهم وطبيعتهم ونظام حياتهم ونظام ظهورهم وغيباتهم، بإبرازهم وإنشائهم وبعثهم، وإقامتهم، أو إخفائهم في سيرهم وسكونهم في قيامهم ووقودهم.

إن الانتظام مع هذه القوانين والترنم معها هو الذي به نتواجد معاني العبودية الحقية، والربوبية للكائنات المخلوقة في قائم الخلقية لها، إذ يصبح الإنسان مظهرها لهذه القوانين، وقياما وإعمالا لها، وكتابا وتعريفا

عنها هديا إلى الله من الله، عبادا له ورسلا منه، يمشون على الأرض هونا قياما به وذكرًا له يخاطبون الجاهلين سلاما، ويستكبرون على المستكبرين هجرا لهم وخصاما وعتابا وملاما، ويضعون أنفسهم في خدمة المفتقرين إلى الله، حبا لهم ومحبة له، وسلاما معهم في سلام معه.

يستكبرون على المستكبرين، لهديهم، لا حاقدين، ولا قالين، ولا ضالين، ولا مضلين. ويتواضعون للمفتقرين، لا افتقارا إليهم، ولكن افتقارا ومرضاة للمطلق لرب العالمين، الذي أغناهم والذي قوّم مسراهم والذي حقق معنائهم، والذي أفاض منهم ماء الحياة للواردين فجعلهم أحواضا للواصلين المشوقين، وللأغنياء المفتقرين وللكرام السائلين ولمن استيقظوا من النائم الضالين الغافلين فأصبحوا أنهارا وبحارا للعارفين المستهدين بهم قام الدين، وبهم يقوم الدين، وبهم يدخل الناس في الدين وفي اليقين وبهم يكون الناس في الدين وفي سدرة المنتهين، حجب النور والظلام للأحياء السباحين.

هذا هو الدين على ما هدانا إليه رب العالمين، وعلى ما جاءنا به رسول الله الأمين للطالبين رسول الله من الروح ومن الناس أجمعين، وعلى ما يقيمه الله في كل زمان وفي كل وقت وحين...

وعلى ما يظهره الله في هذا العصر بقارعة للطاغين وردا للضالين إلى أحضان السلامة واليقين، وهديا للمسترشدين وغناء للمفتقرين ينزله بالروح من السماء ويعم به جميع الأرجاء، فالיום تكلمنا السماء وتأخذ بيد الطالبين وضعا بدوائرها السحرية فتقدم الماء للعطشين، وتكشف الطريق للطالبين، وتبهر ظلام المستهدين، وتحيي موات القلوب للمستسلمين، وتبعث الأحياء من الموتى في أحداث المسترخين من المتعرضين لنفحات اليقين. (عدّ نفسك من الموتى)^{١٦}، تكن من المؤمنين، فالموتى اليوم من الأجداث يتحدثون، والصالحون من الموتى يقومون، ها هم الموتى معنا يتكلمون.

هذه هي رسالة الغيب ورسالة الناس للناس من اليقظين لليقظين يقيمها الله مجددا لها بحكم الصبغة وناموس الفطرة في عصرهم هذا، معمما لها للعالمين، على ما أقامها في سابق للقرى في قرية داوود وبمدينة الأمين، ومن أهل القرى نشرها وأسراها إلى سائر الأمصار والأقطار، في كل وقت وحين، ختمها بعيسى لبنوة نوح وإسرائيل خاتما وطابعا للنبيين من الحواريين، وطابعا للمهتدين وعبدا من الراشدين، وجددها وبدأها للناس أجمعين بمحمد عبدا لقي ربه، قدوة ورسالة للمفتقرين ووجهها وطلعة للمتشوقين. جعله كافة للعالمين، في بلد طيب وبروح أمين، جعل في الإيمان به وبربه الخلاص واليقين.

رسالة جعل الله بها الذين آمنوا فوق الذين كفروا ظاهرين، من أهل بلد لله خاصمت وضلت مع الضالين من أهل الكتاب والمستهترين، قهرها وأخضعها للمؤمنين بما أودع الله بالرسول الأمين، وقد مثلت بأهلها فيها له عنده شيطان نفسه بقومه كنودين، للحق به لهم جاحدين.

أعانه الله على شيطانه بهم فأسلم، بإسلامهم له مقهورين وأخضعه لنفسه فتابع إلى حين، ولكن لعقله به ما عقل فأمن، ولروحه منه ما بالحق فجدد لمعناه فيه فسلم له، فرضيه الله الغفور الرحيم، فسلم يوم هو لرسوله أسلم، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم من بعده لظاهر له بينهم ضالين وهو ما فارق بكوثره المؤمنين بشبح وروح ونور ويقين، له مستقبلين، معه متحدثين، بأمره مؤتمرين.

تمثل هذا في قريتين، في بلدين، في مدينتين، مدينة الرسول وهو بعيد عنها بشبحه، قريب منها بروحه استسلمت طائفة مطيعة بما كتب الله لها من سعادة في سابق قدره، مثلاً للمؤمنين، والبلد الحرام مثلاً لعموم الناس وأغلبهم في طبيعتهم استعصت وعصت إلا من رحم.

ولكن الله نصر رسوله لتظهر رسالته فهداها بالقهر، واستجلبها لساحة الرسول لليسر، وما زال الرسول يعمل، فيما عمل على ما عمل وبما به بعث، وها هي الأيام تتتابع، وها هو فجر الليل يوشك أن يشرق والظلام يوشك أن ينقشع وها نحن في انتظار صبح بحمد، ها نحن في انتظار نور محمد، ها نحن في انتظار فجر محمد، يدور في دورة الأيام من الزمان على ما هو دائر، بين يوم مشرق من نهار، وسكون مطمئن من ليل، دوايك بداية القرون وتماها، وبداية الآلاف من السنين وختامها في دوراتها، فهو مولد الأزمان والعصور بعترته، وأهله من ذريته وهو دورة أيام الله من الدهور بمجده.

فنسأل الله به أن يهدينا، ونسأل الله به أن يرحمنا، ونسأل الله به أن يحيينا، ونسأل الله به أن به يقيمنا، ونسأل الله به أن به يبعثنا، لا إله إلا الله، لا معبود غيره ولا موجود سواه. نشهده أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

اللهم تب علينا واغفر لنا، اللهم آمنا في ديننا ودينانا، اللهم آمنا في حرياتنا وأوطاننا، اللهم آمنا في صحتنا وأرزاقنا، اللهم آمنا في أهلينا وأولادنا، اللهم آمنا في طريقنا ووجهتنا، اللهم آمنا في جمعنا وجماعتنا.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، اللهم انصرنا على أنفسنا حكاما ومحكومين، اللهم اهدنا حكاما ومحكومين، اللهم تولنا حكاما ومحكومين، اللهم اغفر لنا حكاما ومحكومين، اللهم قوم سبيلنا حكاما ومحكومين، اللهم قوم وجهتنا حكاما ومحكومين، اللهم ألهنا الصواب وأقنا بالحق حكاما ومحكومين، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقاءك.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ استلهاما من {جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} سورة الرعد - ٢٣. و{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} سورة غافر - ٨
- ٢ مقولة صوفية تتناغم مع خلق الله للإنسان تكليفة لله.
- ٣ سورة مريم - ٩٣
- ٤ سورة الكهف - ٢٨
- ٥ استلهاما من {واخفض جناحك للمؤمنين} سورة الحجر - ٨٨، والآية {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} سورة الشعراء - ٢١٥
- ٦ سورة آل عمران - ١٥٩
- ٧ سورة آل عمران - ١٥٩
- ٨ سورة الكهف - ٢٨
- ٩ سورة البقرة - ٣٧
- ١٠ سورة الضحى - ٥
- ١١ سورة الفتح - ٢
- ١٢ من حديث شريف: "إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ لِلَّهِ سَاجِدًا. وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا..." جاء في سنن الترمذي، كما أخرجه ابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير.
- ١٣ سورة الذاريات - ٤٧
- ١٤ سورة يس - ٨١
- ١٥ سورة الأنبياء - ١٠٤
- ١٦ حديث شريف رواه عبد الله بن عمر: "أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ جَسَدِي وَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى". أخرجه البخاري.

(٤)

الإنسان ببدنه

دار الحياة وبيت الصلاة

الهيكل حرم والقلب قبلة والنفس عالم والعقل إمام،
والجوارح حواريون والأعضاء أكوان والذات وجود

حديث الجمعة

٨ ذو القعدة ١٣٨١ هـ - ١٣ أبريل ١٩٦٢ م

إلى مضيفنا في داره، إلى من وعدنا بجواره، إلى الحياة إلى القيوم علينا بالحياة، إلى وجودنا بموجودنا،
إلى خالقنا، إلى مطورنا ومبدعنا، إلى من أوجدنا من العدم، إلى من خلّصنا من الندم، إلى من أغرقنا
منه في الكرم، إلى من وعدنا بلقائه، إلى من جعل سعادتنا في دوام رجائه.

إلى الإله، إلى المتجلي بعبد الله، إلى الألاه، إلى من شهدنا وجهه، في كل ما يحيط بنا، بعين وجهه
فيينا.

إلى الله، نرجوه ونحياه.. إلى الله، نسعده ونبقاه، وفي أنفسنا نلقاه.. إلى الله، من جعل كعبته لجوارحنا
في قلوبنا، ومن جعل إمامة جوارحنا لعقولنا، ومن جعل كتابه في نفوسنا لنفوسنا لقراءتنا وعلما، ومن
جعل عالمه لعلنا، في ذواتنا، لبدء وجودنا.

إلى الله، إلى من جعل معنانا من معناه لنعرفه ونرضاه، ومبنا من مبناه لندركه في مداناه، وعالمنا من
عالمه لنعلمه في معناه، ووجودنا من وجوده لنشرقه ونبقاه أحياء وعبادا لله.

إلى الله، مؤمنا بنفسه، في إيمان أنفسنا بنا، في ساحة وحدانيته، إلى الله عالما بنفسه، في علما عنا بعلمه،
إلى المنزه في ذاته وعلمه عن إحاطتنا، هو بنا المحيط.

إلى الله روح الحياة، يوم تتنفس أنفسنا عبيق الحياة من روحه، ويوم تدرك الحياة، بقيوم الحياة به. فنشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أنه لا إله إلا الله محمد. نشهد أنه لا إله إلا إله محمد فنرى محمدا عبدا لله ورسول الله وحق الله وأولى بنا من أنفسنا.

نرى محمدا، يقوم ويتقلب بالسجود فينا، نرى محمدا هو المبعوث في بعثنا من الخلق، والقائم في قيامنا بالحق، نشهد عبوديته لله بعبوديتنا به، فنستمع لرسالته من الله إلى عقولنا في أنفسنا من روحنا.

نلبي نداء الله فينا إليه، في تلبية ندائه منا به. (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه)^١، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}^٢.

هو أحب إلينا من أنفسنا، مؤمنين، وهو المخاطب منا لقائم الحق لاجئين، يا عبد الله، ويا رسول الله، ويا نور الله، ويا روح الله، ويا نسمات الحياة.

إذا ناجينا الله، وقد وضع الله كلماته إليه على الشفاه، فما ناجى الله إلا الله، وما خاطب الله إلا الله، وما سمع الله إلا الله. (إذا كنت بين يديه علمني كلاما أخاطبه به)^٣.

به تؤمن، فنرى المؤمن وجه المؤمن. وبه نقوم فنرى القائم وجه المقيم، فنرى في وحدتنا وحدة القيام، فنقوم وجوها لمن هو قائم، بالأمان والسلام.

نسأله الحب، وقد عرفناه الحب، فسدنا بالحب في التحاب واتحدنا بالمودة في الحجاب، وانتظمنا بالألفة والسلام، وتطورنا بالعقيدة في القيام، فحافينا فينا ومنا المذموم، وطلبنا لنا وبيننا المرضي المعلوم، فكنا العالم والعالم، والمشاهد والمشاهد {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم}^٤.

طلبناه موجودا، ورجوانه مقاربا، وكشفناه فينا قريبا، فأمناه {قائم على كل نفس بما كسبت}^٥، (وأقرب إلى كل نفس من جبل الوريد)^٦.

مصباحه في مشكاة صدورنا، وملكوته في حياة جوارحنا بين جوانحنا، ورسالته في انتشار نور عقولنا لعقولنا، وأسمائه وصفاته من يحيا بنا منا في بيته من قلوبنا، وكبير عالمه، قائم في صغير عالمه من ذواتنا لوحدانيتنا، نعلمه في صغير ذراتنا قبل كبير ذاتنا، عالمنا من عالمه في عالم له يحيط بنا.

السموات والأرض دار سراحنا ومراحنا، وكتاب قدسه مقروء ذواتنا، نعرفه لنا ربا يرعانا، ونعرفنا له عبادا بذاتنا ومعاننا، لذواته ومعانيه، لقائم حضرته، لا حد لها، ولا عد لأهلها.

لا نجادل فيه، ولا نماري فيه، إلا جدلاً ومراءً ظاهراً، ولا نستفت فيه من الغافلين عنه أحداً، نعرفه على ما عرفه عبده ببعثنا بعبده في عبده، عباداً في عباد لحق وحقيقة عبده، نفوسنا مطمئنة، دخلت عبداً، ساحة جنة.

فكان لها قديمها وكانت له جديده، جددته بإيمانها به، في جديده لها منه، فكانت بجديدها قديمه وعتره له فتقدمت بجديده منها عتره لها لكوثره. فعرفت في قديمها قدمه في جديده، كما عرفت في جديدها جديده لقديمها بقديمه، فما تعالى في الله جديده على قديم بقائم الباقي واسما له، وما استعلى بوحدانيته قديم على جديده لقائم الأزلي وجهها له.

فالخلق منه، على دوام به، علماً على لانهائي فيه - يبعث به فيهم قديم الحقائق، في صورة من جديده الخلائق، فيتحقق الخلق، ويتخلق الحق، دوايك بلا بدء وبلا انتهاء.

فيقوم في قيامنا إليه الرجاء، وينطق منا منادياً لنفسه بالدعوة والدعاء، فيستجيب لنا بقديمه لمعاننا، وتستجيب له بجديده لمعناه، فنعلم يوم ندخل لا إله إلا الله، ما يكون حصن لا إله إلا الله، ومن يكون قائلها معلماً، ومن يكون قائلها متعلماً، ومن يكون قائلها عليها علماً، ومن يكون قائلها علماً يعلم، وكتاباً يقرأ، وداراً تدخل، وسماً تطرق، ويوما يقوم، وساعة تُبهِت، وعملاً يرد، وجزاءً يمنح، وحقاً غير ممنون. إن الذي جاءنا به عبد الله ورسوله، حقية عبده ورسوله، من إذا ذكرناه ذكرنا مولاه، من إذا عرفناه عرفنا ربه وإلهه وقده وعظمته، فأدركنا قرب الرب وعظمة الإله، بإدراك القرب والعظمة لعبد الله. فآمنا بالله، وحق قدره قدرناه، فلم نخله منا، ولم نخلنا من معناه ومبناه.

إن الدين إنما يدور حول الرسول وفهمه عبداً وإنساناً، وحول فهمه تدور المعرفة، وبالمعرفة نعرف عن أنفسنا، وفي معرفتنا عن أنفسنا في قيامتنا، وفي انعكاسنا إلى داخلنا من خارجنا نعرف ونلقى ساعتنا من رحمته، باستجابة نفوسنا، لما تأمر به عقولنا فنستقبل عطاءنا من فيض أرواحنا فنسلك طريقنا، وهذه هي استقامتنا يوم نستقيم.

ليس هناك في الدين ولا في اليقين ما هو بعيد عن متناول أيدينا. قطوف جنانه دانية لمن قطف، مدركة لمن عرف، مذاقة لمن طعم، مطروقة لمن إليها سار فعلم، فإلى أبوابها تقدم فسلم، {والسما والطارق النجم الثاقب}، {والنجم إذا هوى}، {جعلنا الشمس عليه دليلاً}، {وجمع الشمس والقمر}، يوم لا وزر، لا أثقال، لا أحمال، لا ظلام، لا أجسام ولكنها النفوس والعقول والأرواح، تحررت من سجونها من الأشباح، وانطلقت إلى معشوقها من الحق، فجعلها منه، حرة بحريته ومريدة بإرادته، طليقة في انطلاقه ولا نهائيه.

من عرف الدين، من أدرك الدين، من ذاق الدين، عشق الدين، وجعل من الدنيا كتاب يقين، وجعل من الآخرة دار لقاء وحنين، وجعل من السماوات والأرض دار سكون، وجعل من خارجها ساحة انطلاق وفنون، عنها ينطلق بإيمانه في نهاره، وإليها يسكن في ليله بهجته، يتقلب بين الليل والنهار، في قلبه بين الجسد والروح آوياً أو منطلقاً، هو من عالم ليله لذات وجوده في موجود داره متحرراً إلى ساحة نهاره في موجود حقه، في لانهائي ربه، عبداً لله لا تظله سماء، ولا تقله أرض...

مستجيباً لنداء الله {ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض} ^{١١}، قائماً بسلطان الله، منطلقاً به في وجود الله، {يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض، فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان} ^{١٢}. وما خلق الله الجن والإنس إلا ليكونوا عباداً له بسلطان منه.

فليس عبداً له من كان سجين بيته، وسجين داره، وسجين ذاته، وسجين عالمه، وسجين نفسه، وسجين معناه. إن السيد الحر الطليق لا يعرف ولا يستقبل إلا السادة، إلا الأحرار، إلا الطلقاء.

{لا إكراه في الدين} ^{١٣}، {أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} ^{١٤}، {لست عليهم بمسيطر} ^{١٥} ما آمنوا بالله، {أفأنت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم} ^{١٦}، {أفأنت تكون عليه وكيلاً} ^{١٧}، إنما هو لك خليل وأنت له حبيب ودليل. فقد تجاوز العلم به، إلى الحيرة فيه بعلم عنه. فعرف الله في عجزه عن معرفته، وعرف الله في علمه عن نفسه، ثم عرف الله، علماً وعالماً ومعلومًا وعجز عن معرفة نفسه به. وقد فرق بين معلومه، وبين عالمه، وبين علمه، فرآه وهو العبد العالم والمعلوم والعلم.. فما يكون الأعلى لحسه ووجوده؟!

قدره ورآه، ما لم يدرك وفوق ما رأى من علم وعالم ومعلوم فتاه في ساحته لا حد لها، وحار في علمه لا توقف له، وعجز في معلومه منه، لا جذ لعطائه له ولا منة عليه، فضل في عالمه به.

ويوم عجز عن العلم عن معلومه له، وقد عجز عن التكييف لعلمه في علم ربه، أدرك ضآلته على عظمة علمه بعالمه، أمام من علم وعالمه فأدرك ضآلته حاضره بمعلومه أمام ما يرجو لقاءه بمعلوم له، على ما رأى، في عالم معلومه، فعجز عن إدراك نهاية لأطوار معلومه، بقائم عالمه لعلمه فضل في أمر معلومه من فعل معلومه.

هكذا أراد الله، لمن يريد أن يعبد نفسه له، فيكون عبداً له. فيرسله لخلق ذكراً له، يبعثه بقديم بدئه كتاباً له، في عوالم بدئه، بمعلوم أطوارها في أي صورة ما شاء ركه.

إن الإنسان في ذاته، قائم قرآنه، ومبدي بيانه، ومقيم عنوانه، وإنجيل معناه، وقديم فيده، ووجه مولاه، وأطوار توراته، لقائم ذاته ومجتمع صفاته هو قبلة خلقه منه بفعله، هو ساحة ربه فيه بفضلته ورياض جنانه لمتابعيه، ونار قدسه لعاشقيه وظاهر غيبه للحائرين فيه.

الإنسان كريم في معناه، مبارك في مبناه، معبد في نفسه، موجه في عقله، حي في روحه، محي في فعله، ولقد سعد الإنسان باسمه ووصفه، ممن خلقه على صورته، وواءم بين إرادته وإرادته، وطابق بين مشيئته ومشيئته، ونسق أمر وجوده في واسع وجوده. فأودعه أمره، وكشفه سره، وأرسله عبده، وقامه ربه، وأعلاه إلهه.

ولكن الناس يجادلون في الله بغير علم، ولا هدى ولا كتاب منير، وإذا تصدوا للتعريف عنه، وهم في قائم من غفلة عنهم، لا مدركيه لمعانيهم، ولا مقدرية لمبانيهم، أهل كتاب لكتاب عندهم نسبهم، هو صحائف من ورق، ورسوم من محابر، وسواد من أقلام لله مادة نسبوه، وبالله لهم، نورا ما عرفوه، وبحورا من المعرفة ما سبحوه، ومفتاحا لحريرتهم في الوجود ما أعملوه، فوجودهم بالله ما قدره وما شهدوه، وفي صحائف قلوبهم ما أشهروه ولا نشروه، وبالحق رسولا مشهودا، وربا بالحق موجودا ما لا قوه.

ولكنهم ولا شيء من ذلك لهم هم يعلمون الكتاب. ولا كتاب لهم، {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} ^{١٨} فهل فعلوا؟ {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} ^{١٩} فهل عقلوا؟ {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم} ^{٢٠}، فهل لما يبرز الله في كل وقت وحين من العلم قد علموا؟ {ولا هدى} فهل جاهدوا أنفسهم ليهتدوا؟ {ولا كتاب منير}، فهل تلقوا فرادى بعد مثني فتفكروا...

{أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء} ^{٢١}، {أوحينا إليك روحا من أمرنا} ^{٢٢} فكان لك ذلك وقد جعلناك لهم بينهم أمرنا، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه} ^{٢٣}، {وإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ^{٢٤}، {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده} ^{٢٥}، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^{٢٦}.

فهل آمن هؤلاء؟ هل خرجوا من معاني الكفر، وقد كفروا بالله أقرب إليهم من حبل الوريد، معهم أينما كانوا، من ورائهم محيط، قائما على كل نفس؟! ثم هم يتكلمون عن الله، ويعرفون عنه، وما عرفوه، وما آمنوه، وما في وجود شهدوه، ولا في أنفسهم وجدوه فكيف على الناس يقومون بظلامهم، ويتقدمون بكلامهم؟! يقودون الناس إلى مقابر قلوبهم، فيخرجون الناس من حقهم بفطرتهم إلى

ظلامهم بعملهم، بما يتعلمون عنهم، مباعدين بهم عن الله في علمهم وقيامهم بمعبديه عن أنفسهم بعيدة عنه، فلا يزدادون بصلاتهم من الله إلا بعداء، ولا يزدادون بعملهم في معاملتهم من الله إلا مقتا، ولا يزدادون بمساعهم بمعبديه فيهم إلا فقدا.

هذه هي حال مجتمعنا على ما نرى وعلى ما نشهد، وعلى ما نقوم، فهلا فعلنا ما فعل رسول الله بنفسه لاقتدائنا إماما وقدوة لنا، من جعل الله لنا في بلائه به وابتلائه له لنا أسوة.

(تفكر ساعة خير من عبادة عام)^{٢٧}، (إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة)^{٢٨}، (أهي أغيان أغيار يا رسول الله منها تستغفره، لا بل هي أغيان أنوار)^{٢٩} من معرفة طابت لها النفس واستراح لها الحس وقبلها العقل، وانطلقت بها الروح، رآها كماله وحدد بكلامه لمشهوده عطاء ربه فكان في ذلك خطؤه ووزره. فلما عرف أن الكمال لا حد له وأن العطاء لا جز له، وأن الله لا وصف له، وأنه في مطلقه ولا نهائيه لا ثبات لذات له، وأنه بمعانيه في معانيه من روح الحياة اللانهائي لا انقطاع لمعانيه منه، وأن اللانهائي فيه لا غيبة له ولا توقف للمرتقى به، عرف أن معاني العبودية فيه، هي السعادة لطالب العبودية له، وهي الحق لمن يعنيه الوصلة به في عبد له، وعرف أن الربوبية عليه ما هي إلا عبودية فيما يطلب من الحق ربا له.

فيوم عرفه وقدره حق قدره، فطلب الرفيق الأعلى من عباده ليفيض عليه من ربه استقام في الله أمره، وسكن بالله سره، فأبان عن الله جهره بالذي عرف في نفسه، عاجزا عن كمال معرفته، لجديد من رشاد ليسلك به مرتقى خلف رائد لمراد فطلب منه في نفسه أن يحيا مسكينا وأن يبعث مسكينا وأن يحشر في زمرة المساكين.

أدرك أن الملاء الأعلى، وقد صار منهم، وعرفه كان منهم، يطلبونه كما يطلبه الطالبون من ملئه من الناس في الملاء الأدنى، وأن في دوام طلبه ودوام الاستقامة في طريق ربه ودوام الاهتداء إلى جديد من أمره، ودوام القيام في مرضي الشأن من شأنه تكون سعادته وسعادة من يتابعه عليه فقال للناس {فاتبعوني يحببكم الله}^{٣٠}، (لكم من الله مالي)^{٣١}، ما تابعتوني قدوة لكم، وما ارتضيتوني أسوة لكم، وما عرفتموني عبدا لله وأخا لكم، فأنا أخ صادق لمن يؤاخي منكم، وابن وفي لمن يلدني بينكم وأب بار لمن يراه مني منكم.

فأنا لكم الابن الهادي لأبيه، والأخ الداعي لأخيه، والأب الراعي لبنيه. اقبلوني على ما يرضيكم مني، فإني أقبلكم على ما يرضيكم بي، لا انقطع عنكم ولا أحب أن تنقطعوا عني، ف (أنا حي في قبري من

حج ولم يزرنى فقد جفاني)^{٣٢}، (تُعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم)^{٣٣}.

إليك رسول الله محبتنا، وإليك رسول الله وجهتنا، وإليك رسول الله سعينا، وإليك رسول الله قبلة لنا صلاتنا، بيتك بيت طوافنا، ويدك يد السعد والنعمة لنا من ربنا ووجهك وجه الجمال والحق لنا من خالقنا ومبدعنا، ومن رحمة الله بك لنا فيه من بين أهلِكَ سفن نجاتنا ومصاييح حياتنا.

إليك رسول الله نتجه، وبك إلى الله نستشفع فبجاه ربك عندك لنا فاشفع على ما أذن لك، ف {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}^{٣٤}، وقد جعلك صاحب الشفاعة والضراعة وصاحب الوسيلة والفضيلة وصاحب المكانة الرفيعة، والحصون المنيعة، وها هي أعمالنا ترفع إليك ونحن نعلم أننا لا نرضاها، فاشفع على ما وعدك الله، وعلى ما وعدت، وعلى ما أذن الله، وعلى ما قمت، إن حالنا لا يرضيك ولا يرضينا، ولكنه وقع بقضاء الله، الذي لا يقع في ملكه إلا ما يريد على ما أعلمتنا وعلمتنا.

إننا نفوس تجادل عن أنفسها، إن الشر من صنعنا به نفخر، وإن الذنب من طبيعتنا فيه نتواجد، ورحمتك، ورحمة ربك ديننا ورجاؤنا وأملنا، أنت وربك بالحق بها جدير، وعليها بها منكنا لنا هو بكما عليها قادر.

فبدل اللهم بحكمتك أحوالنا، واقبل من رسولك الشفاعة لنا، واغفر لنا، وتب علينا حتى نتوب، واغفر لنا حتى نستغفر، وقومنا حتى نستقيم، واهدنا حتى نهتدي، وعافنا من عدلك حتى لا نهلك، وأعل كلمة الحق علينا حتى نحيا، وأعل كلمة الحق فينا حتى نبقي، وأعل كلمة الحق منا حتى ترضى فترضى، وجدد اللهم بفضلك للرسول إسلامنا حتى نرقى، وبه إيماننا حتى نعرف، ويقيننا وكتابنا ومعرفتنا وأحوالنا وقيامنا حتى ننتشر ونشرف، إنك على هذا قدير، وبه جدير، ونحن بك إليه نصير.

اللهم فاقبلنا في المقبولين، وارحمنا في المرحومين، بشفاعة عبدك، وابن عبدك ورسولك، ورسول رسلك، ورسولك إلى رسلك وأوادمك، من عرفناه فينا، عبدا ورسولا لك، وصلناه على ما أمرتنا بمحبتنا، ووصلنا على ما أمرته بسكينتنا، فكان لنا السكينة وكتابنا في رحمتك من رحمته في المدينة.

فطفناه واستقبلناه، طوفا بدارك واستقبالا لوجهك، وطلعتك من ورائه أنت بإحاطتك كما بها أنت من ورائنا، وجهها لوجه شهدناك وشهدتنا، فكان قبلتنا على ما أمرت، ودار طوافنا على ما هديت، وبعث نفوسنا على ما وعدت.

اللهم به فاقبلنا. اللهم به فابعثنا، بعثنا من بعد بعث، اللهم به فعلبنا، علما من بعد علم، اللهم به فأحينا حياة من بعد حياة، اللهم به فأبقنا بقاء من بعد بقاء، اللهم به فيك فامحنا محوا من بعد محو. اللهم به فالقنا لقاء من بعد لقاء.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الآنَ يَا عُمَرُ**". صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". متفق عليه.
- ٢ سورة النساء - ٦٥
- ٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤ سورة آل عمران - ١٨
- ٥ سورة الرعد - ٣٣
- ٦ استلهاما من {ونحن أقرب إليه من جبل الوريد} سورة ق - ١٦
- ٧ سورة الطارق - ١-٣
- ٨ سورة النجم - ١
- ٩ سورة الفرقان - ٤٥
- ١٠ سورة القيامة - ٩
- ١١ سورة التوبة - ٣٨
- ١٢ سورة الرحمن - ٣٣
- ١٣ سورة البقرة - ٢٥٦
- ١٤ سورة يونس - ٩٩
- ١٥ سورة الغاشية - ٢٢
- ١٦ سورة الجاثية - ٢٣
- ١٧ سورة الفرقان - ٤٣
- ١٨ سورة آل عمران - ٧٩
- ١٩ سورة البقرة - ٤٤
- ٢٠ سورة الحج - ٨
- ٢١ سورة الشورى - ٥٢
- ٢٢ سورة الشورى - ٥٢

- ٢٣ سورة النحل - ١
- ٢٤ سورة يوسف - ٨٧
- ٢٥ سورة غافر - ١٥
- ٢٦ سورة يوسف - ١٠٨
- ٢٧ حديث شريف: "تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة." تخرج الإحياء للعراقي، كما أخرجه أبو الشيخ في ((العظمة)) وابن الجوزي في ((الموضوعات)) باختلاف يسير.
- ٢٨ حديث شريف: "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة." أخرجه مسلم وأحمد وابن حبان. وجاء في الصحيحين، وسنن أبو داود بصيغة "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة".
- ٢٩ مما ذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه "لطائف المنن" أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسألته عن هذا الحديث (إنه ليغان على قلبي) فقال لي: يا مبارك ذلك غين الأنوار لا غين الأغيار."
- ٣٠ سورة آل عمران - ٣١
- ٣١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣٢ حديث شريف رواه الدارقطني، يتوافق مع الحديث الشريف: "ما من مسلم يُسلم عليّ إلا ردَّ الله عليّ روحي حتى أُرَدَّ عليه السلام." رواه أبو داود بإسناد جيد، وحديثين ذكرهما الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة": "أنا في قبري حي طري، من سلم علي سلمت عليه" و "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٣٣ حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.
- ٣٤ سورة البقرة - ٢٥٥

(٥)

هو عارية الحياة

يجدد بها، المعار، بالمعير، وجوده ومعناه
 بكوثر، لا يبتز، لقائم خلقه، في عوالم خلائقه
 ويجدد بمعناه، معناه، لا ينقضي، لقائم حقه، في عوالم
 حقائقه

حديث الجمعة

٢٩ ذو القعدة ١٣٨١ هـ - ٤ مايو ١٩٦٢ م

أشهد أن الحق، هو حق وجود كل مشهود، فيما نعرف وفيما لا نعرف، بالوجود في الوجود.
 وأشهد أن الله هو حق الوجود لكل موجود.
 أشهد أن الله هو الظاهر في الشهود، والباطن للوجود بالمشهود، بكل ما نشهد أو نعرف أو نقدر للوجود.
 أشهد أنه لا موجود بحق غيره، ولا مشهود بحق غيره، ولا شاهد له بالحق غيره.
 الإنسان فيه مظهر معانيه، وكتاب حقائقه، وهيكल ذاته لمبانيه، تجليا من كنزيتة في قدسه، لظهوره
 بمعناه، لمن ظهر له فيه لقائمه بمعناه، في قيامه بمبناه عبدا وعلما لله. فليس له من دنياه، إلا القيام بذكر
 الله وما والاها.

بذلك كان الإنسان للإنسان، هو الكون ومكونه، وهو العبد ومعبد، وكان الدين في معرفة الإنسان
 لإنسانيته. وكانت المعرفة في معرفة الإنسان لأمره وعنوانه، وكانت الحقيقة في معرفة الإنسان لمعاني
 الخلق فيه، ولمعاني الحق به، ولمعاني الكون له.

فكان الإنسان بذاته لكونه هو الطبيعة في قائم صغيرها لكبيرها. وكان الإنسان بعقله لطيف ما فوق الطبيعة، وكان الإنسان بنفسه لطيف ما تحت الطبيعة، وكان الإنسان بروحه جماع إرادة ما منه فوق الطبيعة وما له تحت الطبيعة، وما هو في الطبيعة، بقائمه لسلطانه، على كائنه لكونه، بعوالمه لعالمه.

فالمعروف بالرب والإله إنما هو العقل والروح، والمعروف بالشيطان أو بالأكوان إنما هو الذات لقائم التطور المادي للكائن، وهو المعروف في الأديان في ثوبها القديم بالخبث أو بإبليس أو بالفتان. وهذا إنما هو النفس المظلمة لحياة الذات، فإذا كان الإنسان على خلق وفي طبيعة سليمة مستجيبة للفطرة كان شيئاً أو كائناً كريماً، وإن كان بعيداً عن الخلق الكريم الفطري وفي طبيعة غير مستقيمة، كان شيئاً أو كائناً لئيماً وشيئاً أو كائناً رجيماً، وشيئاً أو كائناً زنياً. فإنسان الأرض بحاضره وحدة لزوج إنساني، من الظلام والنور، أو من الظلام والنار، في صراع بينهما، إذ يجذب كل منهما إلى عالمه الكلي الأصل، الصادر هو عنه، والموجود هو منه، والمرتبط هو به.

فالإنسان في ظاهره بالخلقية، وهو من جوهر الحقيقة، هو بداية ظهور سر الحياة، الإنسان هو سر الإرادة، والحكمة، ظهوراً وبطوناً، والإنسان هو سر الوجود، والكينونة، ذاتاً وروحاً وإدراكاً، فالإنسان هو سر ما تحت هذه الكينونة بما نسميه النفس، والإنسان هو سر ما فوق هذه الكينونة بما نسميه الروح، وهو ما بقائمه بينهما بما نسميه العقل، فالإنسان في جميع هذه الصور، إنما هو الإنسان.

فالإنسان في أحسن تقويم هو الإنسان، والإنسان في أسفل سافلين هو الإنسان، والإنسان في أعلى عليين هو الإنسان، والإنسان في غيب الوجود هو الإنسان، والإنسان في قيام ومشهود الوجود هو الإنسان.

فمعاني الحياة والنشأة، والدوام، والتطور، والبقاء، هي للإنسان، ومعاني الهلاك، والزوال، والفناء، هي للإنسان. ومعاني الرقي، والتعالي، والتداني، هي أمور للإنسان. ومعاني الانحطاط والانحراف، للإنسان، ومعاني الزمن والتوقيت بالعصر، والبقاء بالدهر، إنما هي للأنا الإنساني، بظهور أو بعمل، لتحديد معنى الحاضر، للإنسان في الحاضر، أو معاني الأزل له لمعنى الماضي، للإنسان القديم إلى الأزل في قائمه لأعلامه بإنسان الماضي، أو تحديد معنى البقاء، ومعنى الأبد، لإنسان الحياة الأبدية، بإنسان البقاء، للإنسان الحقي القائم، أو الإنسان الخلق، للجنس الباقي الدائم.

إن العابد والمعبود، إن الخالق والمخلوق، إن الكائن والمكون.. إن العبد والرب، كل ذلك أوصاف وأوضاع للإنسان، وقيام للإنسان، هي فيه دائمة بدوامه، وهو فيها دائم بدوامها.

ربَّ الإنسان الدائم موقوته ليدوم، يرعاه ليقاه، ويمده بالحياة ليحياه، ويعلمه كيف يحيا ليتجدده، ويجدده بالحياة ليتعدده فيصله ويتصله، ويبقيه ويبقاه، ويقيمه ويقومه، ليبقى به قائماً دائماً، في كل

مستويات الوجود، يحياه من موته، فيدخله مبعوثا، في نعمة نفسه، وجنة رضاه، فيمن هو له، عين معناه، لقائم الرب والإله، في الوجود المطلق، لله، {رضي الله عنهم ورضوا عنه}، وجوه لله لوجوه لله، لا يذوقون فيها قائم أنفسهم بالعزلة عن الحق، بعد الموت الأولى، كما بدأ الناموس أول خلق يعيده، ليتعارف بنفسه لنفسه، ويواصل تعاليه عند نفسه بعاليه، بتجديد كوثره لا يبتز في دانيه.

إن تبديل الجلود لتتضج القلوب، وإن تبديل الجلود ليتذب لب النفوس، إنما هو أمر يقوم بعالمكم النجمي وهو ما يقابل النوم والصحو في حياة الظلال، من دنيا القيام لكم، فليس في هذا النوم والصحو موت أو حياة، بمعناها الصحيح، ولكن الموت، والحياة، إنما هو كسب من طلب الموت من أهل الظلام، ليحيا في أهل النور، فأمات نفسه عن عزلتها عن جميع الحياة بالأحياء، ولزم جماعة الأحياء طلبا للحياة، فمنحها فرصة الحياة بوصلتها بالحى القيوم معها وفيها، لوجودها وشهودها ومن حولها.

إذا استجابت النفس لهدي العقل، فهديت، لصعدت لببت الذات الأقدس، مرفوعا من موضوعه، فتزكت، واستقبلت فيه لفيض الروح المنطلق، والعقل المتحرر، وبالنور أمدت، فقامت الأنا وتجولت في النفس وفي الذات لعالمها، في قائمها بمعاني الوجود المؤمن، واجتمعت على الوعي والعقل لمعاني الرسول والرب، واتصلت بالروح للتححر والانطلاق، في الوجود المطلق، بعثا لمعاني الآله والإله لها.

إن الإنسان كتاب نفسه، يقرأ في نفسه، عن معاني الإله له فيه، وعن معاني الرسول والرب له فيه، وعن معاني الأنانية والنفس حرة طليقة في عالم ذاته، مؤمنة مسلمة لربها، مدركة مؤمنة بالإله لغييبها. {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}، هو {الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}، ففي الرأس مرفوع البيت، وفي القلب موضوع البيت، وفي الجوارح، أمة في عوالمها، مؤمنة بالله ورسوله.

إن النفوس تلتوي على الله، وتغيبه وهو معها، وإن العقول تغمض العين عن النظر إليه، بعكس البصر إليها فيها، وهو في معانيها، بجودا لنعمة الله، بالحياة لها وعليها، منعزلة عن أرواحها، لها وعليها ودونها، انشغالا بأشباحها من ماديات قيامها، وهي بأمانة الحياة، عارية لها، بين يدي رحمته.

إذا انحطت العقول عن مستواها من الحاضر، فإنها تذهب تحقيقا لإرادتها إلى عالم أحط من عوالم الروح القائمة لها، وإذا ارتقت وتصاعدت عن مستوى عالمها من الحاضر، فهي إنما تذهب إلى عالم أرقى من عوالم الروح لقائمها كذلك، وإذا كشف لها الغطاء عن معناها من حاضرها، ما وجدتها إلا في عالم من عوالم الروح كذلك هي منه لا تبتز وفيه تتكاثر.

فالنفس البشرية، هي بين الأعلى والأسفل، من عوالم الروح لها، هي في عالمها لها، قائمة، بمستواها بين العوالم الروحية، يوم تكسب مقام البشر والبشرية، لسدرة منتهى فهي عالم روحي تحت عالم روحي يرعاها، ويحملها دونها عالم روحي يرفعها ويرضاها، فهذا العالم الروحي لها، من قيامها المحمول بيد قدرته، المظل من يد رحمته، هو العالم الوسط، والأمة الوسط، وهو الكيان الوسط، إنه النهاية لما قبله، والبداية لما بعده، من قائم الخلق اللانهائي، ومن قائم الحق اللانهائي.. يتواجدده ويقومه الإنسان، في الإنسان، للإنسان في مطلق الله.

هذا الوجود الوسط، هذا العقل الوسط، هذا الروح الوسط، هذه البشرية الوسط، هذه النفس الوسط، هذا الطور من أطوار الحياة الوسط، يتم للكائن البشري، يوم يتم له معنى الإنسان فيه، فهو أمر الله وخير الأمور، به كانت الأمة الوسط خير الأمم التي أخرجت للناس إذ هي أمر الله، في اجتماع وتآلف القلوب، يدرك معاني الحق فيه بمعنى حقية الإنسان له، ويدرك لمعاني الحق عليه، بمعاني الإنسان الأعلى للحق عليه، ويدرك معاني الحق دونه، منه يتواجد لعالیه، من خلاله، مرعيا منه، على ما تواجد هو من الأعلى، من قائم عاليه لقيومه، على قائمه.

فيعلم الإنسان عن الله، بإدراك الحق له، وعليه، وفيمن يحمله، وفيمن يحمل هو من كائنات الروح على الأرض، ومن كائنات الروح في سماواتها، ممن فوق عالمه ودون علمه وممن دونه في مكتبتها من عوالم الله، معاملة مع الله ورسالة به.

(لو ألقينا بجبل على الأرض السفلى لوقع على الله)°، وهو ما يعلمه فيمن يظله منها برسالته إليها. (إن الملائكة الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم)⁶، (لو قذفنا بحجر فوق السماوات، لتلقفته يد الله)⁷، وهو ما عرف من عودته لعالم نشأته ولا يحجده فيما هو قائم به أو قائم معه من بيئة رسالته {فأينما تولوا فثم وجه الله}⁸.

بذلك يقوم الكائن البشري الإنساني الحقي بوحداية الله، يشهدا ويشهدا، ويتحدث بها، يعلمها ويعلمها، يقومها ويقيمها بدين الفطرة وكتابها وسننها ورسولها بمن جعل كافة للناس قدوة وأسوة، من قام وبعث أول العابدين، كلها أظهره الله بين عباده بالحكمة، وبالخلق العظيم.

إني لشديد الأسف لعجزني عن الإبانة عن الحق لقائم وقيام رسول الله على ما أحب، إذ أنني لا أستطيع أن أضع النقاط على الحروف، فإنني كلما تحدثت عن رسول الله، وأردت أن أنطلق بحريتي في الحديث عنه، عاقبتني العقول الموروثة في نفسي، وفيمن يسمعي، وأنا مع سامعي بروحي أتناوب، ومنه أستمّد، كما عاقني غلبة ظلام الوجود، في وجودي، وفي وجود من حولي، بما أحسه يتردد بين النفوس

من حولي من قلق، أمام ألفاظ العقيدة القديمة المتعفنة، إذ تنقل النفوس كلاماً تتعلق به ولا وعي لها له، وتردد ألفاظاً ولا فهم لها عندها، ويتحرك ويتمعلم الناس والمحترفون والمسترزقون بالدين منهم لياً بألسنتهم بحروفها وجرسها ولا صفاء، يعوقني كل ذلك عن أن أوفي الأمر حقه من القول، أو أتياً لأن أستقبل من الإلهام ما يشفي الغلة عندي، وعند من يستمع لي.

إذا ذكر لهم اسم، من أسماء رسول الله، تفتحت حناجرهم وانتفخت أوداجهم بألفاظ، بوههم الصلاة عليه، ولا صلة لهم به، ولا صلة له بهم، إلا صلة الاسم وصلة الرسم، إنسان وبشر وصفاً له ووصفاً لهم. أما صلة القلب، صلة الحب، صلة العشق، صلة القيام، صلة الوجدانية، صلة الإقامة للصلاة الوسطى فأمر لا وجود لها عندهم.

ولو كان لشيء من هذا وجود في عقولهم، لرأوا رسول الله في أنفسهم، بمرآتهم فيمن يشهدون ممن إليه يستريحون، أو له يحبون، أو معه يتخاللون في طريقهم لربهم بدينهم وسلوكهم، في موجود قلوبهم حياة به.

إن رسول الله هو معاني الحب والألفة والود، هو معاني الوصلة، والأحادية والوجدانية معه، لقائمها له مع الأعلى، لا يعرف ولا يقبل القسمة ولا العد مع المؤمن، ولا مع الأعلى أو الأدنى، إنه الناس لـ اللهم، هم الملاء الأعلى والأدنى في ربهم، يوم يصبح الناس ناساً لقائم اللهم.

إنه الناس، يوم يتجمع الناس، على ذكر رب الناس، مع الرسول، مع الخبير، مع النصب، مع الكعبة جعلت بيتاً يمثل المؤمنون به قياماً للناس فيعرفون الله في أنفسهم، بيوتاً له، ونصباً له، وكعبة له، ويعرفون الرسول في معانيهم، قياماً له، وبعثاً به، ويعرفون الكون في مبانيهم إحياءً لها، وتطوراً بها، ويعرفون الوجود في دوامهم، بدائم الله، أسماءً له، ويعرفون الحياة في فنائهم عنهم، وبقائهم به، عباداً له وحقائق منه، في بيته أو فيمن حوله، في بيتهم موضوعاً أو مرفوعاً.

يصف الناس أنفسهم بالعباد، وهم لا رب لهم، فما لهم في الله من رشاد. {أليس منكم رجل رشيد}، إنهم لم يخلقوا بعد، {وإن الدار الآخرة هي الحيوان}، إنهم في موجودهم من الأرض نباتها هشيماً تذروه الرياح.

إن الذي أعطى كل شيء خلقه، وأعار أمانة الحياة والوجود، لم يحيي الأشياء المعارة، ولكنه أعطاها أن تحيا، وجعل من حقها أن تحيا، أو أن لا تحيا، أما كاسبو العارية، فإنهم يعودون إلى الأرض بالحق، مبعوثين به رسلاً له، وقد اهتموا إلى ما إليه هدى من أمر أنفسهم، له فيه، قياماً به، لمعنى وبعث وقيام إنسان الله وأول العابدين، لقائم أنفسهم به.

فالحياة هي أصل الوجود، والكائن المادي بماديته في الكون، عَرَضُ الحياة لا أصلها، وروح الحياة فيه أصل شبحيته لا فرعها، فلو أنه أراد الحياة موجدا لها بلا إله إلا الله، لتواجد ربه له، بمعناه عنده، في نفسه، فبدأ عمله لخلق نفسه، بأمانة الحق فيه، والحياة له، وجاهد أن يجدد تواجده، باسم المؤمن، دون أن يتعثر فيه المعنى، فيرى العارية لمعناه، قبل كسبها بعمله من عمله، فيظنه لمعناه قائم الرب ولا أعلى له. فما عرف الربَّ إلا قائم العبد له، وما كان الرب ربا إلا يوم جدد نفسه، وجعل من جديده قائم العبد له، في خلة معه، في قائم الأعلى لهما.

فما تواجد الرب في ظهوره، إلا في تواجد العبد بوصفه، فإن بدأت بخلق العبد لربك من عملك لقائمه بك بأمانة الرب فيك، نخلقتك وأوجدتك وأنشأتك، عبداً لمن هو معنك، لقائمتك لمعناه، بأمانة العارية لك، كان الموجود فيك لك، باستقامة قيامك بفطرتك، لقائم لا إله إلا الله، هو ما يتواجد بها للدوام، بالوجود بك لك، في أطوار تواجدك، وما يحيط بك منك، بذلك كانت لا إله إلا الله، شعار دين الفطرة وكتابه. وكان محمد أول القائمين بها، والمتابعين عليها.

فأين هو الآن العبد عندك؟ إن العبد، هو ما سوف تُوجد من عملك! {ليس للإنسان إلا ما سعى}، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}، {إن ابني من أهلي}.. إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح. {إن أهلك إنما هم أهلك من طبيعة عملك، ومن صنعت أنت نفسا لك، أو من صنعوا أنفسهم على ما صنعت نفسك اقتداءً بك وظلالا لك.

إن العمل الصالح، بأمانة الرب الخالق، للمتخلق فيك، وأمانة الإله به، لمعيتك، لمعناك لك، وأمانة الوحدة، قائمة مدركة، في معاني قيامك الموقوت اليوم، تكونه لدوام مجاهدتك وعملك، وهو ما به تنشأ الكلمة الطيبة، فتصبح كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، في جنة الأرض، بأشجارها وارفة الظلال.

فإن عملت بنفسك غافلا عن معية الرب لك فيك للإله معك، أنشأت أو زرعت في الأرض، لقائم قلبك، شجرة خبيثة، تمتد يد القدرة، بناموس رد الفعل، وبناموس طرد الجسم السليم، للعضو الدخيل عليه، تمتد إليها يوما ما، فتجتثها من فوق الأرض، فما لها فوق الأرض أو في جوفها من قرار.

{كتب الله لأغلبن أنا ورسلي}.. {كل من عليها فان}، ويبقى ممن عليها اليوم، من صار على ما أردنا وجهها لربك، عبد نفسه له من صنعه.. فكان عبده، وجهها حقاً، وظهر الإله به، ظاهر معناه، من باطن معناه، من ورائه محيط، في قيام الآباء لاسمه القديم في سفور للأبناء، وقيام الأبناء لاسمه الباقي في سفور للآباء، وجوه ناضرة لربها ناظرة، وجوه لله لوجوه لله لا أول له، ولا آخر له، ولا شريك له،

ولا جهل به، ولا أول ولا آخر لها، ولا فرقة بينها. {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى} ^{١٧}، (من صلح أصلحنا له من صلح من آباءه وأزواجه وذرياته) ^{١٨}، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض} ^{١٩}.

إن هذا أمر قائم في قيام الناس، لا يدركونه، لا لأنه غير مدرك أو لأنه مستحيل على الإدراك، ولكن لأنهم لا يطلبونه، ولا لأنه غير ميسر، ولكن لأنهم يجهلون أو يتجاهلون الطريق إليه، فلا يسلكونه مع الخبراء به بينهم، استكباراً أو استعلاءً عليهم.

يتساءلون بينهم عن القيامة، وعن الساعة، وعن البعث، وما هي إلا ألفاظ لأحوالهم، بصفاتهم في معانيم من القيام الحاضر لهم يجهلونه، أو هي لمحات في حياتهم من إشراقة لهم، بنفحاته، مبذولة إليهم كلمح بالبصر أو هي أقرب، في كل وقت وحين، مكفولة مع عباد الرحمن يمشون بينهم، يجهلونهم أو يتجاهلونهم، ويمعنون في جهلهم وتجاهلهم، وهم به الخبراء، وإليه الشفعاء، ولطريقه الأولياء، ولكتبه الأنبياء، ولعلمه الحكماء، ولماء الحياة السقاة، بأحواض، تنفجر منهم، قلوباً وعقولاً، ونفوساً، هم ينابيع الحياة، تصب فيهم ميازيب الغيوب، يوم تفتتح أبواب السماء، بماء الحياة لطارق، وبنور الحق افتقاراً إليه، من تجمعات الناس، لعاشق.

والسماء ذات الرجع، بأمم من الناس مع معلمهم، هم شفعاء النفوس ذات الصدع، وقد طال بهم زمن العناء، هم شفعاء للمنظرين معهم ينتظرون، ومعهم يعودون، ليكونوا بقدوتهم أولية للمهتدين المفتقرين، وعن الكبرياء متخلين، أئمة للمتقين، ونور الحياة للأغنياء المفتقرين، نور الأمم للمدركين بظلام نفوسهم، الطالبين لإشراق نور الله في قلوبهم.

ليس محمد بدعا من الرسل، ممن سبق بآدم وبنيه، وبكلمات الله إليه منه فيه. وليس بدعا من الرسل ممن لحق، بعباد الرحمن ظلالة له منه فيه، قائم الحق ومعانيه، يمشون على الأرض هونا، هم به العلماء، جعل الله لهم ما للأنبياء، وجعلهم للأنبياء التمام والوفاء، وقد جعل الله لهم ما لإمام الشفعاء وإمام الشهداء، وآدم الأوادم للاقتداء، ظهر بهم، لمن قام منهم، بما لأوادم الله من بدايات، لبيوت له ترفع أو توضع لنهايات، في دورة الوجود وانتشار الحيات.

فماذا عرف الناس فطريون؟! وماذا عرف أدعياء الاتباع لمحمد مقلدون؟! وماذا عرف أهل الكتاب بوهم التمسك بكتبهم يتفهمون؟! هل قرأوا ما بين أيديهم فيما كان في أumm من الناس من قبلهم، ومن قبل كتبهم وأنبيائهم، هم لهم يتجاهلون، وكانوا بهم يجهلون؟! هل استبان لهم ما بين أيديهم من الحق،

ما زال مجهولا عليهم أو مجهودا منهم، مما أبان الله بحمد، وبمن جاء من بعد محمد، مجددا لما سبق في قائم الفطرة بأمم كانت مجهولة عليهم؟!

إنهم بجهلهم وبألفاظ يلوكونها بالسنتهم، لا فرق بينهم وبين البغاوات في ترديدتها، يرددونها دون وعي أو علم بها، وهم مع هذا للعلم يدعون، وعلى ما جاءهم من الحق بحمد يستكبرون، يصفون أمة من عباد الله بأمة الإله، كما يصفون عبدا من عباد الله قائم الرب الإله، وهو بالله ورسالته ولي لمن والاه وروح لمن تولاه. وكيف يستسيغ عاقل أن يصف امرأة أمة الإله!

هل استبان لهم ما بين أيديهم، وقد أبانه الله لليقين به، في الكثير من الحقائق، وقوانين الطبيعة، كشفت عنها علوم الغرب؟! هل وضع رجال الدين أنوفهم وتخلوا عن كبريائهم بألفاظ كتبهم، وتعلقوا بكشف معانيها وفتح مغاليقها، فدرسوا ما هو قائم، وما يقوم كل يوم من الحكمة في الشرق والغرب؟!

هل عرفوا ما هو قائم في أرض نشأة أمة آدم لعلمهم من الأثر المؤسسي الدين من بينهم، على ما حمل إليهم البلاغ من حكمة آدم، لم تغب عن الأرض، بأوادم، لا بدء لها لعلمنا؟ وإن انحرف الناس في هذه الأمم، عن الكلم وعن مواضعه من الأعمال، انحرافنا، بناموس الغفلة والظلام، يتجدد ولا يتعدد.

أمم، هم على سنن من طبيعة البشر، يكشف أمرهم عن سر ما وقع للأنبياء وأممهم، نبتوا في الشرق الأوسط، من تحريف لكلام الله، ومن تعطيل لكلمات الله، من الناس بينهم عن مواضعهم.

هذا ما كان من الأمر في كل بيئة من شعب إسرائيل، كلما تجدد إسرائيل، وفي كل طائفة من شعب محمد، كلما تكاثرت ظلال محمد، فصدق قول رسول الله (تسيرون فيما سارت فيه الأمم من قبلكم...) ٢٠، (إن صلحت أمتي فلها يوم وإن لم تصلح فلها نصف يوم) ٢١.

وها هو الغرب اليوم يؤدي رسالته بالعلم الإحصائي والتجريبي، فيكشف عن حقيقة قدس مشهود الذات، في حياة المادة وحياة الطبيعة، بقوانين الحياة، ونواميس الوجود، لصفات الكون، ومعرفة الفوق والتحت له في تطوره، بكشف قوانين الحياة للمادة، من النبات والحيوان والإنسان، وأسرة الكائن الحي من المادة والروح، الحياة لها في النبات والحيوان.

فهل استبان لنا ذلك، وجعلنا منه مفتاحا لما لا ندرك، بما ندرك، لما هو بين أيدينا من البشرى والإنذار، بكتب السماء، وهدى الأنبياء، لمقام الإنسان، وقائم الإنسان؟

ما قام القرآن كتاب من ورق ولفظ، كتاب علم، وما قامت كتب بني إسرائيل مدونات تاريخ، وإن شئت ولا كتاب ولا كتب دين، ولكنه قام كتابا أعطيه محمد بيمينه، على ما قام أنبياء بني إسرائيل، بكتبهم لأممهم، يقول ويقولون، به وبها، للناس، {هاؤم أقرأوا كتابه} ٢٢.

وما بُعث محمد لأُمم الأرض، إلا ليتمم مكارم الأخلاق، بحقي ذاته لا تغيب، وليكون بذاته وانطباعاتها، لدائمها بيننا، بكوثرها لا يبتز، معجزة وقياماً للناموس المعجز بذاته وصفاته حي في قبره، وفي مجلس الرفيق الأعلى، وقائم الحق في قائمنا به، يقوم ويتقلب في الساجدين...

فنتلفت إلى هذه الذات لنا، وما أودع الله بها من حقيقة وما خصها به من نعمته، كان الرسول بها قدوة لنا، بنشأتها في حاضرها ثمرة أصولها، ماضيا لها، وأصل فروعها، ترجمانا عنها لقائم من الخلق لوصف آدم مبعوثه بالحق، لأول حقائقها، في الله ذي المعارج، حية محيية متصلة مبينة، متجددة.

إن الناس يفهمون أن القرآن أشرف من محمد!!! وما القرآن إلا ألفاظ صدرت عن فم محمد، شُرفت وتقدست بصدورها من فمه.. فمًا للروح القدس لقائمه، قدس الأعلى بها، وما شُرف هو بصدورها من فمه، فهذا وصفه الفطري لا ينطق عن الهوى، وهو الذي ينطق من أفواه الصادقين، وهو لهم روح الوحي، يلقي على من يشاء الله من عباده، إن هو إلا وحي يوحى. {إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين} ٢٣.

إن الرسول هو الكتاب والحقيقة.. إنه الكتاب وأم الكتاب.. إنه الإنسان، والإنسان قبل الإنسان، لقائم الإنسان، ورب الإنسان.. إنه الإنسان بعد الإنسان.. إنه الحق والعلم على الحق. هو معلوم الحق، لعارف الحق، لنفسه فيه، بما طوى فيه من العلم عنه، منتشرا بنور الله له، فيمن يرحم الله به.

فظهر للناس علما عليه، علمٌ، علم غيب الحق له بشهادته به فيه مشهود الحق بين الناس، بمسارعتهم لتحقيق معناه لأنفسهم، قدوة ذواتهم إلى معانيهم، ليتواجد الحق لهم في أنفسهم، بامتداد نور الحق منه، في قيام من صحبته معهم بينهم، في كل وقت وحين، قائما لا يبتز.

يفاض النور من كوثر طلعه بصحبته، وتواجد الروح في القلوب من فيض همته، إذا نفث من روحه، وجدت الحياة فيمن ينفخ فيه من روحه، يغشى الكائنات عذرية، فتنشق وتلد، وتوالد كوثرًا له، يقوم ويتقلب في الساجدين، فيتواجد السجود لله بتواجد وصفه عبداً له، وتواجد العباد عوالم لله بمعلومها منه، لمعلومها عنها.

يقوم فيقوم العباد، ويركع فيركع العباد، ويسجد فيسجد العباد، وما تواجد العباد من بعده سفورا إلا يوم امتد فيهم بنوره ظهورا، فأشرقت قلوبهم بنور الله، ونفث فيهم من روحه، فحييت قلوبهم باسم الله، ورددوا الذكر معه لمعية الله به، فقاموا بذكر الله.

قامت ذاته باسم الذكر المحدث، لمعناه بالحق، لسبقه له، باسم الله من الذكر القديم لله، قائم الحق له وعليه، لا بدء له، عبدا، وربا، وآلها، وإلها، منسوباً إلى الحق، لا انتهاء له، خلقا وتجليا، وحقا وتعاليا،

وعودة إلى الخلق رسالة ورسلا، لا توقف لتواجههم، ولا تعثر لمتخلقهم، ولا انقطاع لبدئهم، ولا انتهاء لعطائهم، رسولا لله من رسول لله إلى رسول لله، {دين القيمة} ٢٤.

الله بدائمهم متواجد بظهوره في دوامهم، لمعاني دوامه في ظهوره بهم، والله في أزليته للإنسان، متواجد بأزليته، تواجد الإنسان أزلا، في أزلية الله. وقد أبرزت الإنسانية أزلية غيبه فيه له، في سرمده كوثر، في كوثر الناس، لا انقطاع له بهم، ولا انقطاع لهم به.

إن الخالق والمخلوق، وإن بدا موجود الخالق قبل وجود المخلوق، أمران ليسا من منزله على الله، فإن الله ما قبل الخالق والمخلوق وما بعد الخالق والمخلوق، فإن الخالق يتابع برعايته المخلوق، وما يخلق، حتى يصبح عين المخلوق، فيصبح المخلوق خالقا، يوم يخلف من الخالق، ولا يتصف الخالق بوصفه الخالق، ما لم يتواجد فيه المخلوق لعينه، وهكذا كان الخالق مخلوقا قبل أن يكون خالقا، وهكذا يكون ويصير المخلوق يوما خالقا، يوم يدعى ويعرف ربا ولله وجهها {والله خلقكم وما تعملون} ٢٥.

إن الله أشرك الإنسان في وصفه باسم الخالق، كما شرفه جل شأنه بوصفه الحق وأوصافه بأسمائه لصفاته، وهو في وصف وصفات وحال المخلوق، لم يفارقها بعد، فوصفها الخالق والمخلوق فيه، إنما هي معاني قائمة بالإنسان، في قائم الوصف للوجه للأعلى له، والكتاب السماوي منه.

فالعابد والمعبود فيه، إنما هو الإنسان، بصفاته، موصوفا بمعاني العابد، في معاني سفله ومطيته، وموصوفا بمعاني العبد في تجليه بالحق، لجديده منه، لقائم وموصوف المعبود، عرف الأعلى له تجليا به.

فالإنسان بقيامه في شهوده، مشهود لنفسه، لمبعوث الحق، بمعاني المعبود، مشاهدا لها، بمعاني العبد، لقائم الموجود، فهو في تمام أمره الشاهد والمشهود، والله له من وراء الكل به محيط، في حياة قلبه وقالبه، لقيوم عقله في معاني قيام أمره.

هل تعارف الناس في الله مع بعضهم البعض، في قائمهم وفي أجيالهم قياما بوحدايته على ما نقول بها، وعلى ما قال القائلون من قبلنا من المدركين لوحدايته، وعلى ما قال القائلون من قبل محمد، مدركة لهم وحادائته، وعلى ما قام به المتواجدون من أمته قياما به، وبيانا لهديه وشريعته؟ ألم يقل الرسول لهم بأزل الفطرة في قول الله له {ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك} ٢٦، {وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} ٢٧؟

فهل رجعنا إلى ما في بلاد الشرق، وإلى ما في بلاد الغرب، لنعرف ما في بلادنا، وما هو لنا من الله؟ إن الحكمة ضالة المؤمن، (اطلب العلم ولو في الصين) ٢٨، فالعلم لا وطن له، إلا في ذات العالم.

إن الحق لله هو العلم عليه، إيماننا بالعلم، وعملا به، وإعمالا له، يوم يُمَكِّنُك هذا العلم من إدراك ذاتك ونفسك، والإحاطة بأرضك لمبتاك، يوم يسير جبال ذاتك، يوم تصبح من عملك به، كالعهن المنفوش في وجودك، يوم تصبح دخان السماوات والأرض بمعنك لمبتاك، وروحها بمعنك للأعلى لمعلوم الحق لمولاك...

يوم تقطع أرضك قطعا، في اشهادك لخلق نفسك، فتدرك كيف إذا النجوم انتثرت، يوم تكور نفسك، حول قلبك من شتاتك، فتعرف كيف إذا الشمس كورت، ويوم تطلب هذا ويتحقق لك منه شيء، لتعرف ما هو الدين، وتعرف أن ذلك هو الدين، لمن أراد أن يستقيم، مع القيمة به، على الناس، فتتوج سلطان قلبك على نفسك، فيستوي العقل على عرشه بك تحمله قوائمه من أبنائك لمعاني أعضائك.

يومئذ تعرف أن القرآن، أو الكتاب السماوي، أيا ما كان، وما جاء به، ما جاء بها الله، إلا ليعرف الإنسان، أنه ما من صغيرة ولا كبيرة من الهدي أو الأمر إلا أتت لتعريف الإنسان عن الإنسان، إماما مبينا، وكتابا حيا، لا يفرط الله فيه من شيء، {ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها} ٢٩، {وكل شيء أحصيناه في إمام مبين} ٣٠، {لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا} ٣١.

يأتي إليه كل من في السماوات والأرض عبدا، ووجهها لرب السماوات والأرض، وما فوقها وما تحت الثرى. ما خلق الله الإنسان ليكون سجين السماوات والأرض، بل خلقه لنفسه، لموصوف الرب، وجعل ظله لموصوف العبد له، كما جعل معناه لله لموصوف الرب للناس، في الله ذي المعارج.

{إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب} ٣٢، أما الناس بالله، فلهم عند ربهم ما يشاءون. (عبدني أطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون) ٣٣.

فإذا ظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها، فليعلموا أن في هذا إنذارهم بما أوعدهم من تحكيم الأرض عليهم، فقد زلت أقدامهم، يوم يأتي الأمر إليها، وحيا لها، لا برحمة أو اصطبار، ولكن بجزاء، بعدل.

وما أمر الله إلا الإنسان بجهنمه، وما كانت رحمته إلا الإنسان برحمته، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} ٣٤، {إن يوم الفصل كان ميقاتا} ٣٥، أما اليوم فأتت ثلوث كتابك فيهم على مكث بينهم، وتبين لهم الطريق القويم لا عوج له، مستقيما استقامة الأعلى، لمعنى ربك وخليك، على ما شهدت وعرفت وقت، في قديم وقائم لك. {لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر} ٣٦، ومن تولى عنك لقائم حقنا بك، فمر فيه من وراء حجبك، {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا} ٣٧.

تدعو بدعوة ربك، وتقوم بسبيل ربك، وتهدي إلى ما هداك إليه ربك. الساعة إلى ربك منتهاها، كما علمت وعلمت، فإذا سألك عباده عنه، ظلال وجودك فقل لهم، ما اعتدت أن تقول على ما عرفت، إنه {إني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان} ٣٨.

أخرجهم وخلصهم مما هم فيه، بين شك في أمرهم، وأمر دنياهم، وأمر دينهم، وأمر رسلهم، وكتبهم، يعبدون الله على سبيل الظن، ويؤمنون بالله وهم مشركون. فما عرفوا من يسلمون له من بينهم، ليهديهم طريق الإيمان في أمرهم.

وإنا لجامعهم عليك يوما، لرحمتهم بعدلك أو بمغفرتك، كلما تكشف لهم أمرك بينهم، بكوثر لا أبترا، ولا عوج لك، يوما لا ريب فيه، في أمرك لأمرهم، فتعلي بالله كلمتك له، وتقر بالله لك، سلطانك لعزته، وتنشر بالحق دعوتك، وتظهر يمينك باليمن في الناس، رضي الناس فأحبوك، أو قلى الناس، فقهروا فأطاعوك، فتألفت قلوبهم بحكمتك، وقومت أمرهم بشرعتك.

{يومئذ يتبعون الداعي، لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا} ٣٩، في يوم للفصل لا بيع فيه ولا خلال، يبرز الله فيه آياته تأييدا لرسالتك وإنفاذا لدعوتك.

يومئذ يخرجون من الأجداث، إلى ربهم ينسلون، كأنهم إلى نصب يوفضون، يخرجون من أجسادهم، طرحا لنفوسهم مزحزين عن النار، أو مسوقين للجنة، أو خاشعة أبصارهم، ترهقهم ذلة، وذلك مصير أهل الجحود. يقومون بما تقومون بمثله لأمركم اليوم في رسالة الروح، مثالية للعلم وللشهود، وهو أمر في السماء قائم، كما هو في الأرض موجود، فهو في عالمكم من السماء الدنيا، كما هو في آخرتكم من السماء العليا، يدرك لكم يوم تسمو نفوسكم فترون ما توعدون، {ولمن خاف مقام ربه جنتان} ٤٠.

إن في السماء رسالة تقوم على أساس مما بلغتم به، لقائم دنيا هي لأهلها خير وأبقى، ويوم تقوم الأرض، وهي قائمة بما بلغتم، وإنه لقائم أنفسكم، تصبح سماء لمدركيها، ولكنه الأمر المستور على أهلها، لا اختبارهم في أمر أنفسهم، لساعة يكاد الناموس أن يخفيها، وما هي بخافية.

تعرف للناس عامة يوم يكشفها الله، بنصره لأهل الحق على أهل الباطل، في ظاهر أمر الناس، بما هو قائم لباطن أمرهم، في قائم قدرة الله لهم، يوم تقوم وتنتشر التعاليم الدينية الحققة، وتنتج آثارها، إذ يتغلبون بها، بسلطان الله لهم، على أهل الباطل من الناس، وعلى الطبيعة، في يسر وتيسير من الله، على ما هو قائم لأهل السبق، لباطن أمر الناس، لنصرة ذكر الله بالرسول وربّه، ونصرة عباده في حاضر لهم، يقوم على ما هو في باطن قائم.

أمر يقومه المؤمنون بالحق، به يشهدون يوما للدين، ويوما للفصل لسفور في دورة له، فيسعد الناس بنصرة رسولهم وكتّابهم ورسالتهم، قياما بدعوة ربهم بقلوبهم، بيوتا له، خاشعة له، مشهودا لهم، لأبصارهم كما هو لبصائرهم، لا ترهقهم ذلة، وتظاهرهم منه العزة.

فبيسط الحق سلطانه لأهل العدل ولأهل الرحمة، فيذهب الباطل وأهله، وسلطان الباطل وأهله، ويقوم سلطان الحق وأهله، في سفور من الأمر، والحق، على ما هو في هذا الأمر، للمتأمل، معروفا للمتحقق، يقوم دواليك في بلاء الله لأمم الأرض، يبدل الله الأرض غير الأرض، ويداول الأيام بين الناس، على دوام من الأمر والفعل، في سر وفي جهر.

وها أنتم في هذا العصر، تشهدون أول هذا اللون من الأمر، يقوم ويظهر ويبرز في غير خفاء عنكم، وفي غير غموض عليكم، ولكن الناس ينكرون أن هذا هو دورة الوعيد، وأن هذا هو دورة الوعيد، وأن فيه تجديد النذير وأن فيه تجديد البشرى، وأن فيه قائم الحق والأمر الموعود. {من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} ^١، {وما أنت عليهم بوكيل} ^٢، نسأل الله لنا العفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا، وغفلنا عن حقيقك فينا.. اللهم فأيقظنا من سباتنا ومنامنا وأحيننا من موات قلوبنا.

اللهم بجاه وسيلتنا إليك عندك، من فينا أقت وبالحق أشهدت وبالحكمة بعثت، وبالكتاب نشرت، وبالنور أحيت، وبالروح حدثت.. اللهم بجاهه لديك، إلا ما لنا علمت، وأيدنا ونواصينا بالحق أخذت.

اللهم يسر أمرنا، ومن عدلك فعافنا، وبرحمتك فعاملنا، وبكلمتك فينا فابعثنا وعلينا فأعلننا، ولها بنا فأعلها، وعلينا فابسطها ومنا فأنشرها.

اللهم كن لها بلانهائك، واجعلنا منها بلانهائيا للانهائك بنا وبها، واجعلها منا لك في لانهائي خلقك. اللهم لا تترك في قلوبنا سخيمة لأحد إلا نزعها، ونفوسنا فزكها، ومن الزلل والخطأ فقها، وعقولنا فأنرها، وأرواحنا فأطلقها، وأشباحنا فأحيها، ونفوسنا فأشعلها، وجوارحنا فقومها، واجعل علاقتنا معك برحمتك، ولا تجعلها بعدلك، في طاعتنا ومعاصينا.

لا إله إلا أنت. سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ٢ سورة الملك - ٤
- ٣ سورة ق - ٢٢
- ٤ سورة طه - ٥٠
- ٥ حديث شريف ذات صلة: "لو أنكم دَلَيْتُمْ أَحَدَكُمْ بِجبلٍ إلى الأرضِ السابعة لهبط على الله تبارك وتعالى". أخرجه الترمذي وأحمد والبيهقي.
- ٦ حديث شريف ذكره الشعراي في "لطائف المنن" مشيراً إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، ٥٦٦، وقد عرج عليه في الفتوحات في الباب الثالث في مضممار حديثه عن تنزيه الحق عن التشبيه والتجسيم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ونصه فيه: "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملاء الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم".
- ٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٨ سورة البقرة - ١١٥
- ٩ سورة هود - ٧٨
- ١٠ سورة العنكبوت - ٦٤
- ١١ سورة النجم - ٣٩
- ١٢ سورة الزلزلة - ٨، ٧
- ١٣ سورة هود - ٤٥
- ١٤ سورة هود - ٤٦
- ١٥ سورة المجادلة - ٢١
- ١٦ سورة الرحمن - ٢٦
- ١٧ سورة الأعراف - ١٧٢
- ١٨ استلهاما من {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ}. سورة الرعد - ٢٣. {وَرَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. سورة غافر - ٨
- ١٩ سورة آل عمران - ٣٤
- ٢٠ حديث شريف ذات صلة: عن أبي سعيد رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ، وذراعاً بذراع، حتَّى لو سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ؛ قلنا: يا رسول الله؛ اليهود والنصارى؟ قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: فَنَنْ؟! رواه الشيخان.
- ٢١ حديث شريف ذات صلة ذكره محيي الدين ابن عربي في الفتوحات المكية. وقد يكون مستلهما من الحديث الشريف: "إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم. قيل لسعد: وكم نصف ذلك اليوم؟ قال: خمسمائة سنة. صحيح أبي داود.
- ٢٢ سورة الحاقة - ١٩
- ٢٣ سورة التكوين - ١٩-٢٠

سورة البينة - ٥	٢٤
سورة الصافات - ٩٦	٢٥
سورة النساء - ١٦٤	٢٦
سورة الحجرات - ١٣	٢٧
مقولة شائعة توافق الحديث الشريف: "طلب العلم فريضة على كل مسلم." أخرجه ابن ماجه، والبخاري، وأبو يعلي.	٢٨
سورة الكهف - ٤٩	٢٩
سورة يس - ١٢	٣٠
سورة مريم - ٩٤-٩٥	٣١
سورة الحج - ٧٣	٣٢
حديث قدسي يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة، جاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".	٣٣
سورة الأنبياء - ١٠٧	٣٤
سورة النبأ - ١٧	٣٥
سورة الغاشية - ٢٢-٢٣	٣٦
سورة الكهف - ٨٦	٣٧
سورة البقرة - ١٨٦	٣٨
سورة طه - ١٠٨	٣٩
سورة الرحمن - ٤٦	٤٠
سورة الكهف - ٢٩	٤١
سورة الأنعام - ١٠٧	٤٢

(٦)

أمة الوسطاء والشهداء

أمة وسطا بين العالين المعلومين

تؤمن وتعمل برسالة الروح لقائم ودائم يوم الدين
قائدها رائدها وحي يوحى ونور يسري في قلوب المؤمنين
كافة

للناس

حديث الجمعة

٩ ربيع الآخر ١٣٨٥ هـ - ٦ أغسطس ١٩٦٥ م

(اللهم إني، أعوذ بك أن أقول زورا، أو أن أغشى فجورا، أو أن أكون بك مغرورا)^١.

بسم الله الرحمن الرحيم

{إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله، ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، ويتم نعمته عليك، ويهديك صراطا مستقيما}^٢. {فذكر إن نفعت الذكرى. سيذكر من يخشى. ويتجنبها الأشقى}^٣، {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}^٤، {قل إنما أنا بشر مثلكم، يوحى إلي، أنما إلهمك إله واحد}^٥.
يا أيها الناس. كل ابن آدم خطاء، ولكن اعلما {إن الله يغفر الذنوب جميعا}^٦، {إن الله لا يغفر أن يشرك به. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}^٧.

إن الله قائم على كل نفس، وأقرب إليها من حبل الوريد. إن الله من وراء كل نفس بإحاطته. إن الله مشهود المؤمن به في نفسه، به يشهده حيثما ولى، {فأينما تولوا فثم وجه الله}^٨. إن الله في معيته لكم، معكم أينما كنتم، معكم في السماء فيها تعرجون، ومعكم في الأرض فيها تولجون، ومعكم وأنتم بشر عليها تنتشرون.

إن البشرية، إن الناس، من الإنس والجن والملك، معهم معنى الله لهم، بعضهم فوق بعض درجات، كلهم لله وجه، وكلهم في الله، وجه لوجه، الأدنى وجه الأعلى، والأعلى وجه لأعلى، ويطول بنا إسناد عننة حتى إلى ذات قدسه، لقائم مطلقه، للانهائي معناه، لقيام موجوده، لظاهر وجوده بالإنسان، للكون وللوجود.

الكل فيه، والكل لحكمته ومعانيه بلاهوته، ولمعاني الغير له بمبانيه لناسوته، لمعاني خلقه من الإنس، والجن، والملك. الكل به قائم، والكل فيه حائر، {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء}، ملكا كانوا، أو جنا كانوا، أو بشرًا كانوا.

له المثل الأعلى في السموات والأرض. وما كان المثل الأعلى فيه لمعاني وجهه وبيته وعلمه واسمه، إلا معنى العبد له، وما شُرف بمعنى العبد له، متشرف بوصف العبد له، شُرف الإنسان فيه بقاءه، وقيومه، بقديمه وجديده، بحقه وخلقته، لموصوف الإنسان، بسابق الإنسانية إلى أزل، وبجديد الإنسان لجديد الإنسانية إلى أبد، وبقائم الإنسان لقائم الإنسانية في انتشارها، وسعيها، وجديدها لها لقديمها منها، في قائمها بها...

حضرة حقية، بعلم بدئها، على أرض تواجدها، لمعاني نشأتها، إلى سمواتها طبقا فوق طبق، إلى استوائها لمعناها، على عين معناه بها، على عرش قيامها، حق المطلق، وقائم الرحمة وعلم الرحمن ويد الإحسان سدرة المنتهى تجري من تحتها أنهار الحياة، وأحواض مائها، وجنان قيامها.

إنما هو إنسان الرشاد، لإنسانية الرشاد له، لا فرق فيها بين صغيرها وكبيرها. الكل في رشاد، لا يفرقون بينهم، ولا يفرطون في أمرهم. يدينون للمطلق في وجوده، ويستقبلون الأعلى من مطلق جوده، لا يُجذ عليهم عطاء، ولا يمتنع عنهم لعملهم جزاء.

يترددون بين الأرض والسماء كلمات لله ترجعهم السماء حقائق المطلق وعباد الرحمن، وتستقبلهم السماء، سفن النجاة، وركب الحياة، بمن يستخلصون من عوالم النشأة والارتقاء...

خلقًا يطلب الخالق، ومتحققًا يطلب الحق، وحقًا يطلب الأعلى، ووجها منظورا باسمه، يطلب وجها يُنظر لمعاني اسمه لعين وجهه رفيقا أعلى.

فمن كانوا وجوها لله يعرفون أولئك هم إنسانية الرشاد يقومون وجوها لمطلق وجودهم، تفيض نظراتهم من عيون رحمته، بنظرات إرادته، بإرادة قدرته، بمظاهر رحمته، من رحمت يده على حقائق خلقه، لقلوب عباده وبيوت ذكره.

{إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله يد الله [وهي أنت] فوق أيديهم} ١٠. يد الله أنت، وقدرته، يوم تستخلص قترحم، ويوم تبطش فتُحَكِّم، {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} ١١. وما رميت إذ رميت، إلا يد رحمته، عزيزة بيد قدرته، جاءت بفعل من حكمته.

{فصل لربك وانحر} ١٢. أمت.. أمت، أمت الظلام، أمت الجهل، أمح الجاهلية، انشر النور، انشر العلم، انشر المعرفة، انشر الحياة، {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} ١٣، فنورنا لك جعلناه وللرفيق الأعلى لك من قبلك كناه، نبعثك على ما شهدت من مقام ربك مقاما محمودا له أعددناك ولك أعددناه، فبك تتواجدك، على ما في قديم تواجدناك، وذكرنا محدثا أنشأناك، لذكر قديم لمعناك آواك وتبناك، فألحى جديك في قديمك وبُعْث قديمك في جديك فكنت إنسان معناك لمبناك ذات قدس لمن والاك.

قل جاء الحق وزهق الباطل، مَنْ محمد لمعلوم الخلق؟ مع محمد مبعوث الحق؟ (والذي نفس محمد بيده) ١٤، (من رأيي فقد رأي حقاً) ١٥، (فإن الشيطان لا يمثّل بي) ١٦. إن الشيطان لا يرتضيّني مثلاً أعلى لمراده في الله. إن الشيطان لا يقبلني وجهاً لله. إن الشيطان لا يرتضيّني ربا له، ومعلما له، وحقا له، ويد نجدة له، وسفين خلاص له، وقائد ركب نجاة له، وخليلا وحبّيبا له.

(واعجبي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل) ١٧. هون عليك يا رسول الله، هون عليك يا عبد الله، هون عليك يا اسم الله، هون عليك يا حق الله، {ليس عليك هداهم} ١٨، ولكن الله {يهدي من يشاء} ١٩ وما يهدي الله إلا إليك {لا نسألك رزقا، نحن نرزقك} ٢٠، وما يشاء الهدى من الناس إلا من عرف أن قديم الإنسان بذكر الله، هو قديم ذكر الله بالإنسان، وهو قائم ربه في نفسه، لقيوم قائمه، فيجعل من الرسول قبلة صلاته وحبل صلاته وتحيات مرضاته.

أنت برسول الله لمعنى الحياة بك يصلي عليك الله هو وملؤه، يصلي عليك هو وملائكته، يصلي عليك بصلاة إنسانية الحق عليك، إليك تتجه ومن خلالك تتجدد، وبك ترضى ظاهر معناها، وعلمها على ما كان من قديم مبناها لحق معناها في نشأتها في مولائها لمطلقها، والاهـا وتولاها وفيه أوجدتها وتبناها، فكان لها معناها وأما وأباها.

إن الأعلى يقول لك لقائم رسول الله بك جعلناك أمرا وسطا، بين أمر قديم إليه تعارفت وعليه اجتمعت رفيقا أعلى، وأمر يُظهِرُه من قديمك من خلالك لمعاني باقيه لك، به فيك التقيت وعليه اجتمعت وبه عملت وبقيت فكنت بينهما، أمرهما، وأمر الأعلى، وأمر الأبقى منهما، بك لهما عبّدت وبهما آمنت ولهما سجدت، ومنهما قبلت وبهما ائتمرت وتابعت فكنت خير الأمور، أمرا وسطا، بين

قديم أمر الله لا بدء له، وباقي أمر الله باقيا لا انتهاء له، أمرا قائما سرمدا لا انقضاء له. هذا هو المسلم يوم يُسَلَّم فيسَلَّم.

كنت بين إنسان الحق، بأزل الحياة، وبين أبدية الخلق، ظاهر قديم الحياة، لجديد وباقي الحياة، {لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء} ٢١. ويوم يحيطون بشيء من علمه، {علمت نفس ما قدمت وأخرت} ٢٢، فَنَسِيتَهَا وَذَكَرْتَهَا، وَجَهِلَّتْهَا وَعَلِمْتُهَا، وَأَفْنَتْهَا وَبُعِثْتُهَا وجوها لله مضافة إلى قديم وجوه الله، ظاهرة بوجه الله، لجديد وجوه الله، وجوه الله بين وجوه الله، أمر الله بين أمرين لله، إنسانية لله بين إنسانيتين لله.

هكذا هو الحق على ما يجب أن يعرف ويقدر، هكذا يعلم الناس عن الله على ما يليق بالعلم عنه، وهكذا يجب أن يتحدث الناس عن الله، وهكذا هي صبغة الله، لفطرة الله، لموجود الله ظاهرا بوجود الله، لقائم وجود الله، متجددا بقديم وجود الله لقادم وجود الله على ما يصح أن نعتقد.

بهذا يقدر الله حق قدره، يوم يُقَدَّر الإنسان في الله معناه، فيتجاهله بمبناه، وبروحه يذكره لمولاه، فيوحد الله، يوم يدخل في حصن لا إله إلا الله انطلاقا من مبناه.

فانعكاسا إلى مبناه لكونه، لباطن معناه، في قائمة بأناؤه، يشهد أنه لا إله إلا الله، ويعرفه في الله، عبد الله، ورسول الله، ومحمد الله، يوم يشهده محمدا رسول الله، فيشهد لمحمد في قائمه بموصوف رسول الله، وبحق الله، وبقائم الحق من الله.

فما كان محمدٌ إلا الحق من الله إذ كان نور الله المنتشر، وإنسان الله المُدَكَّر، القديم المتقادم، والجديد المتجدد لقائم القائم والقادم، بشرى الله، لكل من استقبل البشرى من الله، فقبل فيه لنفسه هدية الله، لخلق الله، لعباد الله.

(أنا رحمة مهداة) ٢٣، أنا الخلاص والنجاة، الخلاص من القيد بالحد، والتوقيت بالوقت، والعجز والمعاناة، أنا القيامة لمن والاه. أنا الطريق لمن تولاه، أنا يد الله لمن قبضته يد الله، أنا قبضة نور الله كانت بها السماوات مطويات بيمينه والأرض جميعا قبضته.

يتكشف لكم الأمر يوم يقوم الروح، بأمر الله، لنشر أمر الله، بفيض نور الله، بحكمة الله، لأولياء الله أحياء في الله، عند ربهم يرزقون، يوم أنهم لجديد الخلق يرشدون، ونشأتهم بالحق يجددون، في يوم لا بيع فيه ولا خلال مع من كانوا يبائعون ويخاللون، ولكن خروج من الأجداث إلى نصب يفيضون.

من يضلل الله، فلن تجد له وليا مرشدا، وأولياء الله، على أرض الله، وفي سماوات أرض الله، يدبون، عبادا للرحمن يظهرون، ولسان صدق يتكلمون، لا تسمع منهم لغوا ولا كذابا، إذا خاطبهم الجاهلون

قالوا سلاما، ولا يوجهون إلى ملوم ملامة، يقومون للناس القيامة ويعلمون ويدركون، أنه لو شاء ربهم ما فعل شيء مما ينظرون، ومما يكرهون.

فهم لأمرهم في الناس يُحْكَمُونَ، وأنفسهم مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يصبرون، لا تعدو عيناهم عنهم، فهم عيون الله إليهم ينظرون، وبنظراتهم لهم يُحْيُونَ، وبالحق لهم يبعثون.

طبقا بعد طبق بجمعهم يستخلصون روحا لجديد النشأة من الأرض، بجديد بعد جديد ينشأون، من قديم قبل قديم يُخْتَارُونَ به في الجديد يبعثون، هكذا بالحق بين الخلق يتواجدون، وللبشرى يحققون.

فبالله يؤمنون، وأمة الإسلام يقومون، مع محمد رسول الله عليه يجتمعون، رحماء بينهم أشداء على الكفار على ما تعلمون وتشهدون. شعار لا إله إلا الله، لا شريك له من أنفسهم يرفعون، وذكر الله في القلوب بنوره ينشرون ويقىمون.

كلمات لله، بأسمائه هم أسماءه الحسنى لاسمه الجامع ولاسمة الأعظم يبعثون إنسانا وإنسانية يقومون وينتشرون، وإنسانا أعلى وإنسانية أعلى ينشدون ويوالون، ولأنفسهم بمعناها يرجون، يوم أنهم يحسنون صنعا، ولصنعهم يستخلفون، فحسن من صنعهم ما يخلّفون، ذرية طيبة بعضها من بعض يتواجدون، فيعلّون ويتعالون، عودة إلى المطلق له ينشدون وإليه بدءا ينسبون، لا شريك له على ما يعرفون ويعلمون ويعلمون.

أمة وسطا بالله يؤمنون، وإلى الخير يدعون ومع معيته يوحدون ويتحدون وبما استُخِلُوا فيه من الخير، على أنفسهم يؤثرون، معاملة مع من به يؤمنون، أقرب إليهم من حبل الوريد له يشهدون، وبه يقومون، وعلى غيرهم من مبانيهم لعين معانيهم به يذكرون، وبيت ذكر له يقومون ويبعثون، وبرضائه واجتباؤه شعار الله يرفعون، وبرسالاته بيوت ذكره يوضعون ويبعثون، ومن جديد يقومون، بقديم هم به قائمون فاعلون، هادون، لنور الله لهم به ينتشرون ويحيون. ثم شوقا إليه يعودون وبيوتا له يرفعون.

فهل آمن الناس أم أنهم لنور الله بأفواههم يطفئون، أو يحاولون، فيطفأ في مصابيح قلوبهم لا يشعلون، وأوزارا مع أوزارهم يحملون، سبيل الله ينكرون، وكلمات الله ترى يجهلون ويتجاهلون؟

إنهم لها يجابهون، وبآيات الله منها، يجبهون ويجابهون فيستكبرون ويستعلون، وبطغيان أنفسهم يعمهون، {ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون} ٢٤.

لا؟! لا نقبل غير الإسلام ديننا؟! نحن المسلمون، ابن مريم ومن يكون؟ والرسول يقول (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم) ٢٥، (مريم إحدى زوجاتي في الجنة) ٢٦، (لا مهدي إلا عيسى) ٢٧، (كل ابن أنثى مسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه) ٢٨، وما كانت أمه، إلا من أزواج الرسول المطهرات وما هو.. إلا

آية من آيات للرسول مدخرات وفي دوام مبرزات (بيننا أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلا آدم قلت من قيل ابن مريم) ^{٢٩}.

(تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) ^{٣٠}، وما كانت عترتي إلا شجيرات، من شجرته شجرة ثابتة على الأرض، وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين كما تؤتي ثمارها بفسيلاها بين حين وحين بدورة آدم للظهور وللنفور في كل وقت وحين.

وما أكلها وثمارها، إلا رحمت الله برسول الله لكم مزجاة، وإليكم مهداة، بأهل بيته كوثر وجوده، وثمار أزلي شجرته بتجدده، وجديد حضرته لقاؤه وجوده بحقه لدائم أمته، ويد نجدته للناس هم كتاب رسالته، الخير فيه وفي أمته إلى يوم القيامة.

فيقول ولده وعينه وآدمه وسبقه ولحاقه والمبشر به والمعرف عنه، وكلمة الله منه، وكلمة الله إليه (أنا هو الطريق والحق والحياة ^{٣١}. أنا القيامة ^{٣٢}). وأبرز الله من بعده الكثير من مثاليته من كلمات الله منه، ومن كلمات الله إليه أوادم مبناه لإنسان معناه، لشجرة الجنس الطيبة، في جنة الحياة الطيبة، على الأرض الطيبة يوم تطيب بتمام إنسانها، لنشأة الإنسان في أحسن تقويم، بعث إلى أرضكم ظهر لها وليدا، وجعل لها خلقا جديدا، فبحقه بعث لقاؤه أرضكم منها ربها لحقها، زويت له مسجدا وطهورا - به مدت وحققت، {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} ^{٣٣} له عليها بها عقي الدار.

الله جاعل لها مثلا أعلى منها، على ما هو في الملاء الأعلى جاعل، وفي الأعلى منه جاعل، وفي كل سماء جاعل، له المثل الأعلى في السماوات والأرض، فكان محمد الله ورسول الله، المثل الأعلى للأرض وسماواتها، وكان ركب الحياة للأرض ونشأتها، ونهايتها ومعارجها، ومرتهاها إلى لانهائي رقي لها، به تحققت وبه تجدها لها إلى لانهائي تجدد به.

أبناءؤها من معناها لعين معناها هم بهياكلهم معها أراضين بمبانيهم وأبناءؤها تخلقوا بخلقها بمعانيهم أرواحا معها لأراضي قلوبهم وأزواجا معها في طريقها للتخلق بعوالمها منها.

وجوههم برؤوسهم لعقولهم، أرض مخلقة، قدوة لقلوبهم أرضا لم تتخلق، خلقكم {من مضغة مخلقة، وغير مخلقة} ^{٣٤}، هياكل الله لمعاني الكون، ولمعاني الوجود، كل منكم في معناه لذاته بمبناه كون ووجود للسماوات والأرض، يتسع لله اسما له يوم يحقق لنفسه معاني العبد له، لم تتسع لله السماوات والأرض ولكن اتسع له قلب عبده المؤمن إنسانا كل فيه ورشد به.

فأنتم من قيام نشأتكم، علقات الأرض، لجديد أراضي، وأنتم أنوار السماوات، لجديد من سماوات بنور الحياة فيكم بأرواحكم وعقولكم ونفوسكم، {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم} ٣٥. إنه على ما كان من أمركم من علقات الأبوة، ودحى الأمومة من بويضات الرحم، يكون قادم وجودكم بتطوركم للأمومة الأرض وأبوة الشمس.

إن القائم على كل نفس، ماذا يريد بقيامه على هذه النفس إلا أن تكون له؟ ألم يخلقها لنفسه كما أخبركم؟ ألم يحذركم الله نفسه أن تضيعوها، وتفرطوا في أمر الله لكم فتفقدوها؟ إنها نفسه وأناه، إنها وجهه ومعناه، إنها بيت ذكره، يُستقبلُ بصلاة، ويُطاف بموالة، ويُقصد بحجيج، يوم يحقق الإنسان لنفسه ما خلق من أجله، فيغير ما به من اللامبالاة، ولا يفرط في أمره من الله.

{وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر} ٣٦. يأتوك يا حق الله، يأتوك يا إنسان الله، يأتوك يا بيت الله ملة أبيكم إبراهيم، بيتا رفع من الناس جعلنا في ذريته الكتاب والنبوة وها أنت أول بيت يوضع للناس، لأول العابدين لتقديم معنك، عين قائمك لقادم معنك، عروة وثقى وأمرًا وسطا بين قديمك وقادمك بقائمك لقائم الحق من الله بالإنسان له.

لست بدعا في ذلك من الرسل، وقد بوأنا لإبراهيم مكان البيت منه من قبل، وجعلنا هذا منا لإخوتك من النبيين من قبل تمهيدا لأن نبرزك، بحقي معنك لأهل الأرض جميعا وعهدنا إلى موسى وهارون أن اتخذوا لكم بمصر بيوتا واجعلوا من بيوتكم قبلة.

فما كانت القبلة في منسك الإسلام للأشباح إلا بيت الإنسان بالحق للأرواح هو بإشارة المنسك وجهه لله واسم له وعليه العنوان، قبلة للقلوب، تشهد للقلوب وتستقبل بالقلوب فأبي قبلة تستقبلون؟ وأي حجر عنده تباركون وله تقبلون؟ {وأتوا به متشابهًا} ٣٧. إن هذا المنسك بكل شعائره ما كان إلا معنى في الله، لإنسان الله وإنسانية الله به معه به تذكرون.

جعل مثلا لكم يضرب في أرضكم من أرضكم بغرفة يعرف، لها تستقبلون، وبها تطوفون، وإليها تحجون، وركنا من أركانها بمثابة يد الله، تقبلون، يد الله فوق أيديكم لسلطان الطبيعة أنتم تحتها له تسلمون.

فما كان الحجر الأسعد، إلا بمثابة يد رسول الله، لمعاني بنيانه لذات الله لذوات أقداس الله، وما كانت الغرفة إلا ذات رسول الله، لمعاني قيامه ووجدانه بهيكل إنسانه وما كان ما فيها، إلا أهل الله، وأولياء الله، وملائكة الله لمعاني أهل بيته تصلي، على من صلى عليه، وتستقبل من استقبله، وتوالي من والاه، وتحيي من حياه.

(إن الله يخلق من الصلاة عليه ملكا، رأسه عند ساق العرش وقدماه في الأرض السفلى، يقول اللهم صلى على عبدك فلان كما صلى على نبيك، إلى أن تقوم الساعة)^{٣٨}، فيعرف الناس من هو إنسان الله من الله، يوم يعرفهم منه، بقائمتهم به لقاءهم بهم قيام الحق من الله بالإنسان.

إن الدين، إن الإيمان، إن العلم، إن الخروج من الجهل، إن الإسلام، إن المعرفة، إنما هي في إدراك ما معنى الصلاة على النبي.

الصلاة على النبي ليست ألفاظا تلوكتها الأفواه، وتحرك بها الألسن والشفاه، الصلاة على النبي إنما هي عمل ومجاهدة، بقصد إقامة الصلاة به أو كشف الغطاء عن قائمتها معه، إنما هي قيام الصلاة بالنبي وآله، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}^{٣٩}. إن ترديد الألفاظ بها إنما هو مجرد إيحاء للنفس للإيمان بقائمتها وقيامها للنبي، طلبا لعترته، للقيام في كتابه، بدخول بيته، أو الطواف حوله.

إن الدين، إن الإسلام، إن الفطرة، ارتفعت بالإنسان فوق الطاعة والمعصية، كأنما اطلع الله على قلوبكم أهل بدر.. فقال افعلوا ما شئتم فأنتم الطلقاء. إن رسول الله أبي أن يقيم حدا في رجل من أهل بدر فجعل من الامتناع عن إقامة الحد فيما يسنه التشريع لظرف يقتضي المنع، تشريعا جديدا، فامتنع عمر عن إقامة الحد بقطع اليد في السارق في المجاعة.

إن العلاقة مع الله، فوق الطاعة والمعصية، إن الحب لله ومن الله، فوق الطاعة والمعصية. (رُب معصية أورث ذلا وانكسارا خيرا من طاعة أورثت عزا واستكبارا)^{٤٠}. {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا}^{٤١}. إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الخاسرون، وإنه لا ييأس من روح الله [مدانية، مقاربة راعية موالية] إلا القوم الكافرون^{٤٢}، (إذا لم تذبوا وتستغفروا لذهب بكم وأتى بقوم آخرين يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم)^{٤٣}.

{إنه لا ييأس من روح الله، إلا القوم الكافرون}^{٤٤}. فما يكون الكفر؟ وما يكون الإيمان؟ وما يكون الإسلام، وما تكون الطريق؟ {من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}^{٤٥}، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}^{٤٦}، {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده}^{٤٧}.

فهل طلب الناس السبيل فلم يجدوه؟ وهل والى الناس الدليل ففي أنفسهم فقدوه، ويوم آمنوه، ثم كفروه هل بقي ولم يفقدوه! (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)^{٤٨}، فأين هم عندكم رؤوس القرون يا فقهاء الإسلام، ويا مؤرخي الإسلام، ويا مصلحي المسلمين؟ من أولئك الذين بعثوا على رؤوس القرون؟ وقد مر بكم وقطعكم أربعة عشر قرنا من الزمان، فمن عرفتم من رؤوس القرون؟! ومن ذكرت من رؤوس القرون؟! ومن واليت من رؤوس القرون؟

وهل أنتم عن رأس قرنكم تبحثون؟؟ وإذا بحثتم فمن لهذا تقدرون؟ وبأي وصف تصفون؟ وقد قال لكم الله إنكم في خسر وهلاك إلا من {تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}٥٩، {إلا من أتى الله بقلب سليم}٥٠.

هل قدرتم هدي القوم في قولهم (ليس الشيخ من قال لك أنا وأنا، ولكن الشيخ من قال لك ها أنت وربك)٥١، وقولهم (ليس المقصود، أن تعرف ما هو اسم الله الأعظم، فأى اسم الله لم يكن عظيماً وأعظم! ولكن الشأن يا أخي أن تكون أنت الاسم الأعظم)٥٢، هل أدركتم ما جاءوا به من الحق ومن الرحمة في قولهم (ما صحبتك لتكون أنت أنت وأنا أنا، ولكن صحبتك لتكون أنت أنا وأنا أنت)٥٣، لا فرق بيننا، ولا فرق بيني وبينك، الله من ورائنا بإحاطته، ونحن قيام وجهه وجه لوجه، أنت إلى وجه الباقي يا جديد أبي، وأنا إليك وجه القديم يا ولدي، هل عرفتم أن هذا هو المراد من الله، وهو يقول لكم {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}٥٤، (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)٥٥؟ وقوله {إنما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفتكروا}٥٦؟

فيقول الأب في الله، للولد في الله، (فلما وجدتك نفسي، وهمني من أمرك ما همني من أمر نفسي، دفعت إليك بكتابي هذا أوصيك بتقوى الله)٥٧، هكذا قال أبو تراب، وآدم مبناه، لكلمة الله لمعناه ودوامه بها في مرتقاه للحسن السبط، متخلقا ومتأثرا، ومتابعا لما فعل أبو البشرية ببنياه، وحقها بوجدانه، رسول الله، يوم قال لعليّ أما يرضيك أن تكون أنت أخي تجديدا لملة إبراهيم وبيته وقد جعل في ذريته الكتاب والنبوة، أصبحت لأهل البيت الموضوع.

(أنت مني بمنزلة هارون من موسى)٥٨، إنها العبودية الحقيقية في دوامها، فأنا وإياك إنما نحن علم الحقيقة في قيامها. (من كنت مولاه فعلي مولاه)٥٩، (من رأيي فقد رأيي حقا)٦٠، (خلفت الله عليكم)٦١، (يا عليّ هلك فيك رجلان رجل خاصمك، ورجل وصفك بما ليس فيك)٦٢، يا صحبتي اعلما أن (فاطمة ابنتي روجي فمن أغضبها أغضبني)٦٣، ومن أغضبني أغضب الله)٦٤، وصدقوني في أمر أخي، ف (عليّ مني وأنا من عليّ)٦٥ وحسين مني وأنا من حسين)٦٦، ولدي هذا سيد)٦٧ (مشيرا للحسن، إن أردتم لكم سيدا وخادما لكم يعرف ويؤمن أن سيد القوم خادمهم).

إن الله، في حقه وذاته وعظمته ومعناه، لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة، ولكن المعصية إنما تضر العاصي، وإن الطاعة إنما تنفع الطائع، والطاعة عند الله في متابعة رسوله، والمعصية في التخلف عن ركه، {أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم...}٦٨، (إذا لم تذبوا وتستغفروا فيغفر الله لكم لذهب بكم وأتى بقوم آخرين، يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم)٦٩. ما كان دين الفطرة مقاما على المناسك لموصوف الطاعة والمعصية، ولكن الرسول يقول (ما تركت شيئا يقربكم من الله، إلا وهديتكم إليه، وأمرتكم به، وما تركت شيئا يبعدكم عن الله، إلا وعرفتمكم به، ونهيتكم عنه)٧٠.

أخفى الله الرضا في الطاعة، ولم يجعلها سببا للرضا منه، وأخفى الغضب في المعصية، ولم يجعلها سببا للغضب منه، (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها) ^{٧١} بطاعاتكم، وابتعدوا عن غضبته بمجانبة ما نهىتم عنه، حتى لا تحرموها بمعاصيكم. (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله) ^{٧٢}، فلا تركنوا إلى عملكم، ولكن اركنوا إلى محبتكم في الله، ولا تركنوا إلى علمكم مهما علمتم، فما زال الله في عظمته غير معلوم عندكم، لا تحيطون بشيء من علمه، على ما أراد لكم، في علمه عنكم، إلا بما شاء، فما كان العلم عنه إلا حافزا لطلبه بحبته في محبة عبادته، ومعاملته في خلقه.

لا أقول لكم لا تطلبوا العلم، ولكن اطلبوه، ولو في الصين، اطلبوه من المهد إلى اللحد، لا كغاية، ولكنه وسيلة لإثارة الطريق لعواطفكم مع الله، حتى تتحرك قلوبكم بحبه وخشيته، فإن خشيتموه واثقيتموه علمكم وزادكم علما من لدنه مع خشيتكم وتقواكم.

ومهما هو أعطاكم، وتقارب إليكم، وإليه قربكم، فلا تأمنوا مكر الله، {فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون} ^{٧٣}، وها أنا رسول الله بينكم، وأراني أقرب الناس إليه منكم، ولا أدري ما يفعل بي غدا، فأنا أخشاكم له على ما أراني وأخوفكم منه على ما أعرفني.

إن الله يتقى، ألم يقل أخفب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلكم فلتعلمن الذين صدقوا ولتعلمن الصابرين.

فتن أباكم آدم المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة، وكلها أعطاه علما قارنته فتنة. اصطفاه لنفسه، واجتباها لها، وما تخلص من فتنته بنفسه إلا يوم توفاه الله اسما لمولاه بمغفرة الله، وأضافه إلى حق رسول الله في معناه وأول العابدين في مبناه، متخليا عن نفسه بوضع وزره، مبعوثا بربه رفيقا أعلى لقائم الحق لله. يتيما آواه...

نخلصه من كامل مبناه ووضع عنه وزره إلى قائم معناه فاستخلصه لنفسه في مطلقه مسيح الأعلى وإنسان الله، فانيا عنه، مبعوثا به، على ما كان من أمر من عرف وكان عبد الله ورسول الله، من أظهره ربه على الدين كله.

إن الرسول ما كان غيره بقائه لحق قيومه، وما تحقق بغير ذلك لحقيقته في قديمه ودائمه، وما كان نُشْدَانُهُ، غير ذلك لقادمه على ما وعد بناموس الفطرة لقائم ودائم فطرته.

إذ أظهره الأعلى على الدين كله وعلمه الأسماء كلها، ومحا عن قائمه بمعناه ما كان من أسماء مبناه إلى موصوف ذكره المحدث لذكره القديم فعرفه الإنسان القديم، والإنسان القادم، والآدم القائم، لإنسانه

الدائم، القيوم عليه بالحق، رفيقا أعلى، قديما لمعناه هو بذاته جديد له بمبناه لعين معناه، على ما كان قديم معناه، في قديم مبناه، بذلك عرف الدين كله، فقال (الإسلام دين الفطرة)^{٧٤}.

فتح له الله وأبان له الله حقيقة الحياة على قائمها، ومُشاهدًا عنده حتى إلى حاضره بكرته محمد الله، لأوادم مبانيه لمحكم معانيه بمظاهر بشريته لفطرتها، فصاحبه أبو جهل، كما صاحبه أبو لهب، وخاصمه وهادنه أبو سفيان، وآمنه وتابعه أبو ذر، وقبله ووالاه أبو رافع، وقامه لمعناه أبو طالب، كما قامه وجدده أبو تراب، فكانت هذه مظاهر مجتمعه لديه لقائم نشأته لجديد أمر وذكر محدث على ما كانت أموره في قديم أطواره لتواجده بدايات لنشأته إلى تمامه القديم لدورة الحياة به، وعلى ما يكون في قادم بتجدد نشأته لجديد قائمه بعثا لظهوره لقيومه بقائمٍ لجامع أوادم. (أعطيت جوامع الكلم)^{٧٥}.

عرف وعلم أن اليأس من الله قطيعة، وأن الرجاء في الله وصلة، وعرف وذكر بأن القول بالمغفرة والمجانبة مع الله هو الشرك، وعرف وعرف أن الإدراك للوحدانية بالقول لا يكفي للنجاة من العدم بالشرك، وأنه إذا أبدأها مبديها في حال، لم يكن له بها في الله مقام سقط وانحرف، كما عرف عن ناموس النفس وما سواها بقديميها من الرحمن أو بقديميها من الشيطان فألهمها فجورها وتقواها فقال إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، في قائمه من تراب الأرض.

وعرف ليبشر برحمة الله، أنه لا يختلف عن سائر البشر، وأنه كان له شيطان في قديم أطواره جرى منه مجرى الدم على ما هو جار، مجرى الدم في الناس، وأن ذلك كانه قديما وقياما وقادما بحكم الناموس، ولكنه يتخلص منه، ويسهر عليه، ويقهره إلى الإسلام فقال (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم)^{٧٦}، والأعلى معينه عليه دائما ما تجدد معه، كلما تجدد وفي قائم البشرية تواجد في انفراده وتشتيته.

ويوم أعانني عليه فقهرته ففي نفسي كشفته، فإلى ربي معي وجهته ثم عني عزلته، وفي صديقي بعثته، فإلى ربي معي وجهته، وبربي معه آمن على ما علمته، ويوم كان إيمانه بربي راضيا بعبوديته، شعر بخلتي وانتهت منه جفوته لي فقبلت صحبته وخلته، واستمعت منه نظرتة، فهو لا يأمرني إلا بخير، فإله الله عليه استكبرت وإن كنت بالله عليه استنصرت وبالله منه استعذت، أن أكون به مغرورا، أو أن أقول زورا، أو أن أغشى فجورا، فكلما كبا إليه سارعت ومن عثرته أخرجت.

وكم غر أخوة لي في آدميتي من قبل، وما كان شيطانهم إلا من فطرة شيطاني، غرته عزة الله له، فاستكبر، وتكبر، فما استعانوني إلا وأعنتهم بتجربتي، عليه استكبرت لهدم كبريائه وعليه تصدقت لإيقاظ ولائه، (الكبر على أهل الكبر صدقة)^{٧٧}، وما كنت يوم عليه تكبرت وعليه استكبرت،

متكبرا، ولا مستكبرا، ولكن كنت متصدقا بما جعل الله لي وفي من قدرته وعزته {قدر فهدى} ^{٧٨}،
{ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} ^{٧٩}.

إن العزة من الله لا تستعمل إلا على عزيز، يعتز على الله، فيخضع بعزة الله لعزة الله، (وا عجي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل) ^{٨٠}، ولا تستعمل على من يعتز بالله ولو كان مخطئا أو جاهلا، وإلا كانت طغيانا وإبلاسا.

بهذا جاء الإسلام دين الفطرة، وبهذا جاء المعلم، جاء المعلم للمتعلمين، جاء المعلم للمعلمين، جاء المعلم الذي لا ينقطع عن طلب العلم، جاء المعلم الذي كان الله له معلما، (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ^{٨١}، وما كان ربه إلا معلما أكبر ورفيقا أعلى، لأعلى عالما ومعلما حتى إلى الذات. جاء المعلم الذي يعلم كل ما تعلم، لا مانا به، ولا مانعا له عن طالبه، ما طلبه طالب للعلم إلا علمه، وما قاربه مقارب إلا قاربه.

جاء من أسس بيئة رسالته بيده، وفي كرة ذاته المبلغة، على أساس من واقع الفطرة، وأعد لها هدايتها وأنبياءها وقادتها وشياطينها، ما سالمه مسلم إلا سالمه، وما اعتز عليه اعتازا على الله عزيز، إلا قهره وقصمه. إنه رسول عزته، كما هو رسول رحمته، إنه الحق الذي ساندته القوة. إن القوة إذا فارقت الحق في بيئة الباطل ضعف. إن الحق في بيئته لا يعرف القوة وليس في حاجة إلى القوة، وإن القوة ما خضعت للحق إلا بسلطان الرحمة وغلبتها وبما أوفر لها الله من قسطها منها لعزتها للظهور والإظهار لقدرتها، بذلك اعتزال الحق بالقدره المساندة من مصدر الرحمة في بيئة الباطل والطغيان.

رحمتي غلبت عذابي، رحمتي غلبت عدلي، رحمتي أقوى من الحق لعدلي، وهدايتي لكم يا أيها الذين آمنوا أن آمنوا برسولي تأمنوني، ما أرسلته إلا رحمة للعالمين. اتقوا الله في عظمتهم وكبريائهم. اتقوا الله في وقته وحسابه، وآمنوا برسوله جعله عالي رحمته، بدانيها لخليقته، فهلا آمنت برسوله، هلا عرفتم أن رسوله سر الحياة فيكم، سر الوجود لكم، أما آن أن تعلموا أن فيكم رسول الله، روحا سارية وذاتا بادية، وبيوتا فسيحة دانية، ونصبا مشرقة عالية.

ما كان رسول الله غير الله، إنه الحق من الله، إنه اسم الله، إنه رحمة الله، إنه الحياة من الحي القيوم، لا إله إلا هو. إنه وجه الله لوجهه الله. كان بكنه من الله، ولم يكن الله بكنهه رسول الله، وإن كان في مظاهرته ومساندته.

(أنا فرطكم على الحوض يؤتى بأقوام أعرفهم ويعرفوني ويؤخذ بهم دوني، فأقول أمتي أمتي، فيقال لي ما تدري يا محمد ما فعلوا بعدك، فأقول ما فعلوا بعدي، فيقال لي أحدثوا بعدك، فأقول أنا بريء ممن أحدث بعدي) ^{٨٢}، هكذا في قديم كان، لقديم لمعناه، لقديم لأمته، وهكذا في قائم وقادم يكون، بقائم

لمعناه وقادم لقائم في قادم لأمته، وإن قدرتم وأدرهتم فهذا هو ما هو قائم فعلا في قائمه بقيمة أمته في كل وقت وحين، وهو ما هو لكم قائم، في قائمكم لكل فرد منكم بناموس الفطرة وصبغة الله لصمده ودائمه.

{لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه}^{٨٣}، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}^{٨٤}. أين بيننا من يقوم به الإيمان فينا؟ أين بيننا من نحكمه فيما شجر فينا، وفيما شجر منا؟

{وقل جاء الحق، وزهق الباطل}^{٨٥}، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد [مبعوثا بالحق] وهو الحق من ربهم، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}^{٨٦}، {الذين كفروا، وصدوا عن سبيل الله، أضل أعمالهم}^{٨٧}، {ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا}^{٨٨}، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}^{٨٩}، {إنا أعطيناك الكوثر}^{٩٠}، {تقوم وتقلب في الساجدين}^{٩١}.

هذا هو الدين، وهذا هو فقهه، وهذا هو الإسلام، وهذا هو علمه، وهذا هو الخلاص، وهذه هي طريقه، وهذه هي النجاة، وهذا هو تحقيقها. (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال)^{٩٢}، (المؤمن مرآة المؤمن)^{٩٣}، (المؤمن مرآة أخيه)^{٩٤}. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلب في الساجدين}^{٩٥}، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}^{٩٦}، أفإن مت أو غبت بينانك فهم بينانهم خالدون!!! إنك بينانك ميت وهم بينانهم ميتون، وإنك بمعناك حي وبمعناك هم يحيون بالنور الذي أنزلنا معك، يوم يسري بهم فهم لله بسجودك يستحيون، ولك يتابعون ومعك يتحدون ويتوحدون فنور الله لك بقلوبهم بمزيد يستقبلون وبه في عينهم لهياكلهم ينتشرون، وفي صحبة لهم بحب عليك يجتمعون، أمة وسطا، هم العالمون العارفون العابدون المعبودون بالله يؤمنون، ووحيا يستقبلون، ووحيا يقومون، ووحيا يجددون ويعثون، وللخير يدعون، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}^{٩٧}، {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}^{٩٨}، {يقوم ويتقلب في الساجدين}^{٩٩}.

اللهم بحقي عبدك فحققنا، اللهم بالحق له فألحقنا، اللهم بنورك به فاهدنا السبيل، وامنحنا الدليل، وكن علينا به أنت الوكيل.

اللهم به فصل علينا، اللهم بنا فصل عليه، اللهم أدخلنا فيه العروة الوثقى لا انفصام لها بين الخلق والحق لك، وأقنا به أمرا وسطا لك.

اللهم أدخلنا في ركبته لنسير إليك، مؤمنين، متقين، طائعين، خاشعين، راجحين، غير خاسرين، مهتدين، لا ضالين، ولا مضلين، للخير فاعلين ولنشره ساعين، وبكلمات الله قائمين، ولكلمة الله في الناس معلين، ولكلمات الله علينا مكبرين متابعين، وبها في الناس ناشرين مقيمين، أمة وسطاء وسطا بين العالين والسافلين، بين اليقظين والغافلين، على ما هديتنا يا رب العالمين.

اللهم به فارحمنا، اللهم به فاسترنا، اللهم به فأحيِ قلوبنا، اللهم به فقوم جوارحنا، اللهم به فجدد مبانينا، اللهم به فأحيِ معانينا، اللهم به فاجعل خير أيامنا في مرضاته ومولاته ومتابعته، اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وتولنا حكما ومحكومين، وانشر الحق فينا، وبنا، أئمة ومتابعين، وأنزل به سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، يا أرحم الراحمين.

آمين اللهم آمين

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في كتاب "بحار الأنوار" من المكتبة الشيعية.
- ٢ سورة الفتح - ١:٣
- ٣ سورة الأعلى - ٩-١١
- ٤ سورة الإسراء - ٧٩
- ٥ سورة فصلت - ٦، سورة الكهف - ١١٠
- ٦ سورة الزمر - ٥٣
- ٧ سورة النساء - ٤٨ ، سورة النساء - ١١٦
- ٨ سورة البقرة - ١١٥
- ٩ سورة البقرة - ٢٥٥
- ١٠ سورة الفتح - ١٠
- ١١ سورة الأنفال - ١٧
- ١٢ سورة الكوثر - ٢
- ١٣ سورة الأنعام - ١٢٢
- ١٤ قسم للرسول صلى الله عليه وسلم، يبدأ به بعض أحاديثه.
- ١٥ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ١٦ حديث شريف: "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.

- ١٧ حديث شريف: "حَبَّ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "حَبَّبْتُ لِأَقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ وَهُمْ كَارْهُونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.
- ١٨ سورة البقرة - ٢٧٢
- ١٩ سورة النحل - ٩٣
- ٢٠ سورة طه - ١٣٢
- ٢١ سورة البقرة - ٢٥٥
- ٢٢ سورة الانفطار - ٥
- ٢٣ حديث شريف: "إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.
- ٢٤ سورة الزخرف - ٥٧
- ٢٥ من حديث شريف: "أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَالٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ." صحيح مسلم.
- ٢٦ حديث شريف: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى." أخرجه الطبراني.
- ٢٧ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ٢٨ حديث شريف: "ما مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمْسُهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا." صحيح البخاري.
- ٢٩ من الحديث الشريف: "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُطَوَّفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمَ سَبَطَ الشَّعْرَ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطَفُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ أَلْتَفْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسْمٌ، جَعَدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَانَ عَيْنُهُ عِنَبَةً طَافِيَةً، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا ابْنُ قُطَيْنٍ." أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٣٠ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:
- ٣١ (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي.) (يو ١٤: ٦)
- ٣٢ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١: ٢٥)
- ٣٣ سورة الرعد - ١٧
- ٣٤ سورة الحج - ٥
- ٣٥ سورة يس - ٨١
- ٣٦ سورة الحج - ٢٧

- ٣٧ سورة البقرة - ٢٥
- ٣٨ استلهاما من حديث شريف ذات صلة: "إن الله وكل بقبري ملكا أعطاه أسمع الخلائق، فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه: هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك. رواه البخاري في "التاريخ الكبير"، والبخاري في "المسند"، والحارث بن أبي أسامة في "المسند" - كما في "بغية الباحث"، وعزاه غير واحد للطبراني في "المعجم الكبير"، ورواه العقيلي في "الضعفاء الكبير".
- ٣٩ سورة يوسف - ١٠٨
- ٤٠ من حكم السيد ابن عطاء الله السكندري. "معصية أورث ذلًا وافتقارًا خيرٌ من طاعة أورث عزا واستكبارًا".
- ٤١ سورة الزمر - ٥٣
- ٤٢ سورة يوسف - ٨٧
- ٤٣ حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ." صحيح مسلم.
- ٤٤ سورة يوسف - ٨٧
- ٤٥ سورة الكهف - ١٧
- ٤٦ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٤٧ سورة غافر - ١٥
- ٤٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٤٩ سورة العصر - ٣
- ٥٠ سورة الشعراء - ٨٩
- ٥١ من مقولة لابن عطاء الله السكندري: "شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك، حتى تجلّت فيها أنوار ربك، أنهضك إلى الله فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه، وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه، فرج بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك".
- ٥٢ استطرادا للسيد رافع من مقولة للسيد أبي الحسن الشاذلي: (ليس الشأن أن تعرف ما هو الاسم الأعظم، ولكن الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم).
- ٥٣ عن الشيخ المرسي أبي العباس: قال لي الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت،
- ٥٤ سورة الرعد - ١١
- ٥٥ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.
- ٥٦ سورة سبأ - ٤٦

- ٥٧ من وصية الإمام علي كرم الله وجهه لسيدنا الحسن: "ووجدتك بعضي، بل وجدتتك كلّي، حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني، وكأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي، فكتبت إليك كتابي مستظهاً به. إن أنا بقيت لك أو فُتيت. فإني أوصيك بتقوى الله - أي بني - ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله." المجمع العالمي لأهل البيت. ونهج البلاغة، ومعظم الكتب الشيعية.
- ٥٨ حديث شريف أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليّ: أنت مَنِّي بمنزلة هارونَ من موسى، إلا أنّه ليس بعدي نبيّ". أخرجه النسائي.
- ٥٩ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلِي بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلِي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٦٠ حديث شريف: "مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي". صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٦١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦٢ المعنى مطابق لحديث شريف رواه سيدنا علي كرم الله وجهه: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له. ثم قال: يهلك في رجلان: محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض يحمل شنأني على أن يبهتي." رواه أحمد.
- ٦٣ حديث شريف: أخرجه البخاري ومسلم، بصيغ متعددة، "فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي".
- ٦٤ استلهاما من حديث شريف، جاء بصيغ متعددة: "فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهَا، فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي، مَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ". المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.
- ٦٥ حديث شريف: "إِنْ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي". أخرجه ابن حبان واللفظ له، والترمذي وأحمد باختلاف يسير.
- ٦٦ حديث شريف: "حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِنَ الْأَسْبَاطِ". رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان.
- ٦٧ من حديث شريف جاء في حق سيدنا الحسن بن عليّ: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يُصَلِّحُ بِهِ بَيْنَ فَتَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" صحيح البخاري.
- ٦٨ سورة الماعون - ١-٢
- ٦٩ حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تَذُنُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ". صحيح مسلم.
- ٧٠ استلهاما من الحديث الشريف "(إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه". أخرجه الحاكم والبيهقي.
- ٧١ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.

٧٢ إشارة إلى حديث شريف: "لن يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل". رواه أحمد، ورواه البخاري ومسلم: "سددوا وقاربوا وابشروا فإنه لن يُدْخَلَ الْجَنَّةَ أَحَدُكُمْ عَمَلُهُ قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته".

٧٣ سورة الأعراف - ٩٩

٧٤ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ نَصْرَانِيَّةً، أَوْ يَمَجْسَانِيَّةً. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولاً.

٧٥ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخَتَمَ بِيَ النَّبِيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضاً منه في أحاديث أخرى.

٧٦ حديث شريف: "ما من أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير." أخرجه مسلم وأحمد. أيضاً: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.

٧٧ مقولة شائعة ذكرها عدد من العلماء بصيغ مختلفة، منها ما قاله محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخدادي الحنفي (ت ١١٥٦ هـ) في كتابه (بريقة محمودية): التكبر على المتكبر صدقة، لأنه إذا تواضعت له تمادى في ضلاله، وإذا تكبرت عليه تنبه، ومن هنا قال الشافعي تكبر على المتكبر مرتين، وقال الزهري التجبر على أبناء الدنيا أوثق عرى الإسلام، وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أظلم الظالمين من تواضع لمن لا يلتفت إليه..

٧٨ سورة الأعلى - ٣

٧٩ سورة المنافقون - ٨

٨٠ حديث شريف: "عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ وَهُمْ كَارِهُونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

٨١ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسرقي في كتابه "الدلائل"، والسيوطي في كتابه "الجامع الصغير"، وابن السمعاني في "أدب الإملاء"، وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان. يوصف بأنه ضعيف السند، صحيح المعنى.

٨٢ إشارة للحديث الشريف: "أنا فرطكم على الحوض فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي." أخرجه مسلم، والبخاري في صحيحه.

- ٨٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ." صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين." متفق عليه.
- ٨٤ سورة النساء - ٦٥
- ٨٥ سورة الإسراء - ٨١
- ٨٦ سورة محمد - ٢
- ٨٧ سورة محمد - ١
- ٨٨ سورة الكهف - ١٧
- ٨٩ سورة يوسف - ١٠٨
- ٩٠ سورة الكوثر - ١
- ٩١ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء - ٢١٩
- ٩٢ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٩٣ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطُ من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٩٤ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ أخيه، المؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته ويحوطُ من ورائه". أخرجه أبو داود والبخاري.
- ٩٥ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
- ٩٦ سورة الأنبياء - ٣٤
- ٩٧ سورة آل عمران - ١٠٤
- ٩٨ سورة الفتح - ٢٩
- ٩٩ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء - ٢١٩

(٧)

القيامة والساعة والبعث والحشر والنشر في قائم ودائم أمرها وفي دورة سفورها وظهورها في الفرد للفرد وفي الجمع للجمع

حديث الجمعة

١٦ ربيع الآخر ١٣٨٥ هـ - ١٣ أغسطس ١٩٦٥ م

بسم الله لا شريك له.

بسم الله الرحمن الرحيم، قائم الرسول والرسالة.

باسم رب العزة وعزیزها، باسم العزة ورسولها، بعزة الرسالة والمؤمنين بها.

بحق روح الله وبقائهم بكلمات الله، وبقائهم على كلمات الله، وبقيامها من كلمات الله.

بالله نستعين، وبه نعمل وله نخضع، وإلى الله نرجع.

بالله لمعانينا تؤمن ونقوم، وبحقه لاستقامتنا نجاهد ونلوم، وبحكمته لمعرفةنا نبين، لا عابد ولا معبود غيره، ولا ناصر ولا منصور سواه. له الأمر، وله الشأن، من قبل ومن بعد وفي كل قيام بقاءم.

عباد الله، إن تقوى الله من عزم الأمور، نحمده ونرجع إليه ونستعينه، في صحبة الرسول ذاتا وروحا ومعنى، جعل طاعته من طاعته، وأمره من أمره، وقيامه من قيامه، وقيومه عين قيومه، حوض الحياة وماؤها، نور القلوب وضياؤها، كتاب الصدور ومصباحها، روح النفوس ومشكاتها، علم العقول وكتابها، قبلة الصلاة وإقامتها، محبة الله ونشوتها. من أطاع الرسول فقد أطاع الله، ومن أحب الرسول فقد أحب الله، ومن عصى الرسول فقد عصى الله، {أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين}.

جعل الله الرسول معنى فيه، وقياماً له، هو تقييد مطلقه بذات، وقيام حكمته بصفات، فما غاب الرسول عن الوجود، وجّه الموجد، وبعث الحق للمتحقق، قديم بقدمه، متجدد بجده.

فالرسول بحقيقته تسمى في ظاهر بمبناه لقيوم بمعناه، بأسماء فريق من أوادمه.. نوحا، وآل إبراهيم، وآل عمران وموسى وعيسى، ومحمدا والمسيح، وعلياً والحسن وحسينا ومحسنا.. له الأسماء الحسنى أسماء الله، لاسم الله الجامع بإنسان الله لحقي معناه، وتسمى للتشريع وفقهه بالأسماء المروية بالأثر عنه.

ظهره آدمه قديما، وتجدد به في دورته محدثا وانتشر أبناء، فكان كلمات الأعلى، لعبده في قائم الأدنى، بيتا بعد بيت كلها استكمل آياته وكلماته، وتوفى فرفع، ثم بعث في رسالته بآدمه بيتا وضع لبيت من قبل رفع فكان حجر الزاوية ونقطة التحول على الأرض، تواجد عليها جديد قديم لحقها بآدمه، أول عابدين، وأول بيت لعباد ببيوت يلاحقون، لمعنى عترته يبعثون، جديدا للملأ أعلى، بسدرة للمنتهى، بملاً للرشاد، بملاً للإنسان، بملاً للحقائق، بملاً للإنسانية الرشيدة، رسالته يواصلون، ولها يجددون.

ارتفعوا فوق المكان والزمان والطبيعة رفاق الرفيق الأعلى، رفاقا أعلى ورفاقا له حقائق الله للملأ الأدنى بالحق يبعثون، الله من وراءهم بإحاطته، بتقديم الإنسان من الأقدم، وبقائم الإنسان يتجدد من خلاهم بالأبقى، في مشروع الحياة الأبدي، لمعرفة قائم الحياة الأزلي، للإنسان، في المطلق، في اللانهائي، في القريب، ولا شريك له، في البعيد، ولا إحاطة به.

عَرَفَ الإنسان نفسه، بقائم الله عبداً لله، يوم تكشف له قيومه من الله، على قائمه بالله رسولا إلى قائم قيام به، أمرا وسطا له، {فكشفنا عنك غطاءك}². وعَرَفَ عما رأى إلى من لم يرَ ليتهدي إلى نفسه ليرى {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}³.

عَلِمَ الإنسان عن الله، بمعلومه عن الآباء في الله، يوم تُوفِّيَتْ نفوسهم إلى جوار الأعلى، وأمسكتهم يده، في حضرته، فجددهم بالأبناء أوادم لآدم وجعل صورتهم على صورته، وبها أبرزهم فبهم أبرزه، {بلى قادرين على أن نسوي بنانه}⁴، في التسوية بين الجزء والكل له في قائم إرادة الأعلى في الموجود المطلق (قبل آدم مائة ألف آدم)⁵، وآدم في قابل، على صورتهم عليه يجمعهم، كما يجمعهم عليهم، بعد آدم مئات الألوف من آدم. إنها دورة آدم، في دائرة وجوده، في دائم تواجده، إلى أبد لا نهاية له، على ما كان في أزل لا بدء له.

فلا تظنوا بالله الظنون، ولا تظنوا بالله ظن السوء، واعلموه الخير، واعلموه القرب، واعلموه العظمة والبعد، واعلموه في عجزكم عن علمه، فلن تعلموه إلا بمعلومكم عنكم، من علمه به، فيما هو بكم، بكشف الغطاء عنكم بمستواكم لكم من معراجكم بكم إليه صحائف كتاب، وكتاب وجود، ووجود وجودٍ لوجود، يطول بنا إسناد عننة حتى إلى ذات وجوده بمطلقه للانهائي تواجده، في لانهائي قيامه.

تحدث الآباء عن الله، وتحدث عنه آباء الآباء، وتحدث أبناؤهم عن الله، كما تحدث عنه أبناء الأبناء. أتظنون الحديث عن الله، عند آباء الآباء، هو عين الحديث عن الله، عند أبناء الأبناء؟ إن الحديث عن الله يعذب ويدق، ويعلو ويتبسط ويرق، بمستويات، تختلف وتنفق، مع ما يوائم حال الناس من التواءم والتصارع، وبما يوائم حال الناس من التسامي والانحطاط، وبما يوائم حال الناس من الرقة والغلظة، وبما يوائم حال الناس من الصفاء ومن الظلام، وبما يوائم حال الناس من روح الغيرية وعزة الأنانية.

إن الأبناء الذين يأخذون من الآباء مقالات ومآثر، بظاهر من حال، وبه يحمدون مع الأقوال، ويتحركون في أشكال الأفعال وظاهر الأحوال، دون رد البصر إلى البصيرة في أنفسهم لكشف معانيها ومغانيها، ودون استقبال المزيد لمعانيهم ومغانيهم في عين أوانيهم ما زالوا في جاهليتهم.

إن الذين لا يتجهون إلى قبلة الصلاة، في هياكلهم لبيوت الله من قلوبهم.. إن الذين يرفضون التطور لنفوسهم.. إن الذين لا يرتضون التحرر لمعانيهم من مبانيهم.. إن الذين يحولون بين العقول وبين الانطلاق والعقن لم يدركوا الإسلام بعد لأنهم لم يدخلوه من بابه.

إن الذين يحولون بين الأرواح تقومهم، ويكونون على الأشباح تحكمهم وتسودهم وتسومهم لا يعرفون الحق ولا يطلبونه.. إن القلوب للأرواح لا تقومها وهي تسجنها الأشباح ما أشرق عليها فجر نور الإصباح، نور على نور، حتى يتعرفوا إلى الحق والصدق في مشكاة صدورهم. إن لم يكن لهم ذلك فإنهم لم يتذوقوا الإيمان بعد.

إن الذين لا يرون في جوارحهم خدما لمعانيهم.. إن الذين لا يرون لهياكلهم امتدادا وتطورا واتساعا، وتكاثرا وارتفاعا.. إن الذين يخلطون بين سلبى وجودهم بذواتهم ونفوسهم، وإيجابى وجودهم بجانبهم من الروح ومن الإشراق والنور، لم يسلكوا الطريق بعد.

إن الذين لا يهيئون لعلّ معانيهم من الروح، ومن الحق، ومن العزة ومن القدرة، ومن الطاقة، ومن الحكمة، ومن النور، ومن الحياة، أن تقوم بما هو لها في عالمها من النفس، متعطلا لا وجود له إلا بها، ولا عمل له إلا بعملها، ولا حياة له إلا بتدانيه إليها، ولا شرف لها إلا بمتابعته إلى عليّ، بعلياء، لعلّها يوم تفارق صفاتها بدنيها لم تقم فيه المعرفة بعد..

إن الذي لا يفعل شيئا من ذلك ويحرم من كل ذلك ولا يتبها له، ليس في دين، وليس بدينه بشيء من ذلك في طريق.. إنه في كرة خاسرة.

إن غاية الدين إنما هي العلم والمعرفة، وإن غاية العلم والمعرفة إنما هي الطريق، ولا طريق لمن لم يطرق باب القبلة في كرة رابحة.

فلا حياة لمن لم يفتح له الباب للحياة، ولا بقاء لمن لا يسلك الطريق مع الباقي، ولا نعمة لمن لم يواصل في الطريق سعيه، ولا مسيرة في طريق لمن لم يكن الله غايته، لمن لم تكن الحياة هدفه ونهايته، لمن لم يحرص على أمانة الحياة له، بدخول ساحة الحي القيوم، بشهود لا إله إلا الله، حصن وجوده، وقائم حياته، خلف إمام ركب الحياة ورسول الله بكوثره.

فما كان الرسول لنا وما هو في كل وقت بنا إلا إمام أئمة عصره، وظل ظلال حقه، ووجه وجوه ربه، وقائم الأمر لأمر أمره، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) ^٦، فمن لا خل له في الله، لا دين له، ولا كتاب له، ولا طريق له، ولا باب له، فهو إنما يدور حول نفسه، من شيطانها يجري منها مجرى الدم كنودا لنفسه من رحمانها أقرب إليه من حبل الوريد.

هو {الرحمن فاسأل به خبيراً} ^٧، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني} ^٨، فهو حق متابع، لعينه، من حقائق متابعة لحق أكبر يتابع، يلحقه ويتبعه من الخلائق أتباع بعد أتباع، لا ينقطع لهم وجود، ولا تحتجب عليهم بصيرة (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها) ^٩، (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) ^{١٠}، (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) ^{١١}، (يأتي على أمتي زمان، القابض فيه على دينه، كالقابض على الجمر) ^{١٢}، {وعباد الرحمن، الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} ^{١٣} {من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً} ^{١٤}.

فأي مهدي ينتظرون؟ وأي هاد يترقبون؟ وأي مسيح لهم يعود؟ وأي إنسي يظهر بينهم ليجود؟ هل غاب الله؟ هل غاب فعله؟ هل غاب أمره، على غابت رسالته؟ هل احتجبت حكمته؟ هل تعطلت إرادته؟ هل توقفت رحمته؟ هل انقطع حديثه؟ هل تعطل وحيه؟ هل غلب على أمره؟ هل انقطع عن التواجد على الأرض عباده؟

لِمَ تظنون بالله ظن السوء وهو الخير؟ لِمَ لا تختارون أئمتكم في الله بضمائركم لله قائم وجوه ربكم لوجهه لكم؟ هم أيدي نجاته إليكم، ليد افتقاره بكم، وعيون فيضه عليكم، ولسان حكمته منكم، وقدم سعيه بكم، ومظهر إرادته لكم، بعباد للرحمن يمشون بينكم يوم أنكم على دينهم ديناً لكم تحرصون وله تدركون وبينكم تطلبون وعنهم تبحثون وإليهم تسعون قبلة صلاتكم وحبل صلاتكم...

يوم نتآخون في الله لجماعكم، بهم به نتواصون، ورسول الله في دوام بينكم وفي قلوبكم تشهدون، وعلى أنفسكم لأئمتكم تبايعون، {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم} ١٥، فله في أنفسكم تشهدون، {واذكر ربك في نفسك} ١٦. فلم تحجبون وجه الله عن بصركم وبصائرهم، له لا تقدرين، ولكسبه لكم لا تعملون؟ هو وجهه لكم لوجهكم له بروادكم، عنه تزورون، والله من ورائكم جميعا بإحاطته، وبقيومه لقائكم، بنعمته.

أعطاكم الأعلى نعمة في الرسول إليكم بينكم رحمة مهداة منه لكم، وملّكه الوفير من كنوز رحمته، وكنوز نعمته، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته} ١٧، {لذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه} ١٨، {استجيبوا لله وللرسول إذا دعكم لما يحييكم} ١٩ فالرسول بما أودع الله فيه لقائم الحق غاية لذاته، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ٢٠، وبما جعل الله له من صفاته هو وسيلة لهذه الغاية لقيوم الحق عليكم بمحموده.

إن الله في زمانكم هذا، وفي عصركم هذا، مبرز لآياته في الآفاق وفي أنفسكم، كما هو الأمر دائما، ولكن في صورة أكثر وضوحا، وأعنف تعبيرا، فزلزل الأرض زلزالها المرة بعد المرة، وقد أوحى لها أن تجعل من أخبارها أحداثا تحسونها، وتقرأونها، يوم تشهدونها، فتعلمون جديدا من الأمر، وهو ما كان في واقعه الدائم بجديد.

فإذا نظرتم وتأملتكم فيما تدانيكم به السماء، وما يأتكم به غيب وجودكم وما تنشق عنه الأرض من جديد في أحوالكم، لجديد لتواجدكم بتطويركم، فترونكم أشتاتا متواجدون، وأشتاتا مبعوثون، لقائم بكم شهد قديمه له، وعرف قادمه من أمره، لأطواره بفعله، فيعلم الإنسان أنه في واقع القول من البلاغ عنده، {يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم} ٢١...

وأن الناس، إما إلى حق يشهدونه، بروح مرشد يعرفونه، بإمام يتابعونه، ومعلم يسترشدونه، وإما إلى أعمالهم وأنفسهم موكولون، يوم ترد إليهم أعمالهم خاسرين، فترسل عليهم الشياطين، فتأزهم غافلين، فيتخبطون من المس داجرين، ويوم يكون ذلك في علم الناس ومعرفتهم وهو كائن فذاك يوم الدين.

إنكم في يوم من أيام الفصل، لفصل، في أمر يوم من أيام الهدى، بأيام من أحواض الرحمة، ومن أيام النعمة. وإنه وإن كان يوما من أيام الفصل، فهو أيضا بلطف الله قيامة من أيام الرحمة. إنه إشراق لحقيقة كبرى، فأيام الفصل وأيام البلاغ أيام متشابكة متوحدة، لها مقدماتها، ولها إرهاساتها، ولها نتائجها وملحقاتها.

وها أنتم في هذا العصر تملكون بآيات الله، وتتربكم آيات الله، وأنتم عنها في غفلة، ومع مبدئها في جفوة، ولمعروفكم بها في كنود، وفي إيمانكم بمن أنبأها في جحود. تمتنعون بظلام إدراككم عن القيام والقعود، وتستعصون على الصلاة والسجود لمن أنتم له بقدرته لقدرتكم، ولمن هو لكم برحمته لرحمتكم.

إن البشرية في زمنكم هذا، والله وعدا أن يكون عند ظنها، وقد ظنت، أنها تملك القوة والقدرة والعزة، بجبلتها من الأرض وهي في قطيعتها عن الله لها بإيمان ومعرفة وتخلي عن الثقال إليها، لن يكون لها ذلك وبه يكون. فكل الذي فوق التراب تراب. ظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها، فد الله لهم في طغيانهم يعمهون فتنة لهم حتى يتميز طيبهم من خبيثهم، ليعرف الأعلى أيهم أحسن عملا.

يريد قويمهم أن يبطش بضعيفهم وقد يسمح الله له أن يفعل في دنيا الزوال، حتى ينصف الضعيف من القوى في دنيا المثال، ويتصارع قوي مع قوي، حتى يهلك كلاهما نفسه، ويذوق كل منهما بطشه {بل الذين كفروا في عزة وشقاق} ^{٢٢}، {بأسهم بينهم شديد} ^{٢٣}، ولو ترك أمرها لها بترك الجبل على الغارب، لأهلكت البشرية نفسها، وهو الذي {يمسك السماوات والأرض أن تزولا} ^{٢٤}، فهو برحمته لن يترك لهؤلاء الحمقى أن يتحكموا بحماقتهم في مصير البشرية، أو في مصير أنفسهم.

إن الله محقق وعده، ما وقع القول عليهم، وها قد وقع القول عليهم، وصفوه بالجبار وهم الجبابة، وصفوه بالمنتقم وهم أهل الانتقام، فهو هم على ما أرادوه، فكان لأنفسهم بوصفهم على ما وصفوه، وهو معهم على ما أراد هو بهم للسلام وأهل السلام جافوه وقلوه وزهدوه وقد جافوا أهله بينهم.

إن كان كذلك، فهو كذلك، يوم يجعل بطشهم بينهم شديد، وقد فعل في سابق، وقد يفعل في لاحق، وهو فاعل في دائم. ولكنه بحكمته، وبواسع رحمته، سيبرز من عباده عابدا أولي بأس شديد، بأس تصحبه الحكمة والرحمة، على ما فعل، وهو الذي يبدئ ويعيد، يوم نصر عبده، وأعز جنده بجنود لم تروها، فهزم الأحزاب وحده، وقد برزوا لله جميعا الواحد القهار {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} ^{٢٥}، وهل كنت غيره {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ^{٢٦}.

إن الله الذي جعل من آياته خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وأعلن أنه إذا شاء جمعهم على الهدى وأنه على جمعهم عليه لتقدير يوم يشاء اجتماعهم، وجمعهم على نصره أمر له من الناس، وكيفما تكونوا يول عليكم، وهو إنما يولي بحكمته، ويغلب بحكمته على قدرته من تحلى برحمته، يوم يوائم بين شيطانه ورحمائه في إنسان عنوانه لإحسانه، وإنه يوم يجمع ما فيهما من دابة، في صعيد واحد، لنصرة أمر واحد، جعل فيه إعلاء كلمته، وإشهار عبوديته، يوم يسفر بقدرته لطبيعته، أن تكون

في إرادة عبده لجماع عبادته، الذين واءموا بين إرادتهم وإرادته وقدرتهم وقدرته فلا إرادة ولا قدرة لهم ولكنها الإرادة والقدرة له.

يومئذ من يكون العزيز من الناس؟ ومن هو ذو البأس بين الناس؟ ومن هو القادر من الناس؟ إنه الضعيف! إنه عبد الرحمن الذي يمشي على الأرض هونا.. إنه الأشعث الأغبر الذي لو أقسم على الله لأبره.. إنه إنسان حضرته، وظاهر إرادته.

هناك فرق شاسع بين القدرة، والقوة. إن القوة تضعف أمام القوة، يوم تتفاوت القوى، ولكن جميع القوى تتضاءل أما القدرة، ولا تتعارض مع القدرة، فالقدرة، هي الوجْهَة، وهي الإرادة، وهي الحكمة، وهي السلامة في التدبير، والإحسان في التقدير، والاستقامة في التوجيه.

إن العزة لله، ولرسوله، وللمؤمنين، أزلا، وقياما، وأبدا، ما غاب ذلك وما تعطل، وما تبعض. إن العزة لله جميعا. فما عزة المؤمنين إلا عزة رسول الله، وما عزة رسول الله إلا عزة ربه، وما عزة ربه إلا عزة إلهه، وما عزة إلهه إلا عزة المطلق اللانهائي، المصطلح على تسميته وهو الغير قابل للتسمية بلفظ الله، وما عزته إلا في اتساع أمره، بحرية الكائنات فيه إلى قيام بإرادة مطلقة لها هي إرادته.

فاسم الله، علما على أقدم، لمعلوم قدسه، في معراج في الله لذي المعارج، يطول بنا إسناد عنعنة بأمر لأمر، وبإنسان عن إنسان، حتى إلى ذات إنسانه، وذات أمره مسيح المطلق، لقائم إنسانية الوجود، بآحادها، لأحدية المطلق إن جاز أن نقول إن للطلق أحدية، فالأحدية من صفات التقييد والمقيد، لحضرة واحدة، بأعلامه، بأسمائه، له الأسماء الحسنى، بالإنسان، وهذه أمور لها قيام دائم على الأرض، (أخفى الله الولي في الخلق)^{٢٧}، وهي حقائق مستضعفة من أهل الطاغوت، فهل جاء اليوم الموعد لنصرتها؟ هذا ما ستكشف عنه الأيام في هذا العصر، {لأغلبن أنا ورسلي}^{٢٨}.

إنكم تسمعون في هذا العصر وفي هذا الزمان، بما يسمونه الأطباق الطائفة، وهو أمر معجم على البشرية حتى الآن، لا تدري له مصدرا، ولا تعرف له حقيقة، ولا تشهد له عملا بعد، اللهم إلا تعطيل بعض الأجهزة الإلكترونية أو الكهربائية على صورة الظن، وهو أمر لم يتكشف للبشرية بعد خبره.

إنها محاولة، من عوالم من أمثالكم، على رأسها عالم المريخ، تحاول أن تقيم علاقة بكم، وتريد أن تتصل بعالكم. قد يبدو هذا القول غريبا اليوم، وقد يظل مستغربا أياما أخرى ولكنه أمر عما قريب سوف يتكشف للجميع، وإلى جانبه آيات الله تترى، بظواهر الطبيعة من العواصف المغناطيسية، والثلجية، والترابية، والهوائية، وما لا أدري من ثورات الطبيعة في ألوانها، بما تعرفونها وعلى ما تسمونها.. عواصف

أو زلازل أو براكين أو فيضانات مدمرة، أو مد للبحار، أو ظواهر طبيعية، أو نكبات تنسب للطبيعة. إنها لغة الأرض يوم تتحدث في صورة غاضبة، وقد تحدثت طويلا باسمه راضية.

وهذا أمر يطول بنا شرحه وتعديده، ولكنه يظهر بصورة متميزة في عصركم هذا.

ولم كل هذا!! لأن الإنسان على الأرض، ركب رأسه، ومشى مكبا على وجهه، وفكر بغريزته وفرجه، ولم يعمل ما أعطاه الله من نور عقله، وما كشف له من علمه، عن أسرار كونه، وأسرار كيانه، فما زال متجددا ببهتانه، مطفئا لنور رحمانه، فإلى متى؟؟

لقد عادت البشرية إلى جاهلياتها متجمعة، فقابل الجاهليات لها، مصايحا منها، بحكمة الله في كل مكان، وبكل لغة، وبكل أمة، وبكل درب من دروب الحكمة، وبكل بلاغة من قوة البيان، ولكنها كانت صرخات في وادٍ، كانت ولا زالت تقابل من الناس بكل عناد، يجادلون في الله، في كل مكان، بغير علم، وبغير هدى، وبغير كتاب، يحرفون كلام الله وكتبه عن مواضع استعمالها، ويحرفون كلمات الله بينهم من الناس من العلماء والحكماء عن مواضع منابرها منهم، ويتبعون كل شيطان مرید، في كل مكان.

هذا ما يبدو لكل عاقل متبصر، يشهده في كل تجمع، باسم السياسة، وباسم الكياسة، وباسم الرئاسة، وباسم الاقتصاد، وباسم الرشاد، وباسم المثل العليا ومجانبة ومحاربة الصفات الدنيا، وباسم المبادئ السامية لتحقيق الخلق العالية، كلاما لا عملا ولا قياما، كلاما تلوكة ألسنتهم وتزين به أعلامهم، ويتمشدون به في إعلامهم وفي عنت، وفي ظلم لأنفسهم، وفي كبرياء بأجسامهم، ونفوسهم، باسم الروح، باسم الروحانيات، باسم الغيب، باسم الغيبات، باسم الأنبياء، باسم الآيات في فحة يتحدثون.. فإذا ينتظر الناس من ربهم؟ وماذا يحققون لأنفسهم في إلههم؟ وماذا ينتظر إنسان الأرض من إنسان السماء؟

ترك الله للإنسان الحبل على الغارب، مئات السنين والآفها، قدّر فهدى حتى يفيق، وصبر معه، وصبر له. ولكن الإنسان على الأرض، لا يريد أن يواصل أمانة الحياة عليها حتى يحيا بنفسه بمعاني الحياة لها. ولكنه يريد أن يقطع مواصلة الحياة، لنفسه، بفعل نفسه، يخربون بيوتهم بأيديهم وبأيدي المؤمنين.

فإلى متى يترك لهم الحبل على الغارب؟ لقد ولى الله أمور دينهم لمن اصطفى واختار، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وجعل لهم في أمور دنياهم الحق في الاختيار لأمرهم، باصطفاء أميرهم من أنفسهم من بينهم.

فيمن يكون الأمر من بعدك يا رسول الله؟ الأمر مرده إليكم.. إن الرسول يجيب على قدر السؤال.. وما كان السؤال إلا في أمر الدنيا. فقال لهم: أمر الدنيا مرده إليكم، أما أمر الدين، فما زال أمره مرده إلى الله.. والله ما زال أعلم حيث يجعل رسالته.

(من كنت مولاه فعلي مولاه)^{٢٩}، فهذا أمر الدين (أنا مدينة العلم وعلي بابها)^{٣٠}، أما أمر الدنيا فردّه إليكم، (وإذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)^{٣١}.

لقد فعلوا في أمسهم مع الرسول فعلا، أُحتسب لهم، وحصلوا منه على أجرهم بنصرهم، يوم قالوا (كيف لا نولي أمور ديننا رجلا ارتضاه الله لأمر ديننا)^{٣٢}. ولكنهم بعد رسول الله، أحدثوا في أمر دينهم على ما يجب منهم في أمر دنياهم، بعدم اقتدائهم فيما جدّ من أمرهم، بما كان منهم لأمرهم لعين فعلهم، يوم أنهم قالوا لرسول الله، كيف لا نرتضي من ارتضاه الله لأمر ديننا، ليكون برضانا لأمر ديننا. فلو أنهم آمنوا بأمر دينهم فيما هداهم لدوامه بينهم ببيته، لأدركوا في يسر ما كان يجب عليهم، وقد ردت إليهم غيبة الرسول حقهم ومطلق حريتهم في أمر دنياهم، (الأمر مرده إليكم)^{٣٣}، فكان الواجب أن يشغلهم أولا من اختار الله ورسوله لأمر دينهم، حتى يسترشدوه في أمر دنياهم.

أبعدوا النظر فيمن يكون أمر الدين على ما هدى الرسول، فأنحرفوا في أمر الدنيا فلم يوسدوا الأمر لأهله، وقد حذرهم رسول الله في ذلك، يوم قال لهم، (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)^{٣٤}، فقد كان للأمر بينهم أهل. وهل كان أهل الأمر في الدين غير أهل البيت، يذكر فيه اسم الله؟ وهل كان البيت للفرد غير القلب؟ وهل كان اسم الله المذكور فيه غير رسول الله {رجلا سلما لرجل}^{٣٥} (ولدي هذا سيد)^{٣٦}، (سيد القوم خادهم)^{٣٧}، (من كنت مولاه فعلي مولاه)^{٣٨}، (وكيفما تكونوا يولّ عليكم)^{٣٩}، فهل قدموا أمر الدين على أمر الدنيا؟ وطلبوا معرفته فيمن يكون من بينهم، حتى تستقيم الأمور لهم، ويستقيم به الفصل فيما اختلفوا فيه بينهم؟!.

فإذا جاءت الساعة، يوسد الأمر لأهله، فما تكون الساعة؟ إنما هي توسيد الأمر لأهله ليسوا في حال انقطاع عن المجتمع، إنما هم بين من قاموا في أمر الدين ولا يستطيعون سفورا به وهو أمر دائم القيام، ولكن هل يتم هذا عن طريق اختيارهم من الناس، فيقول الناس كيف لا نرتضي لأمر ديننا من ارتضاه الله لأمر ديننا؟ هذا ما لا ندري.

وهذا ما ستأتي به الساعة، فربما يوسد الأمر في الدين، لمن يوسد له باصطفاء الله بناموس {الله أعلم حيث يجعل رسالته}^{٤٠}، فيقع اختيار الناس له لأمر دنياهم تلقائيا يوم يكون اصطفاءه لأمر الدين ظاهرا جليا لا ريبة فيه، وقد يوسد له الأمر في الدنيا أيضا باصطفاء الله، ولا اختيار للناس ولا إرادة

لهم. وقد يختاره الناس لديناهم ولكنه يتركهم ودناهم ويعاملهم لخدمة أحرارهم ويستقيم أمرهم في اختيارهم، وقد يختار هو لهم. هذا أمر مرده إلى تصريف الله به وبهم.

وربما يبرز الله مصطفاه لأمر الدين حتى يعم به الإيمان بعيدا عن دناهم، ويترك للناس أن يختاروا مصطفاهم لأمر الدنيا بعيدا عنه، بأمر الله أو عزوفا منه في تخير له، وهذا أمر يديه الله في وقته، وفي حينه، إنها الساعة ثقلت في السماوات والأرض، لا يديها لوقتها إلا هو، تأتيهم بغتة.

إن الساعة في دائم أمرها، غير الساعة في دائب دورتها. إن القيامة في دائم قيامها، غير القيامة في دائب دورتها. إن أمر الله في دائم ظهوره، غير أمر الله في دورة أمره بسفوره. إنها دورة آدم، يوم يظهر الله آدمًا سافرا، بمعاني الحق له، وجها لله، عنت الوجوه لله الحي القيوم به. أما آدم في قائم الطريق، فقيام دائم يعمل له ويكسب في كل وقت وحين ولكل طالب مجاهد، وهو أمر قابل في الطريق للوجود المتعدد في الأرض في كل أمة وفي كل بلد من بلدانها.

(لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم)^{٤١}، فهو لحتها وسداها بسفورها به. وهو قائمها وقيومها ومعناها، فيمن يهدي الله، ويجعله المهتدي، ويجعله هدى للناس، وليا مرشدا لمن يتولى الله، ولن يتولى باسم الله وجها له، بمصاييح الظلام، وأوتاد الأرض في كل قيام من طبقات الناس.

هم من قالوا ويقولون لأحبائهم وأصحابهم وإخوانهم في الله، (لا فرق بيننا وبينكم، ما صحبتناكم لتكونوا أنتم أنتم ونحن نحن ولكن صحبتناكم لتكونوا أنتم نحن ونحن أنتم)^{٤٢} والله من ورائنا بإحاطته ونحن له وجوه لوجوه، ووجوه بالله ناضرة، لوجوه بالله لربها ناظرة، لدوام الرسالة ودوام الطريق.

(ليس الشيخ من قال لك أنا وأنا ولكن الشيخ من قال لك ها أنت وربك)^{٤٣}، (لا تصاحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقالته)^{٤٤}، (من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك)^{٤٥}. (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)^{٤٦}، (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)^{٤٧}.

أما آدم الساعة أو المنتظر، فهو إمام فصل، فهو آدم الابن، إنه ابن الإنسان.. إنه مسيح الأب المعلوم.. إنه يسفر بما فيه من الحق، غير مسربل بجلباب الليل هذا، هنا يلبس ثوب النهار، ويقول بما قال به عيسى من قبل، محفوظا من الناس، (لا دينونة الآن على من دخل في قلب يسوع)^{٤٨}، أنا هو الطريق والحق والحياة^{٤٩}، أنا القيامة^{٥٠}.

ويقول رسول الرحمة والسلام (بعثت والساعة كهاتين)^{٥١}، لا فرق بيننا، فأنا ساعة، وهي رسالة، وأنا رسالة وهي ساعة، إنها أنا وإني وإياها، لا فرق بيننا، وهي منكم قريب، وقد بتم في وقتها، وفتحت لكم

أبواب خيرها وأغلقت دونكم عذاب محتها، ونافذ قضائها، برسالتي بينكم دائمة عاملة، لفردكم وجمعكم بساعة رحمتكم ولحة لقائكم. أما الساعة برد أعمالكم إليكم فهي محنة وإن كانت قائمة عاملة، إلا أن سفورها بأمرها لا يجليها لدائرة العلم العام بها إلا هو، بآية لها، لخلق زمان وإنهاء زمان، في دورة الزمان.

(اللهم إني أعوذ بك من فتنة الدجال^{٥٢}، من فتنة السفيناني^{٥٣})، حتى ظن الناس أنه يظهر في عصره، وما الدجال أو السفيناني والمهدي إلا أمران في الناس، يتبادلان القيام، هما ما أسميناه في عرفنا بلغة العقيدة بآدم وإبليس.. الرحمن والشيطان.. الإنسان والطاغوت.. الحق والبهتان.. إنهما حقائق الوجود والتواجد.. إنهما ظلام التواجد ونور الوجود.

إذا قلنا الدجال.. فإنما هو عصر يبرز فيه هذا المعنى، أكثر من غيره من العصور، وما كان غائبا عن عصر الرسول وعن كل عصر، وقد أشار إليه الرسول، يوم قال مشيرا إلى نجد، من هنا يخرج قرن الشيطان، من هنا يبرز السفيناني، ومشيرا إلى أبي سفيان، حاملا لمعنى البهتان، وآدم الظلام وآدم الطين، وآدم الطغيان وهو ما عنونه حكم الأمويين.

إنه معنى في الناس قام ويقوم بأبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان. إنه دائم التواجد، في مقابل موجود أبي تراب وأبي ذر وأبي بكر من آدمية الأرض وبشريتها، إنها قضايا الفطرة، والإسلام دين الفطرة.

إن المسيح دائم القيام، وإن المهدي دائم القيام، وإن آدم دائم التواجد، وإن الرسول دائم الانبعاث بالحق، يوم يقوم ويتقلب في الساجدين، ظلال حقه، وقائم حقيقته بما أنزل الله معه من نوره جعله له يمشي به في الناس. هذه كلها أمور في الدين، وأمور في الفطرة، وأمور للعلم، وأمور للحقيقة، وأمور للكسب، وأبواب للطرق، وطرائق للسلوك، وطريق للوصول للغاية، بالتحقق والتخلص من الخلقية إلى الحقية، بمفارقة صفات العدم إلى صفات الدوام بالوجود.

على أساس من هذا يجب أن يفهم الدين وأن يتدارس الناس الدين، فيخرج الناس من جاهليتهم إلى العلم، بإسلام الله إسلاما لرسوله لإنسانيتهم، قيوم قائمه في نفسه، فيدخل في حصن لا إله إلا الله، ويشهد الله أكبر، قياما بمحمد رسول الله، مشهود وجوده، وقيام موجوده.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله وحق الله، ووجه الله، وعبد الله.

اللهم يا من هديتنا برسول الفطرة، وكمال الفطرة، وقائم وقيام الفطرة، وعبد الفطرة، وحق الفطرة، وصبغة الفطرة، من عرفناه لك حقا، ومنك رسولا، وبنا حياة، اللهم لا تحرمنا فطرته، ولا تمنعنا صبغته، بكنود أنفسنا، ومظلم نظرنا، وضال سعيها، وفاتر فعلنا، وضعيف أمرنا.

اللهم وقد جعلته رحمة مهداة، فاجعله لنا هدية، ولا تمنعنا بكنودنا هذه العطية، رغم قصورنا، وتقصيرنا، فهو رسول رحمتك، وهو الذي علمنا وأعلمنا أنه لا يدخل الجنة أحد بعمله، لا يدخلها داخل إلا برحمتك، إلا برضائك.

اللهم به فارض عنا.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا بما كسبنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم به فتولنا برحمتك حكاما ومحكومين، يقظين وغافلين، مهتدين وضالين.

اللهم به فأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الماعون - ١ - ٣
- ٢ سورة ق - ٢٢
- ٣ سورة الذاريات - ٢١
- ٤ سورة القيامة - ٤
- ٥ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن الله خلق مائة ألف آدم". وجاء في بحار الأنوار، من المكتبة الشيعية، عن السيد محمد الباقر: "بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم".
- ٦ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحداكم من يخال". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٧ سورة الفرقان - ٥٩
- ٨ سورة يوسف - ١٠٨
- ٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ١٠ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ١١ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأثكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.

- ١٢ حديث شريف: "يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر." رواه الترمذي.
- ١٣ سورة الفرقان - ٦٣
- ١٤ سورة الكهف - ١٧
- ١٥ سورة الفتح - ١٠
- ١٦ سورة الأعراف - ٢٠٥
- ١٧ سورة الحديد - ٢٨
- ١٨ سورة الأحزاب - ٣٧
- ١٩ سورة الأنفال - ٢٤
- ٢٠ سورة الأحزاب - ٦
- ٢١ سورة الزلزلة - ٦
- ٢٢ سورة ص - ٢
- ٢٣ سورة الحشر - ١٤
- ٢٤ سورة فاطر - ٤١
- ٢٥ سورة الأنفال - ١٧
- ٢٦ سورة الإسراء - ٨١
- ٢٧ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فر بما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فر بما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فر بما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادته، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فر بما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٢٨ سورة المجادلة - ٢١
- ٢٩ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألسْتُ أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فهذا ولي من أنا مولاه اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٣٠ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.
- ٣١ من الحديث الشريف: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة". صحيح البخاري
- ٣٢ عبارة للسيد رافع قد تكون إشارة لما حدث بعد الهجرة من اختيار أهل المدينة بأن يتولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمور دينهم ودنياهم.

- ٣٣ من حديث شريف ذات صلة يعلم به الرسول صلى الله عليه وسلم صحبه أن أمور الدنيا تعود لهم، وأمور الدين تعود إليه كرسول الله: "إِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنُكُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَلِيَّ". أخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان.
- ٣٤ من الحديث الشريف: ".. فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري
- ٣٥ سورة الزمر - ٢٩
- ٣٦ من حديث شريف جاء في حق سيدنا الحسن بن علي: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" صحيح البخاري.
- ٣٧ حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.
- ٣٨ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيدِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فِهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٣٩ حديث شريف: "كما تكونوا يولّ عليكم". رواه الديلمي والبيهقي.
- ٤٠ سورة الأنعام - ١٢٤
- ٤١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤٢ استلهاما مما قاله الشيخ المرسي أبي العباس: "قال لي الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت."
- ٤٣ معنى يقترب من مقولة لابن عطاء الله السكندري: "شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك، حتى تجلّت فيها أنوار ربك، أنهضك إلى الله فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه، وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه، فزجّ بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك."
- ٤٤ من الحكم العطائية.
- ٤٥ مقولة للشيخ ابن مشيش.
- ٤٦ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بالفاظ متقاربة.
- ٤٧ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأثكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بالفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.

- ٤٨ "إِذَا لَا شَيْءٌ مِنَ الدِّينُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لِأَن نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ". رُومِيَّة ٨: ١-٢
- ٤٩ (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي.) (يو ١٤: ٦)
- ٥٠ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١: ٢٥)
- ٥١ حديث شريف: " بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.
- ٥٢ الحديث الشريف: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ". أخرجه البخاري ومسلم
- ٥٣ إشارة للمسيح الدجال أيضا، ويفهم أبعاد اللفظ من السياق نفسه.

(٨)

أزواجاً بقيوم وقائم تواجدت الأشياء بخلق وخالق وتواجد البشر بجلباب ولابس وقامت الطريق بقاعد وعارج وعرف الكون بظاهر وباطن وقام الناس بموقوت ودائم

حديث الجمعة

٣٠ ربيع الآخر ١٣٨٥ هـ - ٢٧ أغسطس ١٩٦٥ م

الحمد لله الذي لهذا هداانا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الحمد لله الذي مَنَّ علينا، فأَمَّنَا برسول الله، ربَّاً رَعَانَا، وإِلَى الحق هَدَانَا، وبِمَعَانِي العبد قَامَنَا وتَوَلَّانَا، فشرور أنفسنا كَفَانَا، وفي الطريق المستقيم قَادَنَا وأَسْرَانَا، وإِلَى الله أَخَذْنَا، وبالحق بَعَثْنَا وبالله رَحِمْنَا.

فالحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، لا نفرق بين النبي وربه، ولا نفرق بين الله ورسوله، ولا نفرق بين إمام الرسل والمرسلين، ولا نفرق بين كلمات الله وجوهرها، وأَقْبَاس نور الله ومصدرها، وأرواح روح الله من اللانهائي وأمرها، وقبضة نور الله لمطلق نور الله وقدرها، ولا نفرق بين الله وحجب نوره بعوالمه، ولا نفرق بين المؤمن والمؤمن.

أَحْيَى النبي الرسول خلقاً في الروح الرسول حقاً، وأَحْيَى الرسول حقاً في عزة الله وإرادته قياماً، فقام بعزته وإرادته وسلامه، وأَحْيَى المؤمنون في إنسان الله، رحيماً عزيزاً كريماً، فقاموا برحمة الله، وبعزة الله، قاموا برحمة الله ورسوله، وبعزة الله ورسوله، عزتهم من عزته، ورحمتهم من رحمته، وقيامهم من قيامه، لا تعدد لهم ولا فرق بينهم واحدية أحييتهم بجمع شتاتهم لأحدهم.

قام المؤمنون بوحدانية الله، يوم عرفوا وحدانيتهم مع رسول الله، فعرفوا وحدانية الله برسوله، وآمنوا وأدركوا وحدانية رسالته، لا تعدد لرسوله لمعاني رسالته، ولمعاني رسوله، ولا تعدد لحقائقه في معاني حقه، وواسع عظمته لقائم عبده والأعلى والأعظم لقيوم ربوبيته بقائهما بعده إلى لانهايته بمطلقه لا يدرك، وإن كان في شدة قربه لا يحسد، هو المعروف للعقل، والمدرک للحس بموجوده لواجب الوجود لقائم الأعلى بالموجود، هو الحق الظاهر، بالقيام لباطنه لمعنى قيومه في معراج قيامه لأطوار تواجده، لا فرق بين ظاهره وباطنه، ولا بين باطنه وظاهره، موجود الوجود للوجود لا شريك له.

بالله بمطلقه كان الإنسان لطلعته، هو الحق في كل مظهره، وفي كل أحواله. يقوم بعظمته، ويدبر بحكمته، وتقوم الأشياء بأمره، وتقوم الأمور بإرادته، وتقوم الإرادة بصبغته، وتقوم الصبغة بفطرته، فبالإنسان لإنسانه يعلم الإنسان أن الله لا إله غيره، منه الجيئة، وإليه المصير، وفيه القيام بين يدي رحمته، لا شريك له من خليقته يوم هي به فيه تتخلق، ولا وجود معه لخلائقه يوم هي به تتحقق.

إنه الأقرب إلى كل نفس من جبل الوريد، إنه قلب القلوب ونواة الأشياء، إنه الحياة وقيوم الحياة، لقائمها جعل من الحق الرسول علم كسبه عند معلومه، إليه تُغَيَّرُ النفوس ما بها صبغة الشيطان إلى ما لها به من صبغة الرحمن، دخولا في قائم كوثره بفرد مشهوده بظله بالمؤمنين في عالم الظلال وعوالم المثال.

تواجدت الحياة أزواجا بقائم وقيوم، وتواجدت الأشياء أزواجا بخلق وخالق، وقامت البشرية أزواجا بجلباب ولابس، وقامت الطريق أزواجا بقاعد وعارج، وقام الوجود أزواجا بظاهر وباطن، وقامت الأشباح أزواجا بقلب وقلب، وتحقق الإنسان وتحقق الوجود، أزواجا بعبد ورب، لأزواج في آحاد لله، لقائم حقائق، بموقوت ودائم، فتسرمد أزواجا بقيوم وقائم بموجود لموجد.

بهذا جاءت الفطرة، وبه جاء دينها، وبه ظهرها رسولها وعلماها، من كان بمحمدية مشهودا آدماء، ومن كان بالروح الأمين له وجوداً اتحاداً كياناً، وبعثاً حقاً وإنساناً. فكان الإنسان أزواجا، لابسا وجلبابا موقوتا ودائما، ظاهرا وباطنا. بذلك كان محمد الرسول الآدم في تمام إنسانه ظهر بجلبابه، وقام إنسان الحق في الإدراك للإدراك لإنسانه لغيابه حيا قلبا وقلبا، وانطلق روحا ونفسا ونار عقلا وحسا، وتجدد شبعا ولبا، وتواجد كوثر وعدا، وغاب عن النظر سرا وأمرأ، ونطق وأوحى فعلا وجهرا، وسعى إلى الناس لله قدما، وبايع عقولهم ونفوسهم لله يدا وعهدا، وتجلي به وجهها، وقام في الخلق لله حقا.

قام بأعلام لمعانيه، قبل أن يتواجد بيننا علما لجماعه، ثم تجدد بيننا من بعده، وجوها لأعلامه، وفعلا لمعالمه، وتشتيتا لجوارحه، وتكاثرا لنفسه، وتوحيدا لنوره، وكتبا لحكمته، وبياننا لبلاغه، وظهورا لدائم

حقه، في قديم خلقه بتجليه لخليقته، عين ووجه خالقه، ويد مبدعه، ووجه رحمته، وجلال طلعه، وجمال نعمته.

خاطبنا على قدر عقولنا، أفصح فبين، وأشار فأعجم، نخص وعمم وتواضع فعلم، وآثر فكلم، فنزل تحت الناس بحقه، ليتحققوا بما تحتهم محيطين بعلمهم عنهم عين حقيقتهم للأعلى لهم، هم له لقادم جيئتهم. دنا إليهم من عليّ بحقه لقيوم قائمهم مبعوثا به لقائمهم بهم لموصوف حقهم، فنزل دونهم بجديده، راعيا لهم بقديمه ليوقظ نائمهم، ويوفي بحقه قائمهم.

دين القيمة، دين المعلمين، دين الراشدين، دين الرجال، أمومة الأطفال، رعاية الآباء، وقدوة وشعلة الفتيان، فتجمع قلوب الرجال، وتحدث بحكمة الشيوخ، وفعل بتجارب الكهول، وجاهد بهمة الرجال، فكان بجمعه له أمة الرشاد، وألسنة الحكمة والسداد، ويد القدرة للهراد، وعلم القدوة لحقائق العباد.

بذلك كله قام رسول الله، وبه قام كتابه، وعليه انتظم سفوره وجابه، ما أخرج كائنا من حجاب رحمته، زويت له الأرض فما أطفى قائما بعزته دون رد عمله إليه بناموس الفطرة، شرع للناس (الكبر على أهل الكبر صدقة)^١. أعلن وأشهر أن أحب الناس إلى الله أنفع الناس للناس، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، حذر وأرشد، وقوم وأبان، وأنذر ونظم، اتقوا من هو معكم وأقرب إليكم من حبل الوريد، واعلموا أن الناقد بصير عدل، وحرر بهديه، خففوا السفينة، فأقل الناس مالا أقلهم حسابا، تعاملوا مع الله بدنياكم، لتنمو تجارتكم بها في أخراكم، فشرع وبين الخوافز للإيثار ومخاصمة النفس في الأثرة، فوضع الأساس الدائم للعدالة الاقتصادية أو ما يسمونه الآن بالاشتراكية.

الإنسان في الله في هذا الوجود المعلوم لنا على ما عرفه وقامه رسول الله، بقائه لقديمه وقادمه، وحدانية لأحدية، لإنسان لله، لإنسان واحد، لإنسان أحد، في الله، تعددت فيه آحاده بإنسانية الرشاد فيه، بآحاد الحق له، فراديس جنان، يوم يقوم في المطلق إنسان لا يحجزه عن أخيه المكان أو الزمان ولا تحكمه ترايبية الأبدان، (كلكم لآدم وآدم من تراب)^٢ من حيث أبدانكم، وكلكم لله وأرواحكم من الله من حيث معانيكم فاحرصوا على أعلامكم لله، بحرصكم على دائم الحياة لمعانيكم بتكاثر مبانكم، (تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة)^٣.

فالإنسان مهما علا قدره، ومهما قام حقه، ومهما ظهر بالجلال وجهه، ومهما راقى بالجمال للناس طلعه، فإنه لا يستنكف أن يتصف عند المطلق وعند الناس لمطلقهم بموصوف العبد لله يدعوهم لرحمة الله، يدعوهم لمطلق الله، يدعوهم للحق أقرب إليهم من حبل الوريد، ومن ورائهم بإحاطته، قائما على

كل نفس، لا يستنكف أن يتصف عندهم وأن يوصف منهم بموصوف العبد لله ولعباد الله، وإن هداهم وقادهم بقائم الرب لهم، وعاملهم ورعاهم بقائم الإله عليهم وجها للأعلى ويذا للمطلق.

فإن هذا الذي هو له كله، هو لهم ممن عرّفه وقامه، وفي الناس به بالحق أقامه، رسولا أظهره، وعبدا وصفه، وحقا شرفه وقد عرف أن للناس من المطلق، كل ماله إليه يصيرون، والله بهم إليه بالغ أمره، بهم لهم، ما رضوه فكسبوه فقاموه بمن قامه برسالته إليهم رحمة مهداة.

الناس عنده أسماء الله، ووجوه الله، وحقائق الله، وعباد الله، على ما هو في الله، بمن رآه وعرفه وعرّفه بوصف الأعلى عليه علما على من لا شريك له من أمره، ولا شريك له من وجوده، ولا شريك له من الأعلى ومن الناس...

من علم ويعلم الناس، وأدب ويؤدب الناس، وسهر ويسهر على الناس، ونظر وينظر للناس بعيون قدرته قائم الأعلى والمطلق لوجوده، حقا وعبدا لهما، ورسولا منهما، وامتد ويمتد إليهم بيد الله بنجده، وسعى ويسعى إليهم بقدم الله برحمته، باخعا نفسه على آثارهم، مستغفرا لهم ما جاؤوه، راعيا راحما مستغفرا لهم كلها قلوبهم، ملتصقا الأعذار لهم كلها جهلهم. (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون [قدري])، عسى أن يخرج الله من ظهورهم من يعبد الله)°، فيقبله الله، فيرحمهم به الله...

صابرا نفسه بكوثره ما تجدد بتقديم من جوهره مع تجدد الناس، متجددا بذاته ساريا بنوره في جديد قيامهم بناموس خلقيته في قائم حقيقته، عارجا بهم في نوره مع طبقات عروجهم بنورهم لهم من نور الله أنزل معه.. حي في قبره مع موتاهم في قبورهم. إنه رحمة الله لمن يلج في الأرض، ولن يعرج في السماء، ولن ينزل من السماء، ولن يجدد نفسه في كرات، ولن يتخلى عن نفسه في معارج.

إنه رحمة الله، إنه حكمة الله، إنه كتاب الله، إنه هدي الله، إنه روح الله، إنه نور الله، إنه حق الله لخلق الله، إنه طريق الله، وحياة الطريق إلى الله، إنه خلق الله لخلق الله.

فماذا عرفناه؟ وعلى أي صورة عاملناه؟ وفي أي جديد استقبلناه؟ وفي أي قديم بكيناه؟ وفي أي معلوم من حكمته حكمناه ومن جلدته تابعناه، ومن نصبه طفناه، ومن بيته دخلناه، ومن نوره استقبلناه ومن روحه استحييناه؟

هكذا كان، وهكذا هو كائن، وهكذا يكون، وهكذا يبقى، لا يعرف ولا يكسب هدية الله إلا لمن رحم الله.. إلا لمن شكر الله.. إلا لمن ذكر الله.. إلا لمن بما هو ظاهر من الآيات اعتبر.. إلا لمن لحواجز النفس في الطريق عبر.. إلا لمن دُكر فادكر، ونصح فصبر، ووجها بنوره لنور الله، في الناس ظهر وانتشر ما كلج وجها وما غبر.

المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً، والمسلم للمسلم، من سلم الناس من يده ولسانه، ولن يدخل المسلم في الإيمان مؤمناً، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولن يرق في إيمانه عارفاً عارجاً، حتى يؤثر على نفسه ولو كانت به خصاصة لما به يؤثر.

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كأعضاء الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو سهر له سائر الجسد بالحمى والسهر)^٦، (إذا شكت مؤمن منكم شوكة، وجدت ألمها عندي)^٧، لا يؤمن أحدكم حتى يدخل في جمعي مؤمناً، فيراني جمع المؤمنين له، وجماع المؤمنين عنده، (فلن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه)^٨

{من يطع الرسول فقد أطاع الله}^٩، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}^{١٠}، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}^{١١}، فأين من تعمل معه وتعمل به هذه القوانين الفطرية إن لم تعمل مع من امتد فيهم بنوره، وأقامهم الله بحقي قيامه؟ فأين هو لنا؟ وأين هو بيننا؟

ماذا فعلنا ببيته؟ وماذا رأينا في أمر قبلته؟ وبماذا تعاملنا مع نصبه؟ فرغ فانتصب، كوثر لا يغيب، وجديداً لا ينقطع، ورحمة لا تجز، وحوض ماء الحياة لا ينضب، ونور الله لا ينطفئ، وروح الله لا يحتجب، وأمر الله لا يفتر ولا يقصر، يقوم ويتقلب في الساجدين ما انقطع الساجدون به، وما توقف نوره عن الامتداد في القيام بالسجدة الركع العبد في كل بلد وفي كل أمة، في كل وقت وحين، علم الحكمة في كتابته بمصر وعلمه في الصين وهو الأمر الوسط للبلد الآمن الأمين.

إنه مثالية الكمال في الناس بالحياة، والله المثل الأعلى به، في السموات والأرض، الكل في رحمته، والكل في ربوبيته، والكل قيام بعبوديته، ما عرفوا الله في عظمتهم، ووحدوا الله في قيوميته، بقائهم لقائهم، لا جديد تحت الشمس، ولا جديد فوق الشمس، ولا جديد في الحق.

فإذا كانت الإنسانية على الأرض بحاضرها، بقديمتها وقادمتها في وحدانية لأحدية حق، فإن مفرداتها، في عين ما لها بجماعها الله قائم على كل نفس بما كسبت، بذلك كان رسول الله إليها من حقيقتها لها {رسول من أنفسكم}^{١٢} بفرده، عنوان الإنسان لفرده، وكان رسول الله ببيته عنوان الإنسان بكوثره، لفعله من خلقه وإقامته لبيتوته بجمع مفرداته، وكان رسول الله بأتمته عنوان الإنسان في رسالته وجماعته في وحدته بأرواحه لروحه في علميته على الأعلى لحقيقته.

لقد عنون الرسول الحقائق كلها لطالبيها، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها فيها، ابدأ بنفسك، فإن بدأت بنفسك فاستقامت معك وقد أعانك الأعلى عليها، فارجعت إليه، فاعمل باستقامتك فيمن تعول

بما علمت وبه قت. فإن استقام معك من عُلّت، وقامك على ما قت، فلأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، كان لك ذلك خيراً من الدنيا وما فيها فأنت المحمد وبيته، وأنت الرسول وصحبه، فحمد رسول الله والذين معه كنت، فكنت بذلك، على ما كان كذلك، أشداء على الكفار بحجتهم رحماء بينهم بألفتهم، تكفل الله بأمنهم ونصرتهم.

عرفوا الدين وقاموه وعرفوا معنى اليقين ونشروه. وعرفوا أن الدين لواقع، عرفوهم القيمة على الناس برحمة الله، عرفوهم الحق من الله والحكمة له، والإرادة المطلقة به، تسندها العزة في غير طغيان ويقومها الحق بغير بهتان، رحموا من في الأرض ورحمهم من في السماء.

عرفوا أن واقع الوجود، على ما هو واقع هو الحق من الموجد، عرفوا حق الوجود، من حق الله، على ما يشهدون، معللة عندهم أفعاله وأقواله وأحواله. فقدروه حق قدره، وعاملوه على ما يعرفون وعلى ما يؤمنون وعرفوهم إرادته المطلقة بالخير، ويده المطلقة بالفعل، وحكمته المطلقة بالقول فأشفقوا بكل عاصي، ما ظلموه، ما أذلوه، ولكنهم أشفقوا به، وجهد طاقتهم رعوه، فإذا استأواهم آووه، حتى يسمع كلام الله، وإن بغى عليهم ردّوه، حتى تبقى بيثة الله، وحتى يستشعر ضعفه مع الله فيرجع يوماً إلى الله.

قبلوا الحياة، على ما هي الحياة بمعارجها، وجددوها مضياً بها قائمة مستقيمة باستقامتهم مع الله حيث هم من معراجهم بقلوبهم لأنوارها، وقولهم لعوالمها، وأرواحهم لمعارجها استقامة مع عقولهم لحقهم، ومجاهدة مع نفوسهم، لجهلهم لأول أنهم لأنانيتهم حتى تحررت العقول لهم على ما يليق، وحتى استقامت النفوس لهم على ما يجب فجددوا أنفسهم بأنفسهم في حضرة الله، وغذوا عقولهم بعقولهم في نعمة الله، وحرروا أرواحهم بأرواحهم في قدرة الله، ومضوا في طريق الله مستقيمة فياضة لا انتهاء ولا احتجاب لها.

أنضجوا جلودهم بإرادتهم، وجددوها بمشيئتهم، وقتلوا وبعثوها بفعلهم، وأحيوها وأماتوا ظلامها بالله لنورانيتهم، وقوموها بحكمتهم، فعرفوهم بحاضرهم، لتقديمهم وقادهم في قيامهم اسماً لله ووجهها لله {علمت نفس ما قدمت وأخرت} ١٣، فتواصوا بالحق بينهم وآمنوا بالله لهم وصبروا لبلوغ أمره بهم في الناس لخيرهم ورحمتهم.

شهدوهم ساعتهم، وما أنكروهم في قيامهم قيامتهم، عرفوا الحق معهم، عرفوا الله أقرب إليهم من حبل الوريد، فلم يغيبوه، وفي حضوره لحاضرهم آمنوه واتقوه، وأحبوه فعاملوه، فعاملهم فرأوه، فكشف عنهم أغطيّتهم، ما حجبوه، وما احتجب عنهم، يوم هم بلطيفه قاموه فبنظره لنظرهم نظروه أقرب إليهم

من حبل الوريد، ففي أنفسهم لاقوه وأنفسهم إليه انتسبوه فعبدا وربا ظهوره، وإلها لهم ذكره، وعلموه لمن افتقر إليه ممن آمنوه.

أيما تولوا فثم وجه الله سواء انعكس النظر إلى نفسك، أو إلى ما حولك، أولئك سمعوا القول فاتبعوا أحسنه، لم يكتب عليهم أن يقتلوا أنفسهم، فنافلة قتلوها، ولم يكلف أنفسهم إلا وسعها ولكنهم بجهادهم أجهدوها، فهم في جند الرسول جندوها، وسيوفا في يده أشهروها، فكانوا في ركب الله برسول الله، يوم هم نفوسهم إلى نفسه أضافوها ففقهوها وكتبا قرأوها فأمنوها ففيه به جمعا كوثرا فلاقوها، في أنفسهم به قاموها، فعشقوه يوم عشقوها فأحبوه يوم أحبوها ففي الناس له نفوسا لهم شهودها، فقياما به بجمع توحد عمهم نفوسا حقية بعثوها ورضيوها، وتوحدوها، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} ^{١٤} وتؤمن بالله، فأمر الله عرفوه ولبوه ولأنفسهم حققوه.

بهذا جاءنا رسول الله، وبهذا تجدد بيننا رسول الله، وبهذا يبعث منا فينا رسول الله، يوم تنشق عنه الأرض، وهو الحي في قبره.

دخل قبره حيا، ويخرج منه حيا، ونزل من عليائه حيا، وعاد إلى الأعلى حيا، يوم يخرج الله لهم دابة من الأرض بشرا من الأرض إنسانا من الأرض يكلمهم أن الناس كانوا بآياته لا يوقنون، وانقطاعا للهدى وللرسالة بتحريف للقول، ووهم من خدعة النفس، بأقوال يرددون، لإطفاء نور الله بمهارة من قول يحاولون، يزعمهم بتر الذات الكوثر، وهم البتر بشنائهم لذات الحق والجوهر.

يظهر هذا القائم سافرا يوم يجدد الله الوجود ببدء آخر لإنسان بيت يوضع برسالته لإنسان أديمه لآدمه، منه مخلقا، فتجدد السماء وصلتها لوصلته، فيتجدد قائم رسول الله على جماع له، بجماع كانه، فتجدد السماء وتسفر بجديدها في قائم وصلتها بالأرض بتلوين صلاتها على جماع لها، بجماع جمعته، فكانها وكانت، والله من وراء كل جمع بإحاطته.

(إن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم) ^{١٥} وإنه يطلبه فيكم، (ما أمنت مكر الله إلا بمصاحبتك يا رسول الله) ^{١٦}، هكذا يقول رجل الملائكة الأعلى والروح الأمين. وأنتم يطلبونه فيهم، {إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ^{١٧}، وها هي الروح تعمل بينكم في سفور في عصركم، إنها رسالة الروح لأمركم، إنها رسالة السماء، بها يقوم الروح لرب العالمين داعيا للسلام بين أبنائه.

الله وراء ما جددت الأرض وانشقت عنه، من أوتادها ومصاييحها وأحواضها، وعيون مائها بدائم بقاءه لقائمه، كما هو بدائم قيومه لقائمه ما وراء السماء، بقيومها وقائمه، على ما تداني الأرض، فيتلاقى قائم

الحقائق بقيومها في وحدانية، بين ما تواجد من دواب الأرض، ومن دواب السماء، يجمعها الله بقدرته، ويظهرها بحكمته {وهو على جمعهم إذا يشاء قدير} ١٨.

فتبدل الأرض غير الأرض والسموات بخلافته، وتبدل السماوات غير السماوات والأرض بحقيقته، فيتعلم أهل الأرض من أهل السماء، ويشهد أهل السماء فعل الله بأهل الأرض، فيزداد أهل الأرض وأهل السماء علما عن الله فيتكشف لهم ولشهودهم، جلال وجه الله، وجمال وجه الله وتمتد يد الله من السماء إلى الأرض مخلصه، وتمتد يد الله من الأرض إلى السماء مستزيدة، مسترحمة، مستنجدة لرحمته طالبة، مستمدة مفتقرة فيظهر متجليا وجه الله من السماء بأهلها على ما يليق بهم في كسبهم لأهل الأرض لاقتدائهم بوسطائهم بينهم، ويظهر وجه الله من الأرض مستخلفا على ما يليق لما هو الأعلى لهم، في قائمهم لقيومهم بمشهود خليفته لنظرهم تعريفا لهم عنهم.

إنه الله في عظمته، إنه الله في لانهايته، إنه الله في قدرته، إنه الله في رحمته، إنه للإنسان في غفلته، إنه للإنسان في طغيانه وجاهليته، إنه للإنسان في إيمانه، إنه للإنسان في رذته، إنه للإنسان في أي صورة ما شاء ركه، إنه للإنسان لجماعه في جماعه عرفه أو جهله، ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وما ظهر لشيء مثل ظهوره للإنسان، قامه {رفيع الدرجات ذو العرش، يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده} ١٩.

بذلك قام بيننا رسول الله معلما، إنسان عبوديته، وإنسان رحمته لإنسان ربوبيته، وإنسان ألوهيته، وإنسان غيبه، وإنسان شهادته، في أي صورة ما شاء ركه، ذكرا محدثا في دوام، لذكر قديم في دائم قيام، تواجده الإنسان أزواجاً، بعلوه به أزواجاً، ودنوه به أزواجاً من جسد وروح.

بعثه بالحق فعرف الله، في معرفته عنه، وعرف الله، على ما عرفه، فكان حكمة الله الدائمة، ورسالته القائمة، عنوان الأبناء، يصدر عن المرسلين والأنبياء وهو قائم النبأ يأتي به وعنه الإنباء بالأنبياء، عنوان الحق، تبعث به البشرية بالحقائق للآباء والأبناء على السواء.

فرفع شعاره لا إله إلا الله، والله أكبر، وطلب إلى الناس أن يذكروا الله في أنفسهم لربوبيتهم، هو معهم بألوهيتهم، وعليهم بقدرتهم ومن ورائهم بإحاطته، وأن يذكروا الأكبر والأعلى لقائم عبوديتهم، وأن يعرفوا الأدنى لحقيقتهم، وأن يقوموا بالجهر، ولا يخدعوا ولا يأبها للمظهر، وأن يتجاهلوا جلايبيهم إلى قائمهم بها من الله لمعاني إنسانيتهم بالله في الله، إلى الله، لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم يا من أشهرت شعارك بيننا، لنا، وفينا بلا إله إلا الله، قائمة برسول الله، قائما بها، كوثرنا لنا، قديما وجديدا بيننا، اللهم أقننا شعاره، وأدخلنا داره، وقرنا جواره، وثبت فينا قيامه ومداره.

اللهم شرفنا به قياما لنا، ويسر لنا قيامه بنا، منصورا بك علينا، وأجبه إلى قيامه فينا، على ما يحب لنا، واجعل منه برحمتك به، قيوما علينا، وامحنا إليه، قيامة وقيامنا لنا، وأقنا به حاضرا ودواما بنا، وألحقنا بمعراجهم، كرما منك وسلاما لنا فينا، واجعلنا معه كلما جددته لنا قياما وكتابا وكلاما بنا، ولا تحرمنا في حياتنا بمعارجها، وقيامنا بمعارجها، اجتماعا، ووداء، وخلة، ورحمة وإعلاما وعهدا.

اللهم به وبنوره فيض وجوهنا، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، اللهم اجعلنا في سفينته وركبه، بما علمنا، يوم تكشف للناس عما علمنا.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم.

إنك أنت الأعز الأكرم

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ مقولة شائعة ذكرها عدد من العلماء بصيغ مختلفة، منها ما قاله محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخدادي الحنفي (ت ١١٥٦هـ) في كتابه (بريقة محمودية): التكبر على المتكبر صدقة، لأنه إذا تواضعت له تمادى في ضلاله، وإذا تكبرت عليه تنبه، ومن هنا قال الشافعي تكبر على المتكبر مرتين، وقال الزهري التجبر على أبناء الدنيا أوثق عرى الإسلام، وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أظلم الظالمين من تواضع لمن لا يلتفت إليه..
- ٢ حديث شريف: "كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب." أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد
- ٣ حديث شريف: "تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الأمم يوم القيامة." المحدث: الزرقاني. المصدر: مختصر المقاصد. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
- ٤ حديث شريف: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون." أخرجه البخاري ومسلم
- ٥ من حديث شريف طويل روته عائشة أم المؤمنين منه "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ... فَناداني مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ شَيْئًا أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. صحيح البخاري.
- ٦ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

- ٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الآنَ يَا عُمَرُ**". صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين." متفق عليه.
- ٩ سورة النساء - ٨٠
- ١٠ سورة النساء - ٦٥
- ١١ سورة الأحزاب - ٦
- ١٢ سورة التوبة - ١٢٨
- ١٣ سورة الانفطار - ٥
- ١٤ سورة آل عمران - ١٠٤
- ١٥ حديث شريف ذكره الشعراي في "لطائف المنن" مشيراً إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، ٥٦٦، وقد عرج عليه في الفتوحات في الباب الثالث في مضممار حديثه عن تنزيه الحق عن التشبيه والتجسيم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ونصه فيه: "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم".
- ١٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٧ سورة يوسف - ٨٧
- ١٨ سورة الشورى - ٢٩
- ١٩ سورة غافر - ١٥

(٩)

آدم وعيسى ومحمد والخضر أركان بيت إنسان الله في الوجود وفي السجود قضايا مسيح الوجود اللانهائي للعبد والمعبود هم القدوة والأسوة لمراتب ومراقي الكيان البشري في معارجه في الله كل منهم يطوي لحقه الآخرين لقضيته في معناه

حديث الجمعة

٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ - ٣ سبتمبر ١٩٦٥ م
تصحیح التاريخ الهجري: ٨ جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ

بسم الله، نعوذ بالله وباسم الله نستغفر الله وبسم الله نستعين بالله..

نشهده باسمه لنا لا إله إلا الله، ونؤمن به لقائنا لا إله إلا الله، وتتوجه به لمعانينا لا إله إلا الله، ييقين لا إله إلا الله لقائم الحق بنا.

قال أخونا في الله، وأخ كل صادق في الله، البريء من مزلق الحياة، والبريء مما دعاه به زاعمو حبه من أعداء، مما سلّمه وبرأه منه الله، ومن هو سيدنا في أخوته، ومولانا في متابعتة.. إلى أبيه وأيينا، وإنسان معناه ومعانينا، وإنسان مغناه ومغانينا، من عرفناه لنا به لقائنا رسول الله نعينه ويعيننا، رفيقا أعلى نعينه كما عناه، ونرتضيه على ما ارتضاه، ونطمع أن نراه في أنفسنا كما رآه، وأن نرانا فيه على ما تولاه.. مسيحا عن نفسه، وظلا له لنفسه ارتضاه، وظلا للأعلى عرفه على ما رآه، قامه على ما قامه ووالاه على ما والاه، فتواجد به لا من دونه. فبه قام وأقام وأحب ولام، وباعد وقارب فقرّب وأبعد.. فكان للأعلى وجهها ويدا وقدا وسعيا وسيرا.

فكان للأعلى رحمة وعلمها، وكان للرحمن كتابا وكتبها، وكان للحكمة بيانا وطريقا ومعراجا وسلمها.. مبشرا بوفاء فيه لمعناه، ووفاء له في مرتقاه، ووفاء للناس بتحقيق في سفور، برفيق وصديق وعينا له للظهور، علما على الأعلى لمن دعاه أباه، وحقيقته حقا وحياة للطريق، وإنسانا في الله، قامه في المهد عنونه وعنوانا ليقومه قدمه يوم يقوم كهلا حقيقة وإنسانا علمه وعلمه فأعلمه. قدمه للناس قدوة به كافة لهم، رسول الله، كوثرًا به، قامه ودامه وأمرًا وسطا فيه أقامه وأدامه وعننه فقال:

أنا الحق وأنا الطريق، أنا الحياة وأنا القيامة. وما تجاوز فيما قال مقامه، قالها بحق وهذا هو الحق قامه. السلام عليّ يوم ولدت - ودائمًا من الأرض أولد فأنا ابن الأرض - والسلام عليّ يوم أموت - وهكذا دائمًا أتوفى لأحتجب وأختبر، عودا إلى بيت أبي وربّي فيه أنتظر - والسلام عليّ يوم أبعث حيا بيوم لرسالة عليها أصطبر، ونشرا للحياة بها أفترخ، ثم بيوم للفصل فيها بين أهل الحياة بعتاء وأهل العدم بجزاء أعمل وأعدل وأنتظر.

السلام عليّ يوم أنصف من الأعلى، حجة على الناس، فأبعث به لأتوفى. يتوفاني الأعلى لي على قدمه من الأعلى له في ذي المعارج فيجعلني الأعلى لنا معهم واحدا فيه، كلانا لأخيه رفيق.. حتى إلى أعلى لا رفيق له، حتى إلى أعلى لا شريك له، حتى إلى أكبر لا موجود معه، حتى إلى لانهائي هو لنفسه على ما هو لنفسه نحن فيه له. ونحن فيه لكم. هو لنا معبودنا، ونحن به وجهه لكم.

هو اللانهائي في تعاليه على ما هو اللانهائي في تدانيه.. يدانيكم حتى لا وجود لكم، يدانيكم حتى لوجوده وجودكم، يدانيكم حتى إياه لأنتم، فلا أنا ولا أعلى ولا أنتم، ولكنه الله وكفى وحقائقه التي وفي.

فالحديث عن الحقيقة والخلقة أو عن الحياة والعدم، يجب أن يبدأ من آدم حديثا عن الإنسان في أحواله وأطواره، وأن ينتهي إلى آدم الإنسان في تمامه. فالإنسان أو الآدم هو الأول خلقا وهو الأول حقا. يبدأ خلقا وينتهي حقا.

فقائم المسيح في ناسوته لا يعبر بالأنا عن لاهوته، لأنه بمسموعه عند سامعه يدل على مشهوده لمشاهده من الناسوت، وهو العدم في قائم اللاهوت.

فالأرض تنشق عن كائناتها البشرية عن ظلال عابدة لعبد معبود هو روح وجودها، وإنسان تمام لذاته ومعناه هو قائم الحق الإنساني لله، لآدم في قائم إنسان بالحق في مطلق الله بالوجود يتسامى لمعاني السماوات، ويتدانى لقائم الأراضين.

إن رسول الله في قائمه محمد، لحقية العبد لله لقائمه ومشهوده، صدق نفسه، وصدق قومه، وصدق الناس، وهو يظهر دون سابقة من الإنسان في مطلقه الأزلي، أو الإنسان في مطلقه الأبدي، بوصف

العبد لرب، ولم يظهر بوصف الرب لعبد. فأعلى من شأن الأب والابن بالحق الإنساني القديم، ورآهما الآب والآب لقائمه أبا، والأبناء لقديم لقائمه ابنا، رأى نفسه في قائمه خلقا، ورآه بخلقه في خلقه آبا. ورأى ما سبقه عين ما يقوم في البشرية بعده، فوضع نفسه دون من قبله ودون من بعده.. في رؤية الإطلاق الإنساني في مطلق الله بالوجود سائدا هو له مسود، معلما الناس عن أنفسهم في الإنسان، وعن الإنسان في الإنسان، إلى غيب له في غيب له.. حتى إلى علم ييقين لقائم الإنسان عن نفسه من الله في مطلقه. فقال (خلفت الله عليكم)¹.

فالإنسان أمام نفسه هو الأمر الوسط في مطلق الإنسان في الله، لقائم الله بقائم الإنسان. فهو المسئول عما يسفر به أمام نفسه ومن أسفر عند نفسه بقائم الأول أو قائم الآخر فقد زلت به القدم. فآدم بالحق لآدم بالخلق هما وحدانية الخلق بالحق في قائم أعلى لهما لإنسان الله لقائم أحد من آحاد في مطلق للوجود. عنه تصدر الكلمات في قيام منفرد بذاته ومعناه له ولما يصدر عنه.

فآدم يبدأ مرسلا إليه برسول لمرسل، وبتكاثره العذري يصبح رسولا لآدم المتواجد منه بما علم من علم عن نفسه، فإذا تم للمتواجد وجوده ليكون رسولا بما علم عند من تواجد منه، أصبح معلمه ومتواجدته عند من أصبح مرسلا إليه معروفا بالمرسل بقائم الرسول في قيام المرسل إليه. وهذا ما عناه الرسول بما يكون للبشرية عند انتشار رسالته بوعيه لتمام وعيها، من قوله لا نبي بعدي وقد خلقت الله عليكم. فكلما تواجدت الأوامد من آدم عرف في نفسه عمن يقوم عليه من سابقه في مرآة أوادمه من فعله فهو القارئ لكاتب نفسه عن قائم حقه وقيام أمره.

إنه اللانهائي في كل ما اتصف به. إنه اللانهائي من حيث ذاته، وإنه اللانهائي من حيث لطيفه لروحه. وإنه اللانهائي من حيث مصدره لأقباس نوره لتواجدته لذوات حضراته، ولوجود السماوات والأراضين لظهوره بصفاته لآياته. إنه اللانهائي في كل تواجداته وكل صفاته {إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله}². يأتي بها اللانهائي.

هكذا عرّف كلمة الله بيننا، وروح قدسه لعلنا، وعين آدمه من عالمه، بكلماته وأوادمه لعوامنا، في اقتدائه واقتفائه، قائم رسول الله بكوثره بكلمات الله، أعطي جوامع الكلم.. لا عد لها ولا حصر لها.. مبشرة، منذرة، أن الأكبر لمعناها ومبناها يقوم يوما سيديا في الأرض بمبناه لمعناه، وهو اليوم يقوم عليها بمعناه ويظهرها جميعا لأوادم مبناه وهو الأكبر له. عرفه بعين معناه وطلبه لغايته من الله فقال لنا البشير به، يظهر فيكم رسول الله بما هو لي من الله، وقال الرسول يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا.

وبذلك عرّف عن الأعلى لبشره، وأنه هو تحقيق مراده له من مولاه بما قال له أعلاه لموصوف مولاه {إني متوفيك ورافعك إلي}³.

فعرّف وعرّف أن الأرض يقوم عليها الإنسان الثاني.. الإنسان الابن والكلمة لله إلى نهاية العالم ببداية دائمة لبدايات، وأن الروح القدس الظاهر لأهل السماء لا تطيق أهل الأرض وطأته، وأن إنسان الله لا تتسع له السماوات والأرض، ولا يكلم البشر إلا من وراء حجاب الإنسان المرسل.

عرّف عيسى أن الذي سيأتي من بعده يظهر وهو الأعلى عليه بقيوم الحياة لقائه بها، بعطائه متوفى لآدم وهو بذلك إنما يمهد لجيئته بمقدم جديد له بحقه المسيح الأب، ويعرّف عنه بشيرا به، كما فعل هو بحاله ومقاله ومعناه للتعريف عنه والتبشير به، كبيرا له.

وهذا هو أسلوب الحق في إبرازه لهما من غيب إنسان الله يقدم ويعرف كل منهما للآخر.. آدمان لروح قدس الله، وفي استرجاع الناموس لهما إلى غيب الله حتى يظهرهما معا في يوم لله، على ما عرف كل منهما (إذا جئت في القيامة دعوتكم بـ يا إخواني)⁴. (كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم [فأممكم منكم])⁵.

فعلى ما أشار إليه جيئته في جيئته لمعناه بمبناه رسولا لله وعبدا له بعث بالحق، يجيء من بعده بحكمة جيئته، ويسترجع من شهادته بناموس استرجاعه قدم توفيه لعيسى في ظاهر الله بظاهر الله إلى ظاهر الله، بمبنى لمعنى في حضرته بالخلق على الأرض بشرا من طين.

فالله مظهر عبده وكلته التامة للناس دون إعجام أو ألغاز لا يعجز به عقولهم، ولا يشذ به لهم عن ناموس جيئتهم وخروجهم، {إني متوفيك ورافعك إلي}⁶. يدخل هذا العالم مدخلهم ويخرج منه مخرجهم، قدوة عامة لهم. ولا يقدر مدخله ومخرجه في أمره لاقتدائه رحمة للعالمين، على ما كان من أمر الناس مع البريء من مدخل عيسى ومخرجه قبولا أو إنكارا وريبة. وهذا هو موعود بني إسرائيل، (وجهه عربي، وجسمه إسرائي لي)⁷، وهو ما وعد به الإسلام كل مسلم لله بإسلام لرسول الله في إسلام لظل من ظلاله بكوثره، لقائم ودائم رحمة الله.

استقر نور الله لمحمد في عبد الله كما استقر نور الله لعلي في أبي طالب نخرج محمد من عبد الله انشقاقا للسماء الدنيا من الأرض وليدا. وضعته القدرة في أعماق الطبيعة من أحشاء آمنة لمعاني الأم المقدسة للكون، انشقت عنه أرضا مقدسة له به (انشقت الأمة عن ربها)⁸، فأشرقت الأرض آمنة بنور ربها، على ما يجعل الله به للأرض برسالته، يوم تنشق الأرض في قادم لها عن وليدها، ليكون سيذا لجديدها خروجا من قبره - وهو الحي فيه - على ما سبق أن انشقت السماء الدنيا عنه يوم تبدل الأرض غير

الأرض والسموات مرة أخرى، خلقا للزمان، وخلقاً للمكان، وخلقاً للإنسان في دورة دائبة، لجديد آدم من قديم آدم، في قائم آدم، نواة لمولد الحياة بكون من كون في قائم الكون...

حضرة ذاتية.. حضرة أرضية.. سدرية منتهى لأطوار السلالة البشرية من السلالة الترايبية.. بالسلالة الطينية، تجديدا للكينونة الصالحة للظهور الحقي للروح وللمواصل الروحية.. لتتام الوحدة النورانية.. لبروز الهياكل الصمدانية.. لهيكل الحقيقة الربانية، سفورا لغيب الحقيقة الإلهية قياما للوجود للواجب الوجود المقدر والمعروف باللانهائي في وجوده، اللانهائي في عطائه وجوده.

جعل من الإنسان عند الإنسان في الإنسان مظهره، وأعلمه بعلمه عنه كتابه وخبره، وجعل له من لدنه منه فيه علما وحكمة، كشف بها مخبره، فعرف أنه لما يقضي ما أمره، ولم يستوف بعد ما وعده وأن للأمر بقية، وأن لله بقية، وأنه دائما هو بقية الله، {ولسوف يعطيك ربك فترضى} ٩، {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} ١٠، {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر} ١١، {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} ١٢، {إني متوفيك ورافعك إلي} ١٣، وهل كان العبد له غير الرب عليه؟! وهل كان العبد والرب إلا وجهه؟ وهل كانا غيره؟

فن كان رب الإنسان؟ هل كان غير من وصفه عيسى بأبيه! هل كان غير قديمه لقائه وقد سوى الأعلى والأعظم بين العلي العظيم وما نتج عنه سوى الخالق الأعلى.. سوى البستاني الأعلى.. سوى الزارع الغارس بين الشجرة والثمرة، يوم غرسه الثمرة وجدد بها موجود الشجرة فملك الجنة بكوثر الأجنة. {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء} ١٤.

ذكرت الثمرة أصلها من الشجرة، وذكرت الشجرة بحالها البستاني وخبره. انتسب البستاني للأعلى فقام البستاني الأعلى عبدا، وجعل من الشجرة جديدا وجداء، فملك الجنين وساد الدارين.. وعرف اللانهائي وجودا في لانهائي وجوده بكوثر تواجده، وآمن باللانهائي لجوده في لانهائي أسمائه له بموجوده لصفاته به بما علم وعلم. وقد علم آدم الأسماء كلها له هي وليده وجديده وجعله بها كوثر بذاته وصفاته، فلا أعلى له إلا اللانهائي تواجده لوجوده، وقد جعل من فردة لمفرداته كفايته لذاته في موجوده لوجود مثاله، بآحاد حقائقه لحقيقته ثابته في مبناها لمبناه للانهائي قيامه ومعناه.

جعل ذلك للإنسان في غيبه، ثم جاء به بعثا من آدم بكلماته إليه، ومظهرها لها على الدين كله.. لتكون أول العابدين عند طالب العبودية لنفسه بحثا عن ربه.. عند طالب الحقيقة الربانية قدرها عند من سبقه إلى العبودية.. عند المؤمنين بالحقيقة الإلهية.. عند المقدرين لقدسية اللانهائية.. عند من جعله الله بها أول العابدين.

فجعل الله رسولا من رب العالمين لأرباب العوالم عالمين معلمين، شهيدا على مشاهدين وشاهدين، ومشهودا لمشاهدين وبه مشهودين، إماما للعالمين في طريق العوالم إلى اللانهائي للوجود والتواجد.

عُرج به فتعارف لذي المعارج، في ذي المعارج، بذى المعارج، يشهد فيه العارج سابقا لعارج متابع، مسبقا بعارج يُتابع. أمر يدرك لمدرک، يوم يؤم من العوالم من الناس عارجين في جمع من الخلق لأنفسهم طالبين، لخيرها مجاهدين، للحق ساعين، للخير فاعلين، للحقيقة مفتقرين، لعبوديتهم مقدرين.. بها معترزين، وبها قانعين، وباتصافها لمعلوم ربها نفورين. وفي أمرهم غير مفرطين. وعلى مرضاة ربهم لهم حريصين.

كيف لا! وهم الأبناء المكرمين، وأوادم العباد المصطفين وحقائق الأولياء المتولين، وركب الخلقاء المخلصين.. للناس مخلصين ولسعيم بما فيه من المشقة راضين، ولربهم شاكرين ومعيته ذاكرين وبها مُذكرين، ولأنفسهم متجاهلين ومتهمين، وعلى رائيها في علميتها بالحق للحق لها مفكرين، للأكبر منتسبين، فما كانوا في أمرهم ضالين، وما ارتضوا أن يكونوا من المضلين، ولكنهم عرفوهم المساكين في غناهم، اليتامى فيمن آواهم، المفتقرين دوما إلى مولاهم.

ذكروا الأعلى لهم بالعظمة وبالقدرة وبالغنى وبالنعمة وبالعطاء. وما شقوا على الناس في الاقتداء.. عبادا للرحمن.. مشوا على الأرض هونا.. ظهوروا بالافتقار لكل شيء، وبانحلال لأنفسهم من كل شيء.. وذكروا الله فاعلا وحده هو محل افتقارهم ومصدر غنائهم في كل ما فعل بهم وفي كل ما فعل لهم.

هؤلاء هم المسلمون.. هؤلاء هم الروحانيون.. كان عيسى وموسى في دوام أولهم، وكان عيسى للأعلى من المكرمين مثَلهم، وكان موسى للمتكلمين خبرهم، فجاء الرسول بذاته ليكون مثالا لذلك وقدوة فيه مع المطلق للأعلى في معارجه.. مع إنسان الله جديدا لعيسى.. وتما عيسى لآدمه.. وكال وتوفية عيسى لمسحه وتوفيه.. واستقامة موسى وإجابته إلى سؤاله لمشاهدة مشاهدته ومكلمته.. وتوبة وعودة آدم لبنية بتوبته.. وكالا لبنت إبراهيم بدوام جدته، وتوفيه له لمعنى الإنسان بوليده لجديده.

جاء محمد لمعنى عبد الله ورسوله لنا عندنا، أما هو عنده فما عرفه غير ربه.. (ما عرفني غير ربي) ١٥. لقد كان في معناه وفي حقيقته، لظاهره ومبناه لشريعته علم الأعلى. لقد كان لنا عين الأعلى ووجهه. لقد كان لنا الرفيق الأعلى لنا من الرفيق الأعلى له. لقد كان المعنى الأعلى لمن كان منا له في الله معنى. لقد كان الإنسان الأعلى لكل من حقق لنفسه به معه معنى الإنسان له. لقد كان الكلمة التامة والأعلى لكل من أصبح كلمة الله مع كلمة الله في كلمة الله. لقد كان الآدم القديم يتوفى والأسبق لكل من حقق لنفسه في قيامه قيام آدمه لذاته ومعناه. لقد كان الإنسان القريب من الله ذي المعارج والأقرب لكل

من عرج. لقد كان العبد لله والوجه لله والحق لله مجردا من الأسماء والصفات. لقد كان مسيح الله للمسحاء لله بالإمحاء فيه.

كان الإنسان من إنسانية الرشاد. كان الحق من حقائق العباد. كان الحقيقة في لانهائي الحقيقة. كان الإنسان في لانهائي الإنسانية. كان العنوان في لانهائي العنونة عن الرحمن.

تأملوه وهو يقول (ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات) ^{١٦}، بدءا من أي ذات يا رسول الله؟ إنه يعني بدءا من ذاته مشهودة.. من ذاته موجودة.. من ذاته عابدة لا معبودة. طلب إلى متابعيه أن يقوموا بذواتهم في روحه لذاته حتى تتحقق ذواتهم بما تحققت به ذاته بدءا من ذواتهم، فيدخلون في حصن لا إله إلا الله معه كما دخل، وكلما عرج فدخل، ويموتون قبل أن يموتوا - كما مات وكلما في معراجهم عن حاضر به مات، ويبعثون بالحق في قائمهم - كما بعث، وكلما بأعلى في قائم قيام بعث.

(والذي نفسي بيده) ^{١٧}، (والذي بعثني بالحق) ^{١٨}، (ما أعطيته فلا أمتي) ^{١٩}، (لكم من الله مالي) ^{٢٠}، {فاتبعوني يحببكم الله} ^{٢١}، (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) ^{٢٢}، (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) ^{٢٣}. (حياتي خير لكم [إن طالت] ومماتي خير لكم [إن جاء]) ^{٢٤}، (أنا حي في قبري من حج ولم يزرني فقد جفاني) ^{٢٥}، (بل الرفيق الأعلى) ^{٢٦}، (تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم) ^{٢٧}.

إذا كان في الأرض قبري أنا به حي - وأنتم منها أبناءها فأنا كامن البنة لها فيها معكم - فقلوبكم مقابري. ابعثوني بذكر الله في أنفسكم، فما كنت إلا ذكر الله لكم، (من رأيي فقد رأيي حقا) ^{٢٨}، ولا يراني إلا يوم يراني مبعوث جديده، بعد فناء فانيه بغير الله.

يحقق ذلك لنفسه كل كائن بشري، يوم يخاصم نفسه علي فيصالحني ويعاديه، ويغير ما بها بما لي من نور الله أمشي به في الناس لبعث أمتي، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) ^{٢٩}، فينصرني الله فيه على نفسه له فيبعث بالحق مذكور ذكرى ذكر الله.. موجود وجودي ما تواجدت فيه بحقي لموجودي لموجود الله. مشهود شهودي، ما تشهدت فشهدت وشهدت بقائم حقي لحقيقي.

إن لي عقي الدار.. ألت أمة الخير! أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! أمة الله لإيمانها بموجودها له! إني المنتظر مع المنتظرين، المنبعث في المبعوثين والمنبعثين، قيامة الحق لمن كانوا بالحق قائمين ظلال حقيقي، وقيام سعيي، وأيدي نجاتي، ووجوه جمالي، وتجلي جلالي وجلالتي، أنصاري وحواري إلى الله. يوم يقدر الله حق قدره في عظمتة وجلاله، لا تطيقه السماوات أو الأرض، في تجلٍ مباشر له.

(إن لله ساعة إطلاق لا يطيقه فيها أهل السماوات ولا أهل الأرض، لا يطيقه فيها نبي ولا ولي ولا ملك...) ^{٣٠}، وكيف عرفت ذلك يا رسول الله؟ هل كنت فوق الله فأحطت به وأنت العبد له؟! إنه الإنسان الذي كان عين ربه في معارج ربوبيته برحمة الله به وبرحمة الله عليه حتى صار مسيحاً لمطلق الوجود لله، مكّنه الله من أن يطيق وطأته يوم أفناه عنه، وأقامه به، ليشهد بها بما عرف وعرف على ما قام فبين، أو على قدر العجز عن إدراكه لغيره لحفظ وكنتم، بحديث قدسي أو ببيان نبوي أو بكلام قرآني أو بحكمة محمدية لنفسه مضافة أو لإخوانه من مثاله أضيفت حتى يقوم فيما أراده به من إظهاره على الدين كله وإظهار من كانه على ما كانه، لوحدة المرسل إليه بالرسول في وحدته بالمرسل.

ما ترك شيئاً يقرب إلى الله إلا هدى إليه وتحدث به، وما ترك شيئاً يبعد عن الله إلا حذر منه وكشف عنه. وقام بيننا بظلاله ممثلة مختلف الجوانب من أقواله وأحواله لكثرة دوام رسالته قدرناها موقوتة. وتابعها القليل منا قائمة دائمة متجددة بأثوابه، مجددة لقدمها بحقه راشدة رشيدة مرشدة - خرجت من الأرض كلها عليها تواجدت بعمرها بحصادها لأمتها، وتجددت منها لها بأئمة وحصادهم لجمعهم على ما كان من رسول الله لمعاني ظلاله، في قائم وقيوم حاله، بجانب من أحواله، بصحبه ومتابعيه في متابعتهم. وهذا ما عناه الرسول بقوله (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) ^{٣١}، (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) ^{٣٢}. وهو ما يعنيه الروح المرشد سلفربرش بقوله وترديده لعبارة الحانية على البشرية (الرسالة قائمة، الرسالة قائمة).

هو طابع النبيين وخاتمهم بظلاله متجددة قائمة لا تغيب أبداً. وهو ختام النبيين بدائمه حقاً وأول العابدين بقائمه صدقاً لأنه من بعده ما كانت هناك حاجة أو ضرورة لجديد من نبي وإن كانت الحاجة دائمة لمجدد للبيان، لما جاء به تجديداً لأمره. فهو ما زال قائماً حياً في قبره. يقوم ويتقلب في الساجدين من أمته، جماع أقدام الأنبياء وحقائق الأولياء، وجماع كلمات الله للآدمية والبشرية والإنسانية، على ما كانت في قديم البشرية، بالحكمة الربانية، والوجوه الحقية، والأنوار الإلهية، والهياكل الصمدانية والحقائق القدسية في قديم الجنس.

ما خلت منهم الأرض في زمن من الأزمان فهم أوتادها ومصاييحها، ولن تخلو منهم الأرض في زمن من الأزمان فهم أمانها وضمانها وحياتها وأحواض الحياة لأهلها.

هم صحف الكتاب وأقلام القدرة وألواح الحكمة وطريق السلامة، فكيف يتخلى الخالق عما خلق وأقام؟ وهو غير المتعدد في وجوده بموجود خلقه، (كان ولا شيء معه ثم خلق الخلق وهو الآن على ما عليه كان) ^{٣٣}.

هو من وراء الكل بإحاطته، قائماً على كل قائم بقيوميته، أقرب من جبل الوريد - عرف الناس أو لم يعرفوا، آمن الناس أم لم يؤمنوا - آخذاً بنواصي الكل. {وما من دابة على الأرض إلا هو آخذ بناصيتها.. ويعلم مستقرها ومستودعها} ٣٤.

إن الربوبية كما قدمها الإسلام ما هي إلا الإنسانية الراعية للإنسانية المرعية. فالرسول بإنسانيته لمعنى أمته هو المرعي منها لموصوف الخلق لها، وهي الإنسانية المتوفاة الغنية عن الإنسان المحدث منها، وهو بمحدثه المفتقر إليها حانية عاطفة محبة له.

إن النبي - بموصوف العبد لربه - كان في رعاية كاملة من ربه، كان الساهر عليه دائماً هو ربه، كان موضع العناية من ربه في الصغير والكبير من شأنه، وموضع الوصلة الدائمة من ربه، وموضع الصلة المسقطه للتعدد مع ربه، {إلا تنصروه فقد نصره الله} ٣٥، كفى بالله ناصراً، كفى بالله حساباً.

(الصلاة صلة بين العبد وربّه) ٣٦، {إن الله وملائكته يصلون على النبي} ٣٧، إن الله وملائكته يسهرون على عبده لا تأخذهم سنة ولا نوم، يسهرون على النبي بموصوف الحق لهم، لظهورهم، بموصوف العبد لمعنى قربهم. إنهم لا ينظرون لمعاني أنفسهم في قائمها إلا إليه، ولا يعرفون وجوها لهم لسفورهم إلا إياه، ويتابعونه بنظرهم حيث يقوم وحيث يتقلب في الساجدين لموجود أمته، في وحدانيته رسولا إلى الناس في وحدانيتهم، مرسلاً إليه من الله وملائكته، في وحدانيته مرسلًا، في وحدة الوجود لله قياماً وإسلاماً.

جاء ربه في سابق بما أخذ من كل أمة بشهيد بناموس الاصطفاء من خلقه لإظهار نفسه لمخلوقاته بنفس من أنفسهم، ثم جاء به لقائم الأعلى شهيداً على هؤلاء الشهداء والمشهود لهم، وبذلك قصر النظر إليه لقائم الأعلى لهم وقياماً عليهم له لقائمهم بهم، وجعلت الشهادة لمشاهدة الحق بهم للشهداء منهم اصطفاءً منه، لإقامة إرادة الأعلى شهيداً بهم ومشهوداً لهم مرآة وجوده ليشهد هو فيهم الأعلى له بهم، فيتقدر الله حق قدره عنده وعندهم.

{إن الله وملائكته يصلون على النبي} ٣٨، وهو بدوره يصلي على المؤمنين بالله ورسوله لتكون صلاته سكا لهم، فيكون الله به قد صلى عليهم. {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور} ٣٩، فيصلي الناس مأمورين متقين وعاشقين، بجمعهم وروادهم عليه في دوامهم صلاة الله عليه في دوامه.

يهدي الله به ولا يعدد هديه معه، وكذلك فإن الرسول يفعل بالأعلى ولا يعدد نفسه معه ولا يعدد نفسه مع الناس المؤمنين منهم بالله ورسوله.

إننا لم نؤمن بالرسول بعد وإن قلنا بإيماننا بالله مجرد مقالة، ولم نعرف شيئاً عن الرسول ولا الرسالة بعد على ما يليق بنا وعلى ما يليق بالرسول. كما أننا لم نؤمن بالله معنا بعد وإن كان هو دائماً معنا، ولم نعرف شيئاً عن الله لمعيتنا بعد إلا من رحم، وعلى صورة فردية، منكرة منا عند جمعنا، مزعومة لغير أهلها عند اجتماعنا.

لقد عرفنا عن الله وعن رسول الله وعن كلمات الله لهما، معرفة نتيجة الظن والتخمين والتقدير العقلي والاستنتاج، لأننا عزلنا أنفسنا ومعانينا عن الله ورسوله وعن كلمات الله دائمة متلاحقة بيننا منهما، تقوم لنا بهما وتقومنا باتحادنا معها لقيامها.. على ما قامت فيمن قامت فيه في دوام، فقال قائمها (أدعو إلى الحضرتين بالحضرتين) ^{٤٠} حضرة لهما، وتناجوا مع الحق معهم قائلين (نشهدك به ونشهده بك) ^{٤١}، لا تعدد بينكما ولا فرق لكما ولا افتراق لنا عنكما، يوم نرانا لكما وفيكما ومنكما، يوم ندخل حصن لا إله إلا الله ونعرج في الله ذي المعارج بالله أكبر والله أكبر بشهادتنا لنا محمداً رسول الله.. فحولنا هذه المعرفة إلى ألفاظ تردد لا واقع ولا إعمال لها، ولا عمل لكسبها حتى عند من قبلها. ورفضها منا أكثرنا فهما أو عقيدة في نظرنا وتقديرنا.

فهل بهذا الحق توصيتم في جماعة الإسلام بفقه الإسلام؟ وهل بشيء من هذا توارثتم عن آبائكم في الإسلام، وورثتم أبناءكم في الإسلام؟ أم أن مجتمعكم باعد بينه وبين ذلك كله، وفارقه على قيام، وذكره فريق بكلام، وقام فريق فعلاً معه بحرب وخصام!

يحاولون إطفاء نور الله بالكلام باسم الله وباسم روح الله وباسم نور الله وباسم كتاب الله وباسم الحق من الله فلا حول ولا قوة إلا بالله!

{وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} ^{٤٢}، {يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين} ^{٤٣}، يهدمون بيوت الله فيهم بأيديهم وبأيدي المؤمنين، يوم يطمس الله على قلوبهم، ويمسحهم على مكانتهم، كلما قامت عليهم حجة الله بأمر الله من بينهم لقوه أمام وجوههم وأنكروه بقلوبهم لأنهم أسفل من السافلين. الشياطين هدايتهم، والطغاة رعاتهم، {ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا} ^{٤٤}، يوم تخرب بيوت قلوبهم من فرصة الإيمان بامتداد أنوار ربهم في معيتهم.

وهو ما كان في أمر كل زمان، وهو ما هو ظاهر للعيان في هذا الزمان حتى صار طابع هذا الزمان، على ظهور فيه وبروز له وسفور به في كل بيئة وفي كل أمة وفي كل مستوى وفي كل مكان، إلا من رحم - والنادر لا حكم له - يظهر للمتأمل بما نسميه الأمراض العصبية والأمراض والأزمات النفسية، وهو ما نسميه هنا في دائرة العلاج الروحي بحالات المس انتشرت في الناس، {كما يقوم الذي يتخبطه

الشيطان من المس}٤٥. {ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين}٤٦ من شياطين الجن للجن والإنس أو شياطين الإنس للإنس والجن، من أحدهما مع الآخر أو في بيئته.

إن الله مظهر لكم آياته في أنفسكم كما هو مظهرها في الآفاق على ما وعد، وهو مظهرها للمتأمل والمتبصر في كل عصر وفي كل أمة وفي كل مكان. وهي في هذا العصر أظهر وأبرز. وهي الآن في كل يوم تزداد ظهوراً وتزداد بروزاً، حتى تبهت الناس ساعة في ضلالتهم. {سأل سائل بعذاب واقع. للكافرين ليس له دافع. من الله ذي المعارج}٤٧، يأتيهم بغتة لأنه ليس فيهم من يتعظون إلا بأنفسهم ولا يريدون أن يتعظوا بغيرهم وقد خلت من قبلهم المثالات. ولا يريدون أن يتعظوا حتى ممن بجوارهم أو على صلة بهم والله يوقظهم دائماً وواعظهم دائماً ومبرز لهم آياته دائماً وأبداً، {وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها}٤٨.

إن من لا يطلب العظة إلا في نفسه، بوقوع القضاء على نفسه فهذا هو الشقي، أما من يتعظ بها مشهودة له في غيره برؤية القضاء في غيره، فقد حماه الله أن يتعظ بخنة في نفسه، ووقاه أن يتعظ بنفسه في بلائها لابتلائها، وكأن هذا قد تم له بما استيقظ وأفاق إلى أمره. {وكل شيء عنده بمقدار}٤٩، {ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم}٥٠؟ وبذلك يحني خير الاتعاظ، ويتجاوز مشقة البلاء لتحقيق المعرفة وكسب الفضيلة.

إن الذين يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثالات فيما عرفوا بما يتناقلون عن أسلافهم، أو بما لحقهم أثره بما قامت بعيدة عنهم المثالات، فيما شهدوا من أمر عصرهم، خاب سعيهم. وإن الذين لا يطلبون العظة إلا أن تقع عليهم حتى يفيقوا، إن الله عند ظنهم، وستأتي لهم في يوم لا بيع فيه ولا خلال، يبهتهم فيه الحق بآياته ولا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً.

إن الصديقين.. إن الذين صدّقوا الله فيما قال وفيما أبرز.. إن الفارقين بين الحق والباطل في أمرهم على ما هدوا وعلى ما أمروا وعلى ما نهوا وعلى ما شهدوا من أثر ذلك فيمن لم يفرق بين الحق والباطل في قديمهم من جنسهم من أصولهم أو من غيرهم في حاضرهم، وفي قائمهم في مجتمعهم وفي بيئتهم أو أسرهم أو في جوارهم.. إن من أدركوا ما وراء مادية الحياة، وما وراء مادية التاريخ، أولئك عن العظة في أنفسهم، هم عنها مبعدون.

إن الفارقين والمستقيمين على الفرق كانت لهم من الله الحسنى وزيادة {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} ^{٥١}. فأولئك الذين اتقوا وجاهدوا أنفسهم واستقامت لهم أنفسهم فكسبوها، ورضي الله عنهم وجعل لهم من أنفسهم واعظا يأمرهم وينهاهم.

إن الذين صدّقوا الرائيين على ما رأوا، مستقيمين فيهم معهم بأحوالهم على ما شهدوا وعرفوا من ظاهر أمرهم لأمرهم لباطنهم، قدوة لهم، لا يمارون من رأى فيما رأى، ويقدرّون الله حق قدره في قدرته. ولا يميزون بينهم في واسع رحمته وواسع نعمته لهم جميعا ما تحابوا بينهم لخيرهم، كان لهم من الله ما صدّقوا ممن صدّقوا. ولم يحل الله بينهم وبين أن يروا على ما صدّقوا ممن رأوا. (ما أعطيته فلا متي) ^{٥٢}، {أفتمارونه على ما يرى} ^{٥٣}. {ما كذب الفؤاد ما رأى} ^{٥٤} فقد كان الرسول فؤاد جماعته وقلب مجتمعه {ما زاغ البصر وما طغى} ^{٥٥} كافة للناس في قدوته لهم.

فلو تابعتموه على ما هدى وصدقتموه فيما روى وذكرتم الله في أمركم على ما عرف بين موقوفكم ودائمكم على ما شهدتم، لعاد لكم قديمكم فيكم فعلت نفس ما قدمت وأخرت من أمر عقولكم منيرة عادلة، ونفوسكم مظلمة ظالمة، في قائم ذواتكم لأرواحكم هي فيها منقبرة تواصل انقبارها وموتها وينتظرها جديد قبورها لمقابرها، أو هي منها متحررة تواصل تحررها وتنتظرها سمواتها. إن كان لكم حقا في رسول الله قدوة.. إن كان لكم حقا في رسول الله أسوة.. فلذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولكم من الله ما لهم في متابعتهم، قائد ركب عوالمه من المحسنين إلى الرفيق الأعلى في حضرته الواسعة الجامعة لحضراته لأطوار خلقه وكتب حقه وإنسانية رشاده.

لا إله إلا الله محمد عبده ورسوله وحقه ووجهه واسمه وطلعته وجلاله وجماله، لحقه برحمته وحقيقته بإحاطته وكتابه بجماعه، خلقه بمظاهر خلقه وحقيقته بحقائق أسمائه وصفاته، وخلق به خلقه بين خلقه على خلقه بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت لنا من محمد قدوة وجعلت فيه لنا أسوة، اللهم لا تحرمنا، وقنا على ما قنته، وأقنا به قياما لك على ما قامك. اللهم لا تجعلنا به فتنة للناس واجعل منا بك به رحمة الناس، وهداية الناس وسلوى الناس وأسوة الناس وخير الناس وكتاب الناس ونور الناس وحق الناس.

اللهم باللهم للناس وباللهم له لا للهم لك ألحقنا به اللهم منك.

اللهم - وقد جعلته بدءا للخلق لكل بدء، دورة آدم في إنسان حقا وقائم أمر، ظهورا وسفورا للخلق بالحقيقة بكل حق - اللهم لا تحرمنا لبدائتنا بداياته ولا تحرمنا لنهاياتنا نهاياته. وأسلكتنا به في عقد

جمعه.. طريقا ومصباحا وحوضا.. آدماء وأبناءً لآدم.. آدماء وأوادم لآدم.. آدماء وأوادم منها أوادم لآدم.

اللهم أتم لنا فيه دورتنا - وقد أتممت له فيك دوراته - فجعلت له سر البداية عين سر النهاية في بدايات لنهايات متلاحقة، ونهايات لبدايات متجانسة متوافقة.

اللهم - وقد جعلت منه إنسانية كاملة وأمة راشدة - فاجعل منا به إنسانية كاملة وأمة راشدة.. له إليك في ركب عوالمك متابعة له.

اللهم - وقد جددت فيه أمر الدين - على رؤوس القرون، وجددت به الدين بأزله وأبده في دوائر الدهور على ما هو، فاجعلنا اللهم في لحاقه في كل ما جددت وفي كل ما ألحقت.

اللهم أرضه عنا وارزقنا منك الرضا عنه، حتى تجعل خواتم أعمالنا في مرضاته، رضا تكون به معرفتنا في الاجتماع عليه واللقاء به في ذاته لذواتنا للانهائي كوثره بذواته طلبا للانهائي ذاتك.

اللهم وحدنا به لك، حتى نعرفك..

اللهم وحدنا بك له حتى نعرفه.

اللهم وحدنا بكما حتى لا نفرق بينكما، وحتى نعرفكما لنا فيكما بنا فنشهد أنه لا إله إلا الله وأن الله أكبر، حتى نشهد أنه بمحمد بنا محمدا علينا أكبر فأكبر، وأن محمدا بالحق بنا هو الحق من الله لنا وعلينا، وأن محمدا من الحق وفي الحق ولحق في أكبر وأكبر لازال أمرا معجما علينا لا نكشفه في معارجه إلا بتحقيقه لنا عطاء منكما.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢ سورة لقمان - ١٦
- ٣ سورة آل عمران - ٥٥
- ٤ إشارة لقول المسيح عليه السلام بعد القيامة أنه قال للجديلية: "اذهي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ١٧: ٢٠). وتلك كانت المرة الأولى التي يدعو فيها تلاميذه بكلمة أخوتي. قبل القيامة، كان يسوع يدعو تلاميذه "أحبائي"، "عبيدي"، أو "تلاميذي".
- ٥ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم".
- ٦ سورة آل عمران - ٥٥

- ٧ من حديث شريف: "المهدي رجل من ولدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء، والطير في الجو". أخرجه الروياني في مسنده، وأبو نعيم عن حذيفة. كما أخرجه الطبراني في معجمه.
- ٨ استلهاما من الحديث الشريف: " (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّهَا) ". رواه البخاري.
- ٩ سورة الضحى - ٥
- ١٠ سورة الإسراء - ٧٩
- ١١ سورة الفتح - ٢
- ١٢ سورة البقرة - ٣٠
- ١٣ سورة آل عمران - ٥٥
- ١٤ سورة إبراهيم - ٢٤
- ١٥ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكافي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ١٦ مقولة للشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: فإن نظرت إلى الآلات طال بنا *** إسناد عنعنة حتى إلى الذات.
- ١٧ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ١٨ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ١٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢١ سورة آل عمران - ٣١
- ٢٢ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٢٣ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ٢٤ من حديث شريف: "حياتي خير لكم تحذثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم". أخرجه النسائي والطبراني.
- ٢٥ حديث شريف رواه الدارقطني، يتوافق مع الحديث الشريف: "ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام". رواه أبو داود بإسناد جيد، وحديثين ذكرهما الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة": "أنا في قبري حي طري، من سلم علي سلمت عليه" و "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون". أخرجه أبو يعلى والبخاري.

- ٢٦ من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن لحظات انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، فجاء له ملك الموت وقال: السلام عليك، يا رسول الله أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلتحق بالله فقال: النبي صلى الله عليه وسلم، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى.."
- ٢٧ حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.
- ٢٨ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٢٩ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك."
- ٣٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣١ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبرة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.
- ٣٢ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٣٣ حديث شريف: "كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. كما أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض."
- ٣٤ من سورة هود - ٥٦، سورة هود - ٦
- ٣٥ سورة التوبة - ٤٠
- ٣٦ عبارة يتفق على معناها كل المؤمنين بالله ورسوله، وتتوافق مع الآية الكريمة {ذكر اسم ربه فصل} سورة الأعلى - ١٥
- ٣٧ سورة الأحزاب - ٥٦
- ٣٨ سورة الأحزاب - ٥٦
- ٣٩ سورة الأحزاب - ٤٣
- ٤٠ من "الياقوتة المنيفة لسيدنا الفاسي": "... حتى تشهدك به، وهو بك، فأكون نائبا عن الحضرتين بالحضرتين".
- ٤١ نفس الملاحظة السابقة.
- ٤٢ سورة الأعراف - ١٦٠، سورة البقرة - ٥٧
- ٤٣ سورة الحشر - ٢

سورة مريم - ٨٣	٤٤
سورة البقرة - ٢٧٥	٤٥
سورة الزخرف - ٣٦	٤٦
سورة المعارج - ٣-١	٤٧
سورة الإسراء - ٥٨	٤٨
سورة الرعد - ٨	٤٩
سورة النساء - ١٤٧	٥٠
سورة يونس - ٢٦	٥١
عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.	٥٢
سورة النجم - ١٢	٥٣
سورة النجم - ١١	٥٤
سورة النجم - ١٧	٥٥

(١٠)

الإنسان المصطفى

ظاهر الغيب المرسل وغيب الشهادة المرسل

بحث بالحق في دثر الشهادة، لقائهما به،

غيبا عليها

كوثر دائم الخلق وأحدية دائم الحق

إنسان الله عبدا وربا، شهادة وغيبا

لوجود وللشهود في اللانهائي لا بداية ولا نهاية له

حديث الجمعة

١٤ جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٠ سبتمبر ١٩٦٥ م

أشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.. عبده وصفيه وخليفه ونجيه، وأشهد أن الله عبر عن مطلقه ومقیده بالإنسان إطلاقا وتقييدا، فجعله له اسما وعليه علما وله وجهها ومنه رسولا وأمرا، جعله ربا وعبدا، ظاهرا لباطن له مرسلًا ومرسلًا خلقا وحقا.

وأشهد أن الله أكبر لأكبر، وأنه لا موجود بحق سواه في أكبر وأصغر. لا شريك له من كبير أو صغير.

له الملك بالملك وله الحمد بالملوك وهو على كل شيء قدير بسلطانه، وبكل شيء خير لعنوانه، واسعا بكونه عليما بكائه، ليس كمثله شيء في قيامه وهو كل شيء بقيومه، وما من شيء، إلا هو له، يسبح بحمده، ويحيا بحبه ويستقيم من خيفته، على ما مراده من خليقته.

عباد الله، اتقوا من هو قائم على كل نفس بإحاطته. وعاملوه أقرب إليكم من حبل الوريد بقدرته. فما لكم منه، إلا ما كسبت نفوسكم به برحمته، ولا تشرکوا به بما حولكم من أشياءه لأشيائكم، ولا تشرکوا به شيئكم، وآمنوه قلب قوالكم ربا بعزته، أنتم بقوالكم له العباد بمنته، وهو بقلوبكم لكم الرب بنعمته، فلا تغيبوه عن وجوده بموجودكم لطلعته، ولا عن شهوده بشهودكم لكم لحجابه، وبشهودكم له فيما حولكم لكتابه. أينما تولوا فثم وجه الله مشهودا لوجهه بكم، اطلبوا وجهه في قلوبكم، ولا يشغلکم عن وجهه فيكم، وجهه إليكم. وفي أنفسكم فانعكسوا إليه طالبن، فمعه تلاقون، وبه تتطورون، حتى تنفوا عنكم، يوم أنكم به، وجوها له تبعثون. فتعرفونه من ورائكم بإحاطته، ولكم بجمال طلعته، وفيكم على كسبكم من صنعكم بجلاله، فتدخلون في حصن وحدانيته، وتشهدونه لا إله إلا الله وجودا وبقينا، على ما عرفتموه لا إله إلا الله، علما، وتبليغا، وهديا، وطريقا وسلوكا، ودينا.

تتكلمون عن الإسلام وتزعمونكم المسلمين! فهل عرفتكم الإسلام حقا يقوم في النفس، فعرّفتم أهله؟ هل تشكّكن في وصف الإسلام لكم؟ وكيف يعرف أدعياء الحق الحق!! وهم لا يعرفون ما يكون الحق، وما معنى الحق، فكيف يعرف المرء نفسه مسلما، وهو لا يعرف الإسلام مع مرآة له من مسلم، حتى يستعرض نفسه على من شهد وعرف، وينظره، هل بالإسلام قام؟ وهل بالإسلام شرف؟

إن الإسلام، عقيدة، ووسيلة، وغاية، وثمرّة، وأسلوب للحياة.. إن الإسلام يتمثل في فرد، وأسرة، وجماعة، وبشرية، وإنسانية.. إن الإسلام فطرة، ونظام، وكيونة، وقدرة، وحرية وقهر، ونواميس وعلم وفعل وعمل.

إن الإسلام عدالة، وإنصاف، وتناصف، ومساواة، ومشاركة وتعاون، ورغد من العيش، بالكسب وبالوهاب والقناعة. إن الإسلام بذل لما تملك، بالإيثار، والمحبة. إن الإسلام غلبة وعزة ونصر ومجد وقيادة وسيادة. إن الإسلام خدمة وحرية ومساواة وقيام، وقيومية..

إن الإسلام جهاد، ومجاهدة، من الفرد، ومن الجمع، ومن الأمة، ومن البشرية.. إن الإسلام معرفة وحقيقة، وطريق، وسلوك..

إن الإسلام صراع ومسالمة، وبغض ومحبة، وتحاب وحب.. إن الإسلام أمر للبشرية، وللإنسانية، للفرد والجمع.. إن الإسلام تخطيط وتنسيق، وإصلاح، ومشروع، وشروع، وتحقيق..

إن الإسلام للإنسان، غذاؤه، ووجاؤه، ورجاؤه، وأمله وجزاؤه.. إن الإسلام للإنسان عمله، وغايته وحياته وعطاؤه، يوم يُعرف الإسلام، عند المنتسب إليه، بموصوف المسلم..

إن الإسلام تسليم وسلام، تسليم من المخلوق للخالق له لمعيته لموصوف الخالق، مع معلم، وتسليم للخالق في قيادة وريادة الخلق بموصوف المعلم بسلام مع الحق المخلوق معاملة مع الحق الخالق.. إن الإسلام إيمان بالرائد إلى الحق يدا ووجهها للخالق وإيمان من الرائد بمن يرود وجهها وكتابا للحق.. إن الإسلام يقوم على شعار العبد والرب للإنسان بباطن الإنسان يعبر عنه ظاهر الإنسان، قياما وفعلا، إحسانا وفجرا.

ماذا عرفنا عن الإسلام؟ وماذا كسبنا من الإسلام؟ وماذا توارثنا في الإسلام عن آباء من المسلمين، منهم من عرف الإسلام، فكان مسلما حقا، ومنهم من زعم الإسلام جهله وزعمه، ومنهم من دخل الإسلام وواصله في متابعة المسلمين، ومنهم من انقلب على عقبيه، مروقا من تعاليمه في مخالفة جماعة المسلمين، كل منهم ترك لنا حاله وميراثه، فإذا علمنا بما ترك لنا؟ هل ميزنا بين الغث والثمين؟ هل فرقنا بين الحق والباطل بالفرقة بين الحق والمبطل؟

هل كان لنا في الغث عظة، فتجنبناه، واستغفرنا لآبائنا وأجدادنا، وسألنا الله لهم المغفرة، وأصلحنا من غثم، حتى يكون لنا عند الله بإصلاحنا لفساد أمرهم شفاعا لهم؟

وحتى يكونوا بما برزوا به، من الغث، ومن الخطأ، ومن الانحراف آية لنا، توقظنا من غفلتنا، ومن منحرف مسلكنا، ومن غث معرفتنا، ومن ملتوي وجهتنا، فترى في آبائنا، ضحية ضخوا بأنفسهم لخيرنا وضحي بهم آباؤهم لإيقاظنا أبناء عقودوا علينا رجاء؟

فإن نحن استيقظنا ونحن الأبناء، من عملهم وعمل آبائهم فكانوا تجربة ثمرة لنا أضاف الله يقظتنا، إلى المقبول من عملهم، لأننا من عملهم، فكنا شفعا لهم، فبنا وبيقظتنا غفر الله لهم أخطاءهم، وبدل أحوالهم فهو الناموس والصبغة في قائمه بالفطرة.

(من صلح، أصلحنا له من صلح من آبائه، وأزواجه وذرياته)^١، (لكل منكم شفاعا)^٢، و(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)^٣، (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)^٤، وإن من أمتي، وكثير ما هم، من واصلوا جاهليتهم أو ارتدوا إليها فكانوا من الجاهلين، ولكني أطمع أن يخرج الله من ظهورهم من يعبد الله، فيغفر الله لهم بأبنائهم، من عملهم بإعمال ناموس الفطرة، هذا يقول حكم لي وهذا يقول غفر لي (لحمي مني وإن نتنت والعرق مني وإن مال)^٥.

هذه هي الفطرة ودينها، على ما عرّفها رسولها، ولسانها وقائمها، وإنسانها، وصبغتها، من جاءنا به الحق، وزهق به الباطل لنفسه، ولقومه، ولأهله، ولصحبه، ولتابعيه، على أمره ووصفه، وللبنية به رحمة للعاملين.

إن الإسلام لا يعرف القهر للإنسان، ولا يُقهر الإنسان فيه على الإسلام، {تبين الرشد من الغي}،^٦ {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}،^٧ وإن عرف القهر لإقامة السلام ولحفظ السلام ولنشر السلام بين الناس.

إن الإسلام دين الرحمة، دين الحب، دين الإيثار، دين الدفع بالحسنة لكل سيئة، دين الاعتذار للمخطئ، والدعاء له، والعون له بالإحسان إليه، قبل أن يكون دين العزة بالحق للحق.

ما قامت فيه العزة، إلا لخير المخطئ والمسيء. وما أمسكت يد المسلم بسيف العزة في الجهاد الأصغر إلا لخير المقهور، يوم يدفعه ظلمه لنفسه للاعتداء والطغيان، على عنوان الكرامة والرحمة، للإنسان بقائم الجماعة من المسلمين، ظلال المسلم القائد لركبهم لهم بينهم، {محمد رسول الله والذين معه، أشداء على الكفار رحماء بينهم}،^٨ لخلق الأمة ووحدة الجماعة.

{وإن أحد من المشركين استجارك فأجره، حتى يسمع كلام الله}،^٩ {ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة، كأنه ولي حميم}،^{١٠} (الإسلام يحب ما قبله)،^{١١} {فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}،^{١٢} (إذا لم تذبوا وتستغفروا لذهب بكم وأتى بقوم آخرين يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم)،^{١٣} {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا}،^{١٤} {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}،^{١٥} الشرك فيه رؤية الفرد لنفسه في عزلة عن وحدانية جمعه، في وحدانية الله...

الذين كفروا بمعية الله لهم أقرب إليهم من جبل الوريد، معهم أينما كانوا، الحي القيوم في حياتهم وقيامهم بالحياة، في قيامهم بها على أبدانهم ونفوسهم، (إن لبدنك عليك حقا)،^{١٦} {ويحذركم الله نفسه}،^{١٧} أن تضيعوها، وبالحق، لها لا تبعثوها، فلا تبعثوها، وقد خلقكم لنفسه، {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}،^{١٨} أي ليعبدوا أنفسهم ويهيئوها، ويصلحوها لقيامي بهم وظهوري من خلاهم بامتداد نوري إليهم من رسولي بينهم، وامتداد نوري منهم على ما كان إليهم.

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}،^{١٩} {وقل جاء الحق وزهق الباطل}،^{٢٠} {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم}،^{٢١} مبعوثا به بينهم، لعينهم، ولقدوتهم، ولمثليتهم، ولغايتهم، ولنهائتهم، {كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}،^{٢٢} {وقل جاء الحق وزهق الباطل}،^{٢٣}.

إن السلف الصالح بنوا أنفسهم بمحمد لهم، بموجود وجوده بينهم، بذاته وبآله لكوثره بهم، مبعوث قلوبهم لنفوسهم وهياكلهم فكانوا له بالحب والفداء ظلالة، وكانوا عليه للناس مثالا، وكانوا منه امتداد

حال وترديد مقال فارتد انقلاباً إلى نفسه من ارتد، وواصل به من واصل نخلف من بعدهم خلف، أضعوا الصلوات، ورفضوا الآيات، وغيروا الأحوال والمثلثات، وحرفوا عن مواضعه الكلمات.

فأضاعوا أنفسهم، بلا محمد بينهم، ولا محمد لهم، وهو بينهم من أنفسهم، وفيهم لأنفسهم، نور الله ممتداً، وقائماً، عاملاً، ومعيناً، وناقلاً، ومبيناً، مجدداً، ومسفراً، ومحققاً، ومخلّفاً، موجوداً متواجداً، كوثر الحياة متكاثراً، وثياب الحياة متجدداً، خالعا، لابسا، موجوداً، وصانعاً، فاعلاً، مقوماً، وقائماً، مستقيماً.

ما طلبه طالب مجاهداً في الله إلا وجده موجود الحق لطالبه، وما سعى إليه ساعٍ، في أي عصر، إلا لاقاه وشهده، وعليه اجتمع فتواجهه، فعه واصل، وله اتبع وعليه حقا جمع.

{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} ^{٢٤}، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني} ^{٢٥} (من رأي فقد رأي حقاً) ^{٢٦}، (الخير فيّ وفي أمي إلى يوم القيامة) ^{٢٧}، (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) ^{٢٨}، (يأتي على أمتي زمان، القابض فيه على دينه، كالقابض على الجمر) ^{٢٩}، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره) ^{٣٠}، {عباد الرحمن، الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} ^{٣١}، (لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ^{٣٢}، (زويت لي الأرض ^{٣٣} وجعلت الأرض لي مسجداً وطهوراً) ^{٣٤}، (الإسلام دين الفطرة) ^{٣٥}، وكل مولود يولد على الفطرة.

الإسلام، عقيدة، ووسيلة، وغاية، {يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة} ^{٣٦}، والرسول يقول (توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم) ^{٣٧}. إنه الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) ^{٣٨}، إنها الوسيلة، إنها الطريقة، إنها القدوة، إنها الأسوة، إنها الاقتداء، إنها المرأة، عند من رآه في مرآة أخيه، (المؤمن مرآة أخيه) ^{٣٩}، والمؤمن في كماله، مرآة المؤمن في حقه، لعين إنسانه، بصورة مثاله، بنصب قبلته.

إذا فرغت فانصب، إذا فرغت من همك، إذا فرغت من نفسك، إذا فرغت من دنياك، إذا فرغت مما يشغلك من غير الله، فقم وانتصب، ولربك فاذكر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر. {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} ^{٤٠} يا من كنت وجهه، مدثراً بدثارهم، مسفراً في أعماق نفوسهم، يوم تكشف عنهم أعظيتهم، وتوضع عنهم أوزارهم، مستقيمين مع الله، باستقامتهم معك، مسلمين لله بإسلامهم لك.

لا غيبة لك بعد جيئتك وسفورك بالحق لهم، {يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله، وآمنوا برسوله} ^{٤١}، فما لكم من الله، إلا الحق برسوله، {واعلموا أن فيكم رسول الله} ^{٤٢}، كافة للناس أبرز، وقدوة من الناس للناس، بالحق أسفر وبرز.

قام بين الناس من الناس، المظهر والمخبر. قام لهم بينهم القشرة والجوهر. لا تعرفونه إلا في أنفسكم، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ^{٤٣}. إنه الحق من ربكم يداينكم. إنه الحق لله يواليكم، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ^{٤٤}.

إنه القلوب يوم تحيا القلوب، إنه القوالب يوم تبعث القوالب، إنه الليل الساري في مثاليته بالقلب للقولب، وإنه النور المشرق في القلوب للقولب، يوم تتحقق القلوب بيت ربوبيتها، فتبعث فيها العقول في دار صحتها ويقظتها.

بؤانا لإبراهيم مكان البيت من نفسه وقالبه، بيتا رفع، وجئنا بمحمد موضوع البيت، وحق أهل البيت، يذكر فيه اسم الله العظيم والأعظم باسم الله الرحيم والأرحم، {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا} ^{٤٥}. إن أول بيت وضع للناس، من الناس، رسولا من أنفسهم، جديدا لآدم، وقديما لآدم، وقادما لآدم، وبنينا لآدم، يُشهد لأودامه قدوة لهم، هم أبناء لأبيه وأبيهم، جديد قديم، وقديمه، آدما لهم وقالبا به لقوالبهم، وإنسان سبقه ونورا لقلوبهم. علم الله في حقه بقائه بقيومه لقائهم أبناء له يشهدونهم في جديده لجديدهم به وقادمه لقادهم منه.

إذا كانت القيامة، إذا كانت القيامة بالحق أقومه، مسفرا به، في الناس مؤمنين بالحق لهم معي، كان أقربهم مني منازل، في هذه القيامة لي (أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون) ^{٤٦}، يومئذ ينقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر، إلا نسبي وحسبي وسببي وصهري ^{٤٧}). إنه البيت وأهل البيت والطائفون بالبيت والعاكفون حول البيت، إنه مدينة العلم، إنه {البلد ووالد وما ولد} ^{٤٨}.

إنه مركز الدائرة بأحديته، ومحيط الدائرة بواحديته، وحق الوجدانية والأحدية بحقيقته. إنه إنسان الله وقيامته، ووجه الله وطلعته، وحق الله وجلالته، وجمال الله ورحمته، وعليم الله وحضرته، عبد من عباد، وحق من حقائق، وأحد من آحاد في مطلق الله.

هو من عرفناه ولم نعرفه، هو من لا قيناه وفي دوام نلاقيه ولم نشرفه، هو من ذكرناه ولم ننصفه، هو من نسبنا أنفسنا إليه ولم نقمه، هو من أكبرناه لفظا ولم نسعده، هو من رددنا اسمه ولم نتواجدده، هو من أبعدناه عنا وأبعدناه عن ربه، وما أوجدده الله وجهها لربه ويذا له بيننا إلا لتواجدده، وما جعله قدوة وأسوة لنا إلا لنسعدده، وما عرّفنا إياه لنا فينا إلا لنحمدده، وما جعلنا منه إلا حمدا لله آمنه في الإنسان

هو الرب لنا وله، موجودا بنا وبه، قيوما علينا وعليه، أقرب إلينا وإليه من جبل الوريد، من ورائنا بإحاطته، كما هو من ورائه بإحاطته، وجوه لله نحن لوجه الله نلاقه به ونسعد بالله معه وقياماً فيه.

{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} ٩٠.. وما تكون هذه الأمة، إلا أمة السلام وجنود السلام. إنها أمة الإسلام يوم يتواجد في جمعها لاقتدائها قدوتها بالمسلم، فيتجمع عليه المسلمون، لا تميز بينهم في الحق، فهو لجمعهم، فهو لكلهم، ما قامت لهم وحدانية إلا بوحداية الله، وما قاموا في معنى أحدية إلا بأحدية رسول الله، وما ارتفع لهم في الأرض ذكر، إلا مذكور الله معهم كلمات الله ورسوله ذكراً لله، ذكراً محدثاً، لذكر قديم عرفوه ولاقوه، قامهم وقاموه، هو العروة الوثقى، لإنسانهم في أحسن تقويم، قديماً وقادماً.

قاموا بعنوانهم، محمد والذين معه، رسول الله لا يغيب ولا يحتجب ولا تتعطل رسالته، ولا تجتث من الأرض شجرته، ذرية طيبة، بعضها من بعض، يعرفونهم المسلمون طبقاً بعد طبق يرفعون، بلا بدء، وطبقاً بعد طبق يوضعون، بلا انتهاء، بين قديم المسلمين، بأوادمهم في جمعهم لا بدء لهم، وبين قادم المسلمين، أبداً بأوادم لا انقطاع لهم، أمة وسطاً في قائمها بآدمها وجمعها بظلاله شهداء على الناس، الرسول عليهم شهيد.

هذا هو الإسلام للفرد والأسرة والجماعة والجمع، والأمة والإنسانية بأفراد وجماعات متلاحقة، لا ينقطع أولاهها عن قائمها، ولا يضع قائمها السدود أمام قادمها، إنها وحدة الأمة بالروح والجسد، إنها وحدة الإنسان بالروح، للجسد، أجساد، متلاحقة لطبقات الروح متدانية متصاعدة خليقة متجددة متحركة، في دورة دائبة سامقة قديمها في أحسن تقويم، وغايتها لقادمها أحسن تقويم، وحاكمها في قائمها بقيومها في أحسن تقويم.

أمة الخير يؤمنون بالله، لا يغيب، ولا يحتجب، ويستمعون لأمر الله، من أنفسهم في ضمائرهم، ومن أنفسهم من بينهم، مؤمنون هم مرايا الإيمان للمؤمن بالمؤمن لا ينحرف بهم أمر، ويستقيم معهم الأمر، ويستقيم بهم الأمر، ويستقيم لهم الأمر، ويستقيم بهم في اجتماع الأمر كل أمر، في كل وقت وحين، وفي كل مكان بوطن.. في السماوات والأراضين.

إمامهم قدوتهم وحقهم به يؤمنون وبالأعلى له هو لهم، وهو مخاطب بما به يخاطبون، {فاستقم كما أمرت} ٩٠، فيستقيم، ويتهم نفسه، (إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة) ٩١، فتأتيه الطمأنينة من الأعلى، {وإنك لعي خلق عظيم} ٩٢، {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} ٩٣، فيعلنها كافة

للناس (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ^{٥٤}، ولا ينسب لنفسه حسن الأدب صادرا منه، ولكن يضيف كل ما يظهر به من فضيلة إلى فعل ربه له وإبرازه به.

فيطلب إلى الناس أن يتخلقوا بأخلاق الله في أن يتخلقوا بأخلاق ربه، لموصوف أخلاق الأعلى، عرف فيها خلق الله، بأسمائه الحسنى، بأوصافه الحسنة، من صفات رحمته ونفاذ قدرته، وغلبة إرادته، ويطالب نفسه وقومه لعينه ونفسه بالاستقامة على الحق، على ما عرّفه وعرّفه، وعلى ما شاهده وأشهده، فهو ينسب الفضل كله لربه، والحق كله لربه، والاستقامة كلها لربه، {وما لأحد عنده من نعمة تجزى} ^{٥٥}، {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد} ^{٥٦}.

فينزل ربه سكينته على قلبه، ويعطيه الطمأنينة الكاملة به لنفسه في قائمه بقومه لعين نفسه لذاته، غافرا لذنبه في معاني كثره بخلقه بقومه من المؤمنين بالله ورسوله، في قديمه وقادمه، مغفور قائمه، ويقول له ثناء على مستقيم أمره وعظيم خلقه أتممت على قومك بك نعمتي، وأقتكم على فطرتي، وأظهرتكم بصبغتي، وجعلتكم للناس ظاهر الحق لحقيقتي، {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ^{٥٧} من أمري وأمركم، {قل هذه سبيلي، أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} ^{٥٨} منكم في متابعة أناني بينكم بعترتي من أهل بيتي فقد أعلن وأشهر ربي {ورضيت لكم الإسلام ديناً} ^{٥٩} الإسلام الذي هو الإسلام على ما قدمه الله ورسوله، وبينه الله ورسوله، وجدده ويجدده الله ورسوله.

(المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) ^{٦٠}. المسلم من لا طاعة منه، عنده، إلا في ربه، (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ^{٦١}. المسلم من اعتزل من يعبدون غير الله منكرين على الله معهم، عاكفا على نفسه، فارا بدينه، لا مخاصما ولا معاتبا، ولا مشاكسا، ولا فارضا منه على الناس إرادة بما يرى، وإن كان يريد لهم من الله كل ما أراد لنفسه. إن ما يرى من الحق فيه له إنما هو لنفسه أولا ثم لمن يعول ثم لمن يهده الله به، وإن جاهد خلف إمام يقوده.

فليبدأ بنفسه، فإن فاضت نفسه بنور الله، وقد عمرت بنور الله، وقامت بروح الله، كان عليه أهله، كان عليه من يعول من أهله، فإن صلح له أهله، فإن صلح له جمعه وقومه، فإن صلحت جماعته، فكانت له، وكان لها، فقام الواحد في جمع، بنور الله، وقام الجمع في واحد نصبا لله، صلح لأن يصلح الله به من كان في معاني الغير له، ومعاني الغير معه، (ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من الدنيا وما فيها) ^{٦٢}. هكذا كانت خطي من جعل كافة للناس، ورحمة للعالمين، {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} ^{٦٣}. إن رسالتي بحالي بينكم قدوة لكم ورحمة مهداة من الله إليكم.

إن الإسلام ارتفع بالفرد إلى موجود الآدم، وأبا للأنبياء جعل في ذريته الكتاب والنبوة. إن الله ارتفع بابن آدم في إبراهيم إلى مكانة أبيه آدم، وارتفع بابن آدم في محمد إلى مكانة أبيه إبراهيم وآدم، وارتفع بمحمد عروة وثقى وحلقة اتصال وسلسلة وصال، رسولا لله، بما كان للآباء له في أزل الله، من أوادم ما قبل آدم، يبعث بهم ويبعثون به من خلاله في أنبائهم منه، بأبناء له منهم إلى أبد الله، مرآة أزله.

جعل له من قديم الخلد كوثرًا يتجدد، بأوادم تتعدد وتوحد من قبل ومن بعد آدمه، وأوادم من بعد أوادمه، لأوادم ما قبله وأوادم ما قبلهم بقانون الفطرة، وصبغتها لله عنوان الحقيقة، وحقيقتها، ظاهر الغيب، وغيب الشهادة فكان قدوة الأوادم بآدميته متدثرًا بدثر الشهادة، بقائه بها لحقائقها في سكينه ليلها لليالي القدر به غيبا على العامة من الناس حتى لا يفتتن به الناس، ما عرفني غير ربي، لست على هيئتكم، لست على صورتكم، لست كأحدكم، ولكني وأنا وعلى ما أنا، إنما أنا لكم رحمة مهداة، ما أعطيته فلا متي، اتبعوني على ما أنا بينكم ولعلمكم، يحببكم الله ويكشف عنكم أغظيتكم لتشهدوكم على ما شهدني له. من كان مني في يومي، كنت منه في يومه، ولكل يومه، ولكل قيامته، ولكل ساعته، و(من مات فقد قامت قيامته)^{٦٤}.

فاتبعوا أحسن القول، و(موتوا قبل أن تموتوا)^{٦٥}، حتى تبعثوا بالحق، قبل أن يبعث الناس، على ما أنا بينكم مت قبل موتي، وبعثت بالحق قبل بعثكم، وكم سأموت، وكم سأبعث لإتمام رسالتي، وليان حقي لحقيتي سفورا للحق فيكم وبينكم.

لست بدعا من عيسى، أو من يحيى، أو من الرسل، نحن معاشر الأنبياء تنام عيوننا، وقلوبنا لا تنام فنحن كتاب واحد وأمر واحد لله.

لست بدعا من الرسل فإني وإياهم بوحدة جمعنا ودائم اجتماعنا نبعث بينكم دائما. فالسلام عليّ يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حيا.. السلام عليّ من الأعلى، وسلامه مني على الأدنى. هو السلام ومنه السلام وإليه السلام.

ستنشق الأرض عني يوما على ما انشقت عني دوما، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، مبعوثا بالمحمود من المقام، لربي، بما أثنى على نفسه، وبما ثني عليه بما أثنى به عليّ، ويومئذ تعرفون (من محمد) (ومن أنا)، يومئذ تشرق الأرض بنور ربها، يومئذ تشرق القلوب بنور عقولها. إنه يوم الفصل في أمري أمرا لله، وفي رسالتي هديا دائما لله، وفي حقي وحقيقتي بكم، تنكرونه على أنفسكم، بإنكاركم لي إليكم فيكم وفي معانيكم.

يومئذ يوضع الكتاب لشهودكم وعلمكم، ويؤتى بالنبين والشهداء أرواحا وأشباحا لجمعكم، في رسالة على مثال مما تشهدون اليوم بقائم رسالتي، ويقضى بين الناس بحكمهم هم على أنفسهم بجهلهم وقد اختلفوا في أمرهم، وما كان في أمرهم من اختلاف بينهم، لقد عهد إليهم جميعا أن يقيموا الدين، ولا يفرقوا فيه، فأقاموا الدين، وما تفرقوا فيه ولكن أمهم ما عرفت الدين على حقيقته، وما اجتمعوا على الدين في سلامه وسكينته. ولكنهم تمسكوا بقشور ليست من عقيدته وجادلوا حولها لهدم الحق في جلودهم لجلدته، كآبا بحقه لشريعته.

(أفضل ما جئت به أنا والنبين من قبلي - وما يأتي به النبيون من بعدي - "لا إله إلا الله")^{٦٦}، (نزلت البسمة على كل نبي ورفعت معه، إلا أنا فقد أعطيتها لي ولأمتي)^{٦٧}.

فبها لي، كان الخير لي، والخير لكم، في وجودي بها بينكم، وبها في أمتي يبقى الخير في أمتي، ولا تزال بها طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم، بها لي وبها لأمتي، كنت بها وكانت أمتي بها، مثالية وطابع للنبين.. مثالية وطابع للعلماء.. مثالية وطابع للحكماء. كنت بها وأمتي من النبين، ظلال إنسان الله، في موجود المطلق، موجودا على دوام ظاهرا بالإنسان، في أزل وفي قيام وفي أبد، في سلام (علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل)^{٦٨}.

جئتكم برسالة الله إليكم لا يتعطل أمرها، ولا يتوقف فعلها، ولا تغيب عن الأرض طلعتها بعباد للرحمن يمشون على الأرض هونا، لا تقلهم أرض، ولا تظلمهم سماء، إنهم عباد الرحمن، إنهم عباد الله، الذي لم تتسع له السماوات والأرض، واتسعت له قلوب المؤمنين من عباده.

إنهم وجوه الله، إنهم المعنى المنشود من الله، إنهم المعنى المقصود في الله، إنهم المعنى الموجود بالله لطالبي الموجد في السماوات والأرض، إنهم العروة الوثقى بين الخالق والخلق، إنهم الرسول، إنهم الحق المأمول، إنهم مثالية الفعل والقول في الله وفي الوجود لظاهر الله في مطلقه.

{إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}^{٦٩}، عبدا اتسع قلبه لما لم تتسع له السماوات والأرض، عبدا واسع القلب.. عبدا مملوك القلب والقلب لله.. معبد القلوب وقبيلتها، وقبلة القوالب لقلوبها.. عبدا بظاهره الآدم المتكاثر، وبباطنه الإنسان الواحد الأحد لله، الموجود المتواجد علما على اللانهائي في وجوده، علما على الله بإنسان قيوده لشهوده، أحدا من آحاد في مطلق اللانهائي للأرباب على عروشهم بسلطان، والعباد في جناتهم بأمان.

لقد عَرَفَت ديانة بني إسرائيل أبناء لآدمهم كشعب مختار باصطفاء أبيه، أن الله ما كان إلا إنسانا، يوم عرفت أصلها الإنساني في أحسن تقويم، لمرادها في الاستقامة، لإنسانها في أحسن تقويم، وما كان هذا الرب إلا آدم من أودم لإنسان رشيد من إنسانية رشيدة، في الحق المطلق، أحد من آحاد الله.

جاءت رسالة الفطرة مع نبي السلام فصرفت لفظ الله، لا إلى إنسان الله في قيوده بصفاته، ولكن صرفته إلى معلوم اللانهائي، عند التقييد لمشهود الإنسان به، في مشهوده لنفسه منه، وبالإطلاق لموجود الوجود منسوباً إلى الواسع العليم، إلى الذي لا يدرك، إلى الذي لا يحاط به، معلوما بظاهره في المدرك من الوجود، علما عليه، والإنسان عبدا له وحقا من حقائقه به في ذي المعارج، قائم معارجه بالإنسان في أطواره.

فرفع الرسول شعاره لقومه، (الظاهر مرآة الباطن)^{٧٠}، بلا إله إلا الله، ظاهرا وباطنا، ووصف الإنسان، معلوم الإنسانية وربا لها، عبدا للانهائي، ومسيح وجوده، ممسوحا عن كائنه وموجوده، آية لله وحقا له، حقا من الله وعبدا له، وجها لله وكونا له، حقيقة لله ووجودا له، اسما لله ودارا له، موجود الله وخلقاً له، وجودا لله وعبدا وحقا له بشعار الإسلام (الله أكبر) لا إله إلا الله.

فقام بذلك محمد بين الناس، عبدا لله، عرف ربه، لمعنى الأعلى عليه والقيوم على قائمه، موصوف الرفيق الأعلى، في الله ذي المعارج، فعرف ربه، عبدا لله، على ما هو عبد له، عرفه عنوان الرحمة، وعنوان الجود، فقال أنا خليل الرحمن، أنا حبيب الرحمن، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى، يوم خيره قيومه ورفيقه، وعين قائمه قاب قوسين أو أدنى، أيتى. على ما هو، أم يتخلى عن عظمة ما هو، وعن نعمة ما هو، إلى الأعلى، إلى رفيق رفيقه، رفيقا أعلى، فقال (بل الرفيق الأعلى)^{٧١}، (أتريد أن تكون نبيا ملكا أم نبيا عبدا قال بل عبدا)^{٧٢}.

قال له أدركت وعرفت {وإنك لعلى خلق عظيم}^{٧٣}، وهذا مالك أنا به أردت، نعم فثم نعيما وملكا كبيرا ينتظرك في المقام المحمود منا لمن لنفسنا اصطفيانا، فعرف رسول الله شرف المسكنة مع الأعلى فقال: (اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكينا، واحشرنى في زمرة المساكين)^{٧٤}، حتى لا يتوقف إلى اللانهائي مسيره، وحتى يلقاه من الخير كثيره، وحتى يزداد في المعرفة عن الله، لا يرى لها حدا، ولا يرى لها انقطاعا.

فقال له الأعلى معرفا لنا، إنك على خلق عظيم، وأشهر إرادته، رضيتك قدوة للعالمين، وكافة للناس، لمعاني الحق أظهره، فبالحق أظهرك {وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا}^{٧٥}، وبذلك

تم الدين بتمام القدوة للكافة، وقال الله مبلغاً منه، رضيت لكم الإسلام ديناً، ديناً لكم هو دينه ودين لمن أسلم له هو علمه ويقينه، لمن قامه خلاصاً وأمناً وسكينة.

فقال مبلغاً هادياً (من رأيي فقد رأي حقاً، فإن الشيطان لا يمثل بي)^{٧٦}، وشهد أنه بقائه مشهوداً هو رسول الله إليه قائماً قديماً وقادماً ليشهد به الناس رسول الله إليهم بشهادته لنفسه أنه رسول الله بينهم (أشهد أني رسول الله)^{٧٧}.

اللهم يا من جعلت من رسولك ظاهر حق لباطن حق، وجعلت به الباطن ظاهراً والحق أبلغاً، اللهم به فحققنا، وبه فألحقنا، وله أتبعنا، وخلفه فقومنا، وعن قيادته لا تقطعنا، وفي رسالته لا تفتننا، وبحقيقته فقومنا.

واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، واجعلها في مرضاته، فارضه عنا، وارضنا عنه، حتى نرانا به في رضوان منك أكبر، فما كنت فيه إلا الجوهر، وما عرفنا منه لك إلا المظهر، وغاب عنا المخبر.

اللهم به فوالنا مرحومين، وأقبلنا مغفورين، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، للخير ميسرين، وللطريق سالكين، ولأبواب رحمتك داخلين، وبوجوه طلعتك مستمتعين، ووجوها لك قائمين، في حصن لا إله إلا الله داخلين، وفي الله ذي المعارج سالكين وبالله أكبر موقنين، فأليك في دوام مفتقرين، وبما أنعمت علينا، عن الجاهلين مستترين، وعن عيون الطاغين مُبْعَدِينَ، ومن عباد الرحمن على الأرض غير محرومين، عليهم مجتمعين ومعهم سائرين، وبهم موصولين.

واجعل منا عباداً لك يوماً في الدين، على ما قدرت لكل منا بقاء اليقين، وما أنت علينا بالحق بضنين، وقد جعلتنا من أمة الحق مكرمين، إليها منسوبين، مستغفرين، مجتهدين، مجاهدين، إليك راكبين، ولرسولك محبين، وبما جاءنا به عاملين، غير متوانين، وعلى أنفسنا كما رخصت لنا غير مثقلين.

اللهم به فارحمنا يا أرحم الراحمين، حكماً ومحكومين، وبه تولنا أئمة ومتابعين، مجاهدين ومجتهدين، ولا تعمل عدلك فينا بسلطان علينا غافلين، وأنظرنا مرحومين، مؤجلين، واجعلنا عندك في شجرة الأحياء المكرمين، جددنا بأمرك في كل وقت وحين، حتى يحين لنا الحين، فترفعنا فوق كل حين فنكون من المقربين، ومن اللاجئين، وبساحة الحق ملحقين، لا تحكمتنا الأيام ولا المواعيد ولا تقطعنا الأعوام ولا تهلكنا السنون.

لا إله إلا الله سبحانه إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ استلهاما من {جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} سورة الرعد - ٢٣. {وَرَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} سورة غافر - ٨
- ٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣ حديث شريف أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد.
- ٤ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بالفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦ سورة البقرة - ٢٥٦
- ٧ سورة الكهف - ٢٩
- ٨ سورة الفتح - ٢٩
- ٩ سورة التوبة - ٦
- ١٠ سورة فصلت - ٣٤
- ١١ من الحديث الشريف: "إن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها". مسند أحمد.
- ١٢ سورة الفرقان - ٧٠
- ١٣ حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ". صحيح مسلم.
- ١٤ سورة الزمر - ٥٣
- ١٥ سورة النساء - ٤٨ ، سورة النساء - ١١٦
- ١٦ حديث شريف: "إن لربك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه". أخرجه البخاري.
- ١٧ سورة آل عمران - ٣٠، سورة آل عمران - ٢٨
- ١٨ سورة الذاريات - ٥٦
- ١٩ سورة البقرة - ١٨٦
- ٢٠ سورة الإسراء - ٨١
- ٢١ سورة محمد - ٢
- ٢٢ سورة محمد - ٢
- ٢٣ سورة الإسراء - ٨١

- ٢٤ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٢٥ سورة يوسف - ١٠٨
- ٢٦ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٢٧ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٢٨ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم مَنْ خالفهم؛ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأثكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ٢٩ حديث شريف: "يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقباض على الجمر." رواه الترمذي.
- ٣٠ من حديث شريف: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرٍ، ذِي طِمْرَيْنِ، تَنَبَّوْا عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَهُ". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ٣١ سورة الفرقان - ٦٣
- ٣٢ حديث شريف: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى". أخرجه أحمد بن حنبل
- ٣٣ من حديث شريف: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأَعْطِيتُ الْكَتَرَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٣٤ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ٣٥ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ نَصْرَانِهِ، أَوْ يَمَجْسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.
- ٣٦ سورة المائدة - ٣٥
- ٣٧ حديث شريف يرد في الأدب الصوفي، ويعتمدون فيه على الروايات التي جاءت في كتب الأثر، ومنها الطبراني، والترمذي، عن التوسل برسول الله، وأنه متوافق تماما مع بعض الآيات مثل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} (سورة النساء: ٦٤)
- ٣٨ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحداكم من يخال". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

- ٣٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ أخيه، المؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه." أخرجه أبو داود والبخاري.
- ٤٠ سورة الكهف - ٢٨
- ٤١ سورة الحديد - ٢٨
- ٤٢ سورة الحجرات - ٧
- ٤٣ سورة الذاريات - ٢١
- ٤٤ سورة الأحزاب - ٦
- ٤٥ سورة آل عمران - ٩٦
- ٤٦ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكثافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة." أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٤٧ حديث شريف، أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)). كما جاء بلفظ "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي." رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده
- ٤٨ سورة البلد - ١-٣
- ٤٩ سورة آل عمران - ١٠٤
- ٥٠ سورة هود - ١١٢
- ٥١ حديث شريف: "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة." أخرجه مسلم وأحمد وابن حبان. وجاء في الصحيحين، وسنن أبو داود بصيغة "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة."
- ٥٢ سورة القلم - ٤
- ٥٣ سورة الشورى - ٥٢
- ٥٤ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسرقي في كتابه "الدلائل"، والسيوطي في كتابه "الجامع الصغير"، وابن السمعاني في "أدب الإملاء"، وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان. يوصف بأنه ضعيف السند، صحيح المعنى.
- ٥٥ سورة الليل - ١٩
- ٥٦ سورة فاطر - ١٥
- ٥٧ سورة الإسراء - ٨١
- ٥٨ سورة يوسف - ١٠٨
- ٥٩ سورة المائدة - ٣
- ٦٠ حديث شريف: "ألا أخبركم بالمؤمنين؟ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ." صحيح ابن حبان
- ٦١ من حديث شريف، أخرجه الحاكم والطبراني واللفظ لهما وأحمد مختصرا.

- ٦٢ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب: " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم" أخرجه البخاري ومسلم.
- ٦٣ سورة الأعراف - ١٥٨
- ٦٤ حديث شريف: "إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته؛ فاعبدوا الله كأنكم تروّنه، واستغفروه كُلَّ ساعة". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال، وأبو نعيم في (حلية الأولياء)، وغيرهم.
- ٦٥ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسك في الموتى". أخرجه البخاري.
- ٦٦ من الحديث الشريف: "أفضل الدعاء دعاء يوم عَرَفَةَ، وأفضل ما قلتُ أنا والنَّبِيُّون من قبل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له." أخرجه مالك في الموطأ، والبيهقي.
- ٦٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦٨ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٦٩ سورة مريم - ٩٣
- ٧٠ من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه :- "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطنا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." . بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٧١ من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن لحظات انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، فجاء له ملك الموت وقال: السلام عليك، يا رسول الله أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلتحق بالله فقال: النبي صلى الله عليه وسلم، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى..
- ٧٢ حديث شريف: "أفلكم نبيّا أجعلك أو عبداً رسولاً.. قال بل عبداً رسولاً." أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى.
- ٧٣ سورة القلم - ٤
- ٧٤ من الحديث الشريف: " اللهمّ أَحْيِيْ مِسْكِيْنا، وَأَمِتْنِيْ مِسْكِيْنا، واحْشُرْنِيْ فِي زُمْرَةِ الْمَساكِيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَمْ يَأْ رَسُوْلَ اللهِ؟ قال: إِنَّهُمْ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بأربعين خريفاً، يا عائشة، لا تُرَدِّي الْمِسْكِيْنَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يا عائشة، أَحْيِي الْمَساكِيْنَ، وَقَرِّبِيْهِمْ؛ فَإِنَّ اللهَ يَقْرِبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." صحيح الترمذي.
- ٧٥ سورة الإسراء - ٨١
- ٧٦ حديث شريف. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان. كذلك الحديث الشريف: "مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي". صحيح البخاري
- ٧٧ من حديث شريف طويل. أخرجه البخاري.

(١١)

دين الفطرة وقائم الصبغة لإشهار ناموس الحياة لمعارج العوالم ومظاهر الأمم بركب الأئمة وكتب المعارف للأديان والعقائد في دورات لا تختل بناموس لا يخطئ ولا يتعطل

حديث الجمعة

٢٧ جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ - ٢٤ سبتمبر ١٩٦٥ م

لا إله إلا الله، شعار الفطرة، وعلّمها، وعلّمها، وحقيقتها، ودينها، وعقيدتها.

لا إله إلا الله، جاء بها الإسلام، شعارا له، وبشرى من فاطر السماوات والأرض لأهلها، في السماوات والأرض، حتى تكون لهم شعارا، وحتى يكون بنيانهم بها لهم دارا، وحتى تكون معانيهم بها، لهم غاية، ولسكينة نفوسهم قرارا ونهاية.

منها بدأوا ومنها يبدأون، وإليها انتهوا وإليها ينتهون، وبها ارتقوا وبها يرتقون، رقيًا وتطورًا لا يتوقف لمبانيهم، وعودًا وجيئة لا تتوقف لتجدد ولمرتقى معانيهم، بين يدي رحمته، بإنسانية أزلهم مظلة، وإنسانية أبدهم مقلة، قياما لأناهم أمرا وسطا، وجهًا لمن لا بدء له، ولا انقضاء له.

الله لهم في أنفسهم، يعرفونه، بعلمهم عنهم، ويسلمون إليه، استجابة لضمائرهم، ويعملون به لتقويم جوارحهم، وتطوير ذواتهم، وبناء أنفسهم، بما أودع فيهم من أمره وقدرته وحقه، لقائهم إيمانًا به، ولقادمهم رقيًا فيه.

لا يخرجون منه بحاضر، وما كانوا بعيدا عنه في قديم، ولن يتجاوزوه في قادم، فهم فيه ساجدين، له منزهين.

وبه لعينهم مسبحين بحمده، في حجابهم، وفي سفورهم، سبحا في حجب الظلام له، وحجب النور منه...

طلبنا لذات الأقدس، لمعاني الأقدس لذواتهم، بذوات لا تتكر على قدس ذاتها، ولا تجحد لذاته بالأعلى لمعنى ربها. تطلب الكمال لأمرها، بذات أقدس لمعاني قدوتها لذاتها، في عليّ ذاته، مبعوثة حقاً رسولاً بعين صفاته، لكاملها لصفاتها، يوم تتخلق في خلقها بخلق الأعلى، من أمرها لأمرها.

بذلك قام دين الفطرة، على أساس من شعاره لا إله إلا الله، إدراكاً وعلماً وفهماً واعتقاداً وقياماً في اللانهائي، اللانهائي في سعته، اللانهائي في قرب، فكان شعار لا إله إلا الله، للانهائي، دين قائم بذاته، له شعائره ومقوماته، وله أمره، وله بداياته، وله نهاياته، وله بقائه لقيوم صفاته أمراً دارت فيه الفلسفة وعلومها، والحكمة وهدايتها.

وما كان هذا إلا زاوية من زوايا الإسلام، باعتباره دين الفطرة كما كان أول مراحلها. فإذا استقام أمر هذا الدين عند متدينه، فقال بلا إله إلا الله، ثم شعر بلا إله إلا الله، ثم أسلم لا إله إلا الله، ثم شهد أنه لا إله إلا الله، انتهت عنده مرحلة هذا الدين.

فن قطعها بأمان فقد بدأ فيه بدءاً حسناً، وانتهى فيها إلى نتيجة مثمرة، بدأ فيه وله به غاية، مؤمناً أنه لكل بدء نهاية، فبدأ من الله، وانتهى إلى الله مؤمناً بشعاره لا إله إلا الله، عرف الله قبل البداية وبعد النهاية.

فتحرر عقله من قيود الزمان والمكان، وحيا قلبه بالحق للرحمن، واستقام قلبه إحاطة بالأكوان، وانتظمت في فعلها وحركتها جوارحه بالقدرة والإحسان، فطلب المزيد من المعرفة والإمكان، عن هذا الذي به بدأ علمها، وإليه انتهى يقيننا وحسنا سيرا في الله، واسمنا لله.

فتأمل في نفسه.. هل أنا أول من تحقق له ذلك؟ هل أنا آخر من يتحقق له ذلك؟ فبدأ مرحلة أخرى في دين الفطرة، بدأ يفكر في أقدم وأقوم من ذات قدسه، بدأ يفكر في أكبر وأبقى من ذات وجوده، بدأ يفكر في أعظم من ذات عظمته.

فبدأ بذلك مرحلة أخرى.. من الذي فعل بي؟ من الذي فعل لي؟ من هذا الذي هو معي؟ من يعرفني عنه؟ من يجمعني عليه؟ بدأ يفكر عن ضرورة رب له، بدأ يفكر عن حتمية إمام له، بدأ يفكر عن اجتماع على رائد له، بدأ يفكر عن سبقه إلى علمه، ليكون معلماً له، ليقدّم له جديداً على ما هو قائم به من الحق.

بدأ يقول: أين أنت أيها الأعلى؟ أين أنت أيها الأرقى؟ أين أنت أيها الأبقى؟ أين أنت أيها الأقدم؟ أين أنت أيها الأقوم؟!

أين أنت، لأعرف الحب معك؟ أين أنت، لأقوم بك معك شاهدا ومشاهدا؟ أين أنت، يا من أحب أني له أشهد رفيقا أعلى؟

أين أنت يا من يرق معه قلبي إذا تذكر؟ أين أنت، يا من يزداد إشراقا في نوره عقلي إذا تأمل؟ أين أنت، يا من أسبح فيه بانطلاقتي وفكري لأعرف من آمنت به ولم أره، في لانهائي أمره لي للانهائي أمري إليه، في لانهائي وجوده للانهائي وجودي بموجوده بلانهائي موجوده لوجودي، في لانهائي عطائه وجوده؟ أين أنت يا ربي ومعلمي؟ أين أنت يا إلهي ومعبودي؟

هنا تبدأ مرحلة الإيمان بحقية رسول الله، مرحلة الطلب لرسول الله بحقه، مرحلة الإيمان برفيق أعلى في الله، مرحلة الشوق والحب والتحاب. وهنا يستجيب اللانهائي لطلب الكائن المصطفى اللانهائي فيه، وهو الإنسان.

مثله البشرية، يوم أدرك مدرك الإنسان منها في بشريته، معاني الافتقار إليه، وآمن بوصف الفقر لذاته مؤمنا بمن رافقه على دينه مثالية على حقها بها وعظمتها لها.

فداناه من اللانهائي مدان، هو الحق منه والمثل الأعلى له، عرفه وقد ظهر للناس من طبيعتهم وهو ليس من جبلتهم، ظهر بكل حقه بينهم، رسولا من أنفسهم، آدم أوادهم وحق حقائقهم، موجودا في مظهر من عين وجودهم بمظاهرهم، قدوة لهم بحاضره وحاضرهم بالوجود الجديد من تواجد، وأسوة لهم بما يجري عليه من ناموس الفطرة، يقابله منه بالطاعة والسجود، أسوتهم به على ما هو فيه، وقد ابتلي بهم ابتلاء من الله، في مرضاة الأعلى، أخذ أمره في ظاهر حياته صورة البلاء، وظهر به كائنا منهم في الانتظار للجزاء، حتى تستقيم عند الناس قدوته، وحتى تثمر في الناس أسوته.

فكان قدوة لهم، بما كان به مشهودا لهم، أو معروفا عنه عندهم، يوم يعرف إليهم بحبته، وبما يقوم في ذواتهم من صفاته، يوم يتخلقون بخلقته، فيحقق لهم الأعلى لأنفسهم خلقه وخلقه، وقد جعل خلقه ظاهره لظاهرهم، وباطنه لعلمه لباطنهم لعلمهم، في علمه عن معلومه لنفسه، بمعلومه عن الأعلى لعينه، وقد جعل لهم معانهم لعلمهم على عين معناه لعلمه.

لم يحتفظ لنفسه، بما قال إنه احتفظ به لنفسه من العلم، يوم توادد معه متواد، وتحاب معه متحاب، فربط الحب بينهما محبوب كان هواهما، فوحد الحب بينهما في محبوبهما، وألف بين قلوبهما، فصارا قلبا لقلبين، وصار قلبا لقلبين في أعلى لهما جمعهما، فكانا فيه قلبين وقلبين، لدائرة وجوده، في حضرة شهوده، بدائرتين متداخلتين في دائرته لغيبه وسفوره..

فأعدهما لسفور طلعته، لعين معناه، في حقيقته، علما ومعلوما، عن الأعلى اللانهائي لإقامة الاعتقاد فيه بعينه قياما لقائم معتقده في أعماق تواجداته.

بذلك أصبح الكائن المؤمن بلا إله إلا الله، صالحا لأن يؤمن، لنفسه، بموصوف العبد بقائه لقيومه، لرفيق أعلى لموصوف الرب، فصار عبدا هو عين ربه، وعرف في ربه، قائما هو عين معبوده عرفه لهما اسما ورسما فيمن لا بدء ولا انتهاء له. وقد بدأ فيه بلا إله إلا الله لوجوده وانتهى إليها لمعاني لانهايته لموجوده.

فبذلك يختم المسلم السالك المرحلة الثانية ويدخل هذا الكائن بكيئوته من شيئه، هذا المسلم للأعلى، هذا المؤمن باللانهائي المطلق في المرحلة الثالثة لدين الفطرة بعد تمام إدراك للإيمان بالأعلى، في معراج إلى أعلى فأعلى، إلى من ليس كمثل شيء، إلى ذات منفردة بعظمتها وقدها، قامت، بذوات هي لها ظلال، لمعاني أعلى وأدنى، وهذه المرحلة بدأت بوعي في ضرورة طلب الأعلى وانتهت بتحقيق لإدراكه، وظهوره لشهود طالبه فإذا هو من عرف لمعنى رسوله.

فإذا ما استكمل الكائن الإنساني هذا المعنى، طلب مطلباً آخر، طلب مطلباً أرقى، طلب أن يعمل ولا يركن إلى نعيمه. نعم دخل (جنة ليس فيها غير وجه الله يضحك)¹ سعد بها، ولكنه بدأ أن يحرص على أن يسعد الناس بما سعد هو به - تخلقاً بأخلاق من علمه.

طلب أن يعرف مزيدا عن هذا الوجه الضاحك، وهو يؤمنه أعلى له رسولا ومُرسلًا من اللانهائي، ولكي يعرف يجب أن يتخلق بأخلاق الله، يجب أن يكون وجهها ضاحكا لوجه يسعد برؤيته، فسأل الوجه الضاحك له أن يأذن له، أن يأمره، أن يكلفه أن يعمل شيئا، أن يسعد به خلقا، أن يهدي به حقائق له، أن يحقق به موجودات فيه، لفيض رحمته.

طلب أن يشهد في الأدنى، على ما شهد من أعلى، فقال له الأعلى: ألا يرضيك ما أنت فيه!! نعم إنه يرضيني، كيف لا وأنت الذي يأويني، ولكنني وقد عانيت البلاء والابتلاء، في حجابي عنك واحتجابك عني، حتى تداركتني بلطفك وسعدت بيد رحمتك، تستخلصني إليك، أرى من واجب الشكر لك أن أقوم في التعريف عنك بغامر رحمتك، فهلا جعلت مني يد رحمتك، تستخلص إليك، فأنتخلق بخلقك وقد تواضعت لي حتى عرفتك فأسعد بالقيام في قائم إرادتك لرحمتك على ما عرفت، فالكل لك يا وجود الوجود ولا شريك لك.

إني لا أراني وأنا إليك ناظر إلا أنني لا أنظرك، فما نظرتك إلا بك فيّ، فأنت إليك الناظر، وما أنت بك لي إلا المنظور فيك، فقد عرفتني على ما أفتني أمرك، وكشفت لي فيّ سترك، وعلمتني سرك وجهرك، وقلت لي إن اللانهائي عنده مالا يُدرَك، يوم قلت لي لا فرق بيني وبينك.

أنا سعيد أنه لا فرق بيني وبينك بفنائني لعينك، وإن كنت في حق نفسي لا أرتفع بعيني لعينك، فأنا لك ظلك، ومنك أمرك، هلا عملت بي لخيري من لانهائي خيرك!! فاستجاب له من أنزله، وسمح له أن ينزل بإرادته إلى أدنى لا مأمورا ولا مكلفا، ولكنها إرادته لإرادة من أراده، وأنزل عليه كتابا، وجعل منه عنه، عن الناس حقا وحجابا.

جعله الشهيد على الشهداء، وجعل من فطرته أن يأخذ من كل أمة بشهيد، ثم يأتي به عليهم شهيدا، في أمر وثوب جديد، وحق وليد، لحق متكاثر متجدد مستزيد، فيبدأ ويعيد، ويقوم في كل وقت في شأن جديد فطرة الوجود وصبغة الموجد.

ما قامت الفطرة وما ظهرت الصبغة في شيء مثل ما هي بالإنسان عنه تتفرق ظلال، وعليه تجتمع ظلال لتكون جوهر فطرة وصبغة وحالا فيه وبه تمد الظلال للظلال لتكون أصولا لظلال ومثالا له بحال فيصبح الأعلى للأدنى، والأدنى للأعلى، كلاهما به جوهر، لا فرق بينهما وهو العروة الوثقى لهما وحلقة الاتصال بينهما.

بذلك قام خليل الرحمن، حبيب الرحمن لإنسان في الأعلى والأدنى للعيان في اللانهائي لبقائه وللانهائي لولائه. به قام الداني بصفات العلي، فاستخلف العالي عنه ليعلو في عليائه وعمل الداني، ليكمل ويتكامل في عالم جزائه بحال بلائه حتى يبعث للمحمود وللأعلى محمدا لأحمد وقد أثنى عليه وعرفه بما عرفه فقام مبعوثا به وشرفه.

بذلك كان أول بيت وضع للناس علما على أول بيت رفع من الناس، إنسان مكة. إنسان كانت عليه مكة علما، حل بهذا البلد، ووالد وما ولد، إنه الإنسان المشهود في المكان، والمعلوم في الزمان، والظاهر بجديده من الإنسان، بوالد وما ولد.

بعث به فيه بالحق آدم مغفورا بجديد لآدم وبنيه مأجورا، بأبنائهم أودام فيه، بأبنائهم الأودام والكلمات لأبيهم الآدم الإنسان الحق لله، فبنوهم أبناء آدم مكرمين، صالحين، من تابعين، ومتابعين، أو أبناء آدم مهانين إلى يوم الدين فيه يُنظرون وفي الأرض يجددون، الكرة بعد الكرة، والمرة بعد المرة إلى يوم لأبيهم يسفر فيه بحقه، فيكون يوم الدين.

فيوم الدين، يوم تشرق فيه الأرض بنور ربها، علما على معلوم رب العالمين بتعميم رسالة الفطرة وجمعها من شتاتها. وهو يوم قائم دائم في واقعية الدين وقائم الفطرة لمفردات الناس أمر يُعرف ويقوم لقلوبهم في كل وقت وحين، ولجماعاتهم من حين إلى حين، في دورة دائبة لخلق الزمان والمكان والوقت والحين، وملء فراغ الوجود بالحياة.

هذه هي خاتمة المرحلة الثالثة للإيمان بالأعلى، موصوف المرسل والرسول للانهائي، فإذا كان كذلك، وتحقق للإنسان ذلك، في نفسه وغيبه، فأعلم وعلم ما قامت عليه المرحلة الأولى بلا إله إلا الله، وما لحقها من مراحل تعريفا عن لا إله إلا الله، علما على الإنسان في لانهائي الله، بشرى للناس وإنذارا لهم، وتحقيقا لهم بيقينها، فبذلك تقوم المعرفة في مرحلتها الرابعة لتمام النعمة وكال البشرى، وكشف الطريق بطلب الأعلى في قائم الأدنى.

لا تبحث عن الأعلى في الغيب، ولكن ابحث عن الأعلى في الشهادة بالاجتماع على رسول الله والذين معه فهم الحق الذي تجمعت أعضاؤه وقامت وبعثت للناس ذاته، رفعنا بعضكم فوق بعض درجات، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا. بذلك كان الأدنى بجماعه في اجتماعه عين الأعلى في عليائه ملأ أدنى ملأ أعلى قائمه على الأرض لقائمه في سمائه، {إني جاعل في الأرض خليفة}².

ابحث عن المعلم، ابحث عن الخبير بالله، ابحث عن قومه الله في قومك، ابحث عن الإمام في شهادتك، إنه لا يغيب، ابحث عن تولاه الله، في بيئتك، ابحث عن ولي الله، ابحث عن الأولياء، ابحث عن الخبير بالله، ابحث عن الخبراء، ابحث عن تولاه الله، ليتولاك، وإنهم لأولياء، ابحث عن علمه الله، ابحث عن العلماء، حاذر من النقلة، حاذر من القوالين، حاذر من فتنة المادة، حاذر من الفتانين، حاذر من علوم الفتنة.

الرسول وهو قبس نور الله القائم الدائم فإنه أمة، متجددة في أمم الأرض، كلها تجددت على الأرض أمم، إنها أمة هي أوتاد الأرض، ومصابيح الحياة فيها، عرف الناس أم لم يعرفوا، آمن الناس أم بحدوا، شكر الناس أم كفروا. إنه أمة الحياة، إن الله لا يؤاخذ الناس بظلمهم، ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة. إن الله يحب لهم السلام، بالسلام بينهم من بعضهم لبعض، حتى يبلغوا فيه به رشدهم في كمال إرادتهم المطلقة جعلها لهم منه عين إرادته المطلقة، ليكونوا خلفاءه على الوجود وأكوانه، وقد خلقهم لنفسه.

إنهم بلا إله إلا الله، قائم قيومه، وظاهر باطنه، وهو القائم على كل نفس منهم بما كسبت، وهو المحيط من وراء كل منهم، فالكل له وجوه، أضواء أو غبرت، ابيضت أو اسودت، عملت أو فترت، شكرت أو كفرت، إن الله ما زال عنده وما زال معه.

على هذا قام الدين، دين الفطرة، في جميع مراحلها، وبهذا قام الدين، وعليه يستقيم الدين، فما كان الدين في يوم من الأيام مناسك من حركات، ولكن الدين قام على أساس من الوعي، والفعل بما تم الإدراك له لقائم العينية والغيرية، في الإنسان، من الحق، في نفسه لنفسه.

فإذا أقام، معنى جسده لعينته، فالشيطان منه جارٍ مجرى الدم، وإذا قام، الروح منه، لمعاني عينته بباطنه لشهادته، فالله أقرب إليه من حبل الوريد، ومعه أينما كان، فهو لقائمه ومعناه عبده وربّه، في ذات قيامه لمعنى كونه وعالمه، عالما لمعلومه، من أمره، لربه.

فالإنسان أمر الله، قدره وأعطاه القدرة، وهده، وأثار عقله، وأثار بصيرته لهدايته وداناه بنوره لروحه في ضميره، وشعوره، وإحساسه، ووجدانه الفطري، الطبيعي - يدرك له ذلك في قيامه الحسي المدرك، كلما تجرد عنه مبنى، إلى مبدعه معنى، بإدراك قائم وحدانيته، انعكاسا بالنظر والبصيرة، من الخارج إلى السريّة.

فالإنسان له أنانيته بالذات، وله أنانيته بغيبه لمعنى باطنه بالهو، فهو بأناه لمعاني البنیان والخلق وأطواره هو في هذا معنى العبد والكون، أما بروحه لأناه وحياته، لمعناه من حياة الوجود المطلق اللانهائي فهو لأعلاه في الإنسان المطلق حبيب ربه وخليله، ربه بدانيه لعاليه في معيته، وهو لاستقامته عليه أن يتقيه قريبا ملاصقا، وعلى ربه أن يكشف له عنه الغطاء ليراه معه فيه، يوم جزائه سعيدا مسعدا مقبولا في قائمه من هذه الحياة وفي هذه الدار يرفع له الحجاب عنه من ماديّه ليشهد هذا الذي هو فيه والذي هو معه والذي هو له، وهو كل ما له.

ولا يكون له ذلك، إلا يوم أن يوجد نفسه بحقه عارية له في جديد يقوم به من عمله، بتغيير ما في نفسه من الجهل، بموجوده من الحق في قائم، حتى يكون بقائمه لمعاني الأب والرب والخالق، فياضا بمعانيه معارة، على ما أوجد كسبا وعملا، فتواجد قائما محيطا، وأبا مشاهدا لمعاني الابن منه في قديمه وجديده.

وهذا ما أريد في قوله تعالى لمحمد {إنا أعطيناك الكوثر... إن شئتُك هو الأبر}³ وبقوله {آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم}⁴ وبقوله {أول العابدين}⁵ وهذا ما أريد أيضا في قوله تعالى، {يا أيها المدثر قم فأنذر}⁶، بموصوفه آدم قديم الناس لحقهم المدثر بحقه بهياكل موجودهم هم جلايبه هو بهم نائم يطوف بالكعبة.

وبذلك يأمره، وثيابك فطهر، وينزل على قلبه السكينة والطمأنينة ويجعل منه السكينة يوم يمتد بنوره في المؤمنين، ويأمره {ولا تمنن تستكثر} ^٧، فأنت غير مسئول عن عطائك ومنك ليجعل منه رحمة مهداة للعالمين. يقومه حقا مدانيا كلما يجدد تجدد بما هو عليه به قائم في دوام، يراه ويقومه في جديده بقديمه، {والرجز فاهجر} ^٨، {واستقم كما أمرت} ^٩.

أظهره على الدين كله يوم علمت نفسه ما قدمت على ما في قديم استقام، فغفر له، وقبله، واصطفاه، وأجلسه إلى جواره الأعلى، لا فرق بينه وبينه {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} ^{١٠} ربك أنت وهو يعينك بالخلافة أنت وها هو جعلك، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ^{١١} فهو يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين.

فما كان ربك متحدًا إلا عنك، بشر الناس، وأنذرهم، ومن فقدان وضياح فرصتهم حذرهم، كافة للناس جعلك قدوة، ولهم بشرى ما تابعوك، ما قبلوك، ما آمنوا بك. فقد جعل الإيمان بك إيمانًا به، {من يطع الرسول فقد أطاع الله} ^{١٢}، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} ^{١٣}.

{وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ^{١٤}، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ^{١٥}، بما أنزل إليك من نور تمشي به في الناس. {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} ^{١٦}، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله، على بصيرة، أنا ومن اتبعني} ^{١٧}، {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} ^{١٨}، وقد أصبحت ولا فرق بيني وبينك، فلا صراط لي ولا صراط لك، فما كان صراطي إلا صراطك، وليعلم الناس إن صراطك، ليس إلا صراطي.

ادعُ إلى الله على بصيرة، وأبصر به وأسمع، حتى يتواجد في قومك من يدعو إليّ على بصيرة، بدعوته إليك لمعاني دعوة تقوم على بصيرة متجاهلا أمره ونفسه معك على ما تجاهلت أمرك ونفسك معي، وعلى ما أنا متجاهل أمري ونفسي مع أعلى، هولي ولك.

فأنا لا نذكر، ولا نذكر، ولا نعرف ولا نعرف، ولا ننشر ولا نبشّر، إلا بالانهائي، لا اسم له فالأسماء من صفات تجلياته بحقه لخلقه، فما تسمت حقائق خلقه إلا باسمه، نَعَمَ المؤمن مرآة المؤمن، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان.

ذات الوجود قدس ذاته، علما على أكبر وأقدس، بوجود للوجود، بكبير وجود لموجوده، هو فيه لعين وجوده، علما على علم، ووجود على وجود، ذاتا تدل على ذات، إلى ذات قدسه، لا تدرك ولا يحاط بها، وذاتا صدرت عنها ذات وذات، حتى إلى ذات عبده لشهوده.

وهنا يقول الرسول، من أظهره ربه على الدين كله، إن لله حجباً من نور وظلمة، بينه وبين الكون والوجود، بعلويه وسفليه، لو تفتقت هذه الحجب قليلاً حتى وقع نوره على الكون، لاحترق الكون بعلويه وسفليه، من سبحات وجهه الكريم.

كيف عرفت ذلك يا رسول الله؟! هل كما نعرف عن طريق الألفاظ والنقل والرواية! أم أنك تعلم عن طريق الواقع، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد} ١٩ {ما كذب الفؤاد ما رأى} ٢٠ {رآه نزلة أخرى} ٢١ {ما زاغ البصر وما طغى} ٢٢، {لنريك من آياتنا الكبرى} ٢٣، {ما عرفني غير ربي} ٢٤، لست على هيئتكم، لست على صورتكم لست كأحدكم، فإني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني} ٢٥، {رأيت ربي بعيني رأسي} ٢٦، {انعكس بصري في بصيرتي فرأيت ربي لعيني بعين قلبي رأيت من ليس كمثله شيء} ٢٧.

إن الرسول ما عرف شيئاً من ذلك، إلا معرفة اليقين، معرفة اليقين في نفسه عن أمر الأعلى لعين أمره. إن الأرض لا تطيق وطأته، إنه يظهر فيكم دائماً بما ظهر من آدم خليفة متجدد بدورات ولم يظهر ولن يظهر في عالمكم المادي بما هو للكلمة من الله، فهو مسيح المطلق وإنسانه وروح القدس له يحل فيكم فتفعلون فعل كلماته، وتقومون في الناس آياته. كلمات النبوة له ووجوه الأبوة منه تنطقون بحكمته بكلماته لقائم ودائم أبناؤه، لقائم قبلته ببيته أنا في الأعلى، والأعلى فيّ، هو لهم علام الغيوب.

إن رسول الله الذي سيأتي من بعدي هو أعرف به مني، هذا ناموس الفطرة {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً} ٢٨ فاسألوه. هذا ما يقول به عيسى مشيراً إليه.

يتراءى الله لأهل الجنة، كما تترأى الشمس لأهل الأرض، فيسأل عيسى: وهل تتسع الجنة له ولشمس تجليه؟؟ فيقول أسألوا رسول الله الذي سيأتي من بعدي، هو أعرف به مني، فإذا قال رسول الله الذي جاء من بعده؟ يقول رسول الله الذي أظهر على الدين! إن الشمس التي عرف عيسى، والتي عنها تحدث وبها عرّف، ما كانت إلا إنساناً مخلوقاً، {يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة} ٢٩، {جعلنا الشمس عليه دليلاً} ٣٠، {والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى} ٣١، {وإذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسبي وحسي وسبي وصهري} ٣٢، {أقربكم مني منازل في القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكفأ الذين يألفون ويؤلفون} ٣٣، {وما أعطيته فهو لكم} ٣٤، {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا} ٣٥، {يتراءى أهل الغرف لأهل الجنة كما تترأى النجوم لأهل الأرض} ٣٦، {آخر من يخرج من النار يعطى عشرة أضعاف هذه الدنيا} ٣٧.

فما تكون القيامة في دين الفطرة؟ وما تكون الساعة في دين الفطرة؟ وما يكون قائم القيامة في دين الإسلام ودين الفطرة؟ وما تكون الساعة في دين الإسلام، ودين الفطرة؟ وما يكون الحشر في دين الإسلام ودين الفطرة؟ هذا هو فقه الدين، يوم نفقه في الدين، وهذا هو العلم في الدين، وهذا هو الدين في العلم، يوم نحرص على علم أو نحرص على دين، فتعلم من علم أو نتفقه بدين فنخرج من الجهل والجاهلية، ندخل في أهل العلم والسلام بالإسلام.

ولكن الدين الذي انخط إلى شكليات المناسك، وإلى انتظامات الحركات، وإلى انطلاقات الحناجر من المنابر، من أناس يهرفون بما لا يعرفون، ويتعرضون لما لا يملكون، وينطقون بما لا يعلمون، ويتحركون بما لا يفقهون، ببيغاوات يحاكون، وعرائس المتاحف يظهرون ويُنظرون...

وبموصوف الأنبياء والحكماء لأنفسهم يزعمون، هم حملة أمانة الدين، وصدق الرسول الأمين، (فقهاء أُمِّي في الدرك الأسفل من النار)^{٣٨}، صدق رسول الله، تقطع في الآخرة لهم ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من النار، جزاء ما كانوا ينطقون، وبه لا يعملون، وللکلم عن مواضعه يحرفون مع علمهم بما يفعلون، وليبيانهم من وضع أنفسهم ظالمة إلى الله ينسبون.

وما كان الميّن لکتاب الدين إلا رسول الله، {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم} ^{٣٩}، {لتقرأه على الناس على مكث} ^{٤٠}، {إن شئت هو الأبر} ^{٤١}، وأنت بمعناك في الناس كوثر، رحمة للعالمين، وطابعا وتوصيفا للنبيّين يوم يقوم من قومك قائم بما أنت فيه قائم من عترتك صنو كتابك، يدعو على بصيرة، لمن دعوت إليه على بصيرة.

الله هو قائم كل نفس وقيومها، لا شريك له، يوم يرفع رافع من قومك شعار لا إله إلا الله، على ما رفعته، ويبين لهم على ما أبنته، ويكشفه على ما كشفته، ويقيمه في كل طالب له على ما أقمته توفية كلمته، عنك بشرت، وعنك تُعرف، وبك تقوم.

الخير فيك وفي أمتك، خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، قائم قيامهم، وقيوم أمرهم وحكمة ألسنتهم، وقدرة فعلهم، وجمال طلعتهم، ونورانية امتدادهم.

نسبهم إليه، وقد نسبهم إلى الحق لأمرهم برسوله بينهم عبادا لله، هم وجوه ربهم، لأرباب في معراجهم هم لإلههم لآلهة في معراجها للانهايتهم. الناس لأمرهم في قائمتهم، للانهايتهم في قابلهم، للانهايتهم معبودهم.

بهذا جاء دين الإسلام، وعلى هذا قامت فطرة الدين وصبغة الله، لمن صبغه الله بصبغته، يوم فطره بفطرته، يوم ولد على دين الفطرة، فلم يخرج من فطرته، ولم ينكر على صبغته فتخلّى عن ماديّه لوزره

فبعث وقام أمراً لله، ونصبا لله، وبيتاً لذكره، وعلماً على اسمه لا اسمه، اسماً لعلمه، ومعلومه، لحسن لا إله إلا الله، بقائم شهادته لمشهوده لنفسه، محمداً رسول الله.

هذا هو شعار الفطرة، وشعار السلام والإسلام، نسأل الله أن يحفظ علينا الفطرة، وأن يحفظ علينا بالفطرة السلام والإسلام، وأن يكشف عنا حجاب الغفلة، وأن يجعلنا من الشاكرين لقائم النعمة، لنا في رسول الله أسوة بما قاسى، ولنا في رسول الله قدوة بما بشر، وبما علم وبما قام وبما حصل.

نسأل الله في فطرته، ونسأل الله في قائم صبغته، أن يصلنا بمزيد من نوره، نورا على نور، وبمزيد من حياته، حياة على حياة، أضعاف حياة، ومضاعفة حيوات.

نسأل الله أن ينتقل بذواتنا، إلى أقدس من ذوات، لعينية الأعلى لذاته، مسحاء فيه وأعلاما عليه وعبادا له.

نسأل الله بذلك أن يولي أمورنا خيارنا، برحمته، وبعطائه، وبمنته، وأن لا يولي أمورنا شرارنا، بما كسبنا، ورداً لأعمالنا إلينا.

(كيفما تكونوا يولّ عليكم)^{٤٢}. نسأله أن يعافنا من عدله، وأن يعاملنا بعفوه، فنحن كما نزعم، وليقبل برحمته منا زعمنا، إنا أتباع رسول رحمته، نقول بأننا أمته، فليقبلنا على كذبنا ونفاقنا وليح كذبنا إلى حقه، برحمته، بجوده، بعطائه، بمنته، بقدرته، بوسيلته.

إليه نتوسل بمن جعله وسيلة، وإليه نلجأ بمن جعله منه لنا الملجأ، إليه نأوي فيأويننا، ولا يحاسبنا على ما فينا، {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيرا}^{٤٣}.

ها نحن عرفنا البيت، فطرقناه، وفتح لنا الباب فدخلناه، فنسأل الله، نسأل صاحب البيت، نسأل رب البيت، نسأل سيد البيت، نسأل أمر البيت، روحاً مرشداً، ولطيفاً مقارباً، ونوراً منتشرًا، وحياة قائمة ومعلماً أكبر نسأله بالأعلى فيه نشهده، نسأله باللانهائي فيه نعبده، إلا ما قبلنا ورضينا، وإنا لنراه لنا قابل، وبنا راضٍ، فنسأله ونسأل الأعلى به، ونسأل اللانهائي بهما أن يرزقنا فينا الرضا عنه، وأن يحفظنا من الارتداد منه، وأن يقينا شر الخروج من البيت بعد أن دخلناه، وأن لا نحرم الإيمان، وقد تذوقناه، وأن لا نرجع إلى نفوسنا في ظلامها، فهي تلج في عملها لإظلامنا، واستردادنا لظلامها، به نستعيد منها، وبه نستعين عليها، وبه نسأله لها، أن يحو عنها ظلامها، وأن يقوم لها فيها فينا أمرنا، (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم)^{٤٤}، وما كان إسلامه إلا الله رأيي اسماً له فهو لا يأمرني في ظاهري لآدمه إلا بالخير.

لقد أصبحت، وشيطاني خليلين، يوم قبلني الأعلى له خليلا، ورضيني لخلته، وما كنت منه إلا، في معنى شيطاني مني ضالا هديت، وعائلا أغنيت، ويتيما أوويت، فكيف لا أخلق بأخلاق الأعلى وقد أعاني على نفسي! إنني لأرتضي شيطاني لخلتي وقد أسلم لربي عليه أعنت، ضالا هديت، ويتيما أوويت وعائلا أغنيت فأمن بالأعلى على ما آمنت، وإني بدعوته إلى لانهائي الحق قدر دعوتي فأدرك صدقي وقدر لله عبوديتي، فلم أدعه إلى نفسي حتى لا يرتاب في أمري، به ترفقت حتى لا ينفر، وحتى لا يأبق، وكلما بجديد ذكر محدث تواجدت، معي به تواجدت فانهيت به إلى ما سبق أن فعلت وحققت.

فأنا خليل من فوق، وبخلته أنا خليل من تحتي، متخلقا بأخلاق ربي. تقبلوا نيري فإن نيري عليكم لطيف، لكم من الأعلى ما لي، ولكم من اللانهائي ما للأعلى منه هو لي، وهو لكم يوم نتابعوني إلى الأعلى، وتؤمنوا معي باللانهائي.

والذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، نعم الاسم لله مرآة الاسم لله، فنعم المؤمن للمؤمن مرآة المؤمن. بهذا قام شعارنا في الإسلام، بلا إله إلا الله، محمد رسول الله باب السلام وعلم السلام وكتاب الإسلام.

فنسأل الله أن يجعلنا شعارا، لما جعل الإسلام له شعار، وأن يجعلنا شعارا للإله إلا الله، ولمحمد رسل الله، كلمات لله، وحقائق لله، وعباد للمطلق في قائمتنا لقيومنا، برسول الله - لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة إلى حديث شريف رواه مسلم في صحيحه، يصف حال عباد الله الصالحين يوم القيامة: "...فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل". كما في الآية الشريفة: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ} * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {سورة القيامة - ٢٢، ٢٣.
- ٢ سورة البقرة - ٣٠
- ٣ سورة الكوثر - ١:٣
- ٤ سورة الحجر - ٨٧
- ٥ سورة الزخرف - ٨١
- ٦ سورة المدثر - ١-٢
- ٧ سورة المدثر - ٦
- ٨ سورة المدثر - ٥
- ٩ سورة الشورى - ١٥
- ١٠ سورة البقرة - ٣٠

- ١١ سورة الأنبياء - ٣٤
- ١٢ سورة النساء - ٨٠
- ١٣ سورة النساء - ٦٥
- ١٤ سورة الأنبياء - ٣٤
- ١٥ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
- ١٦ سورة البقرة - ١٨٦
- ١٧ سورة يوسف - ١٠٨
- ١٨ سورة الشورى - ٥٤
- ١٩ سورة ق - ٢٢
- ٢٠ سورة النجم - ١١
- ٢١ سورة النجم - ١٣
- ٢٢ سورة النجم - ١٧
- ٢٣ سورة طه - ٢٣
- ٢٤ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاظمي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ٢٥ إشارة إلى الحديث الشريف: "إيّاكم والوصالَ إيّاكم والوصالَ قالوا: فإنّك تواصلُ يا رسولَ الله قال: إني لستُ كهَيْئَتِكُمْ إني أبيتُ يطعمُني ربيّ ويسقيني". أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٢٦ حديث شريف ذات صلة، رواه مسلم عن أبي ذر بصيغة: "سألت الرسول صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال نورٌ أتى أراه". وفي مسند أحمد وصحيح الترمذي جاء بصيغة "إني قت من الليل فتوضأت فصليت ما قدّر لي فنعست في صلاتي فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة..."
- ٢٧ حديث شريف يذكره الصوفية وبعض العلماء: لَيْلَةَ عُرْجِ بِي انْتَسَخَ بَصَرِي فِي بَصِيرَتِي، فَرَأَيْتُ اللَّهَ! رَأَيْتُهُ فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدَ فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيَّ كَتِفِي، فَشَعُرْتُ بِرُودَتِهَا عَلَيَّ ثَدْيِي، فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ: أَلَا تَرَى فِيمَا يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟" قُلْتُ: "أَنْتَ رَبِّي أَعْلَمُ، فَعَلِمَنِي عِلْمَ الْأَوَائِلِ وَالْآخِرِ وَأَوْتَيْتُ ثَلَاثَ عُلُومٍ: عَلِمًا أَمَرْتُ بِتَبْلِيغِهِ، وَعَلِمًا خَيْرْتُ فِي تَبْلِيغِهِ، وَعَلِمًا نَهَيْتُ عَنْ تَبْلِيغِهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُطِيقُهُ أَحَدٌ غَيْرِي". وهو حديث يوصف من جانب علماء الحديث بأنه موضوع.
- ٢٨ سورة الإسراء - ٧٩
- ٢٩ إشارة إلى حديث شريف طويل: "إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي صُورَةٍ غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِنَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا". صحيح البخاري.
- ٣٠ سورة الفرقان - ٤٥
- ٣١ سورة النجم - ١:٢

- ٣٢ حديث شريف: "كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ يَنْقُطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبِي وَصِهْرِي". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي". أخرجه ابن عساکر في ((تاريخ دمشق)).
- ٣٣ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكفأ الذين يالفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنيمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٣٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣٥ سورة الفرقان - ٧٥
- ٣٦ حديث شريف: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ فِي الْأُفُقِ، مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ". صحيح البخاري، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.
- ٣٧ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ كَبُوءًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَلِهَا". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٣٨ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة: "مررت ليلة أُسري بي بأقوام تُقرضُ شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به". أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى.
- ٣٩ سورة النحل - ٦٤
- ٤٠ سورة الإسراء - ١٠٦
- ٤١ سورة الكوثر - ٣
- ٤٢ حديث شريف: "كما تكونوا يولّ عليكم". رواه الديلمي والبيهقي.
- ٤٣ سورة الأحزاب - ٣٣
- ٤٤ حديث شريف: "ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعاني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير". أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعاني عليه فأسلم". صحيح الترمذي.